

النص الكامل
الطبعة القانونية الأولى باللغة العربية

اغاثا كريستي



جريمة في ملعب الغولف



الأجنال
الترجمة والنشر
AJEAL Publishers

دار الراغب الجامعية
Dar El - Rateb
Souvenir Book House

Agatha Christie



Murder on the Links



جريمة في ملعب الغولف

استدعى نداءً استغاثة عاجل
هير كيول بواردو إلى فرنسا حيث يجد أنه
قد وصل متأخراً. لقد تم طعن الرجل
الذي استدعاه، المليونير الغامض، ببساطة
حتى الموت... وطُرحت الحثة - بلا
مبالاة- في قبر مفتوح.

ولكن بواردو يعرف أن الأمور ليست
كما تبدو، ويبدأ بحل ألغاز الظروف
الغريبة المحيطة بهذه الجريمة المحيرة.
وهكذا يكتشف أن الطريق إلى معرفة
هوية القاتل يقبع في ثنايا جريمة ارتكبت
قبل عشرين عاماً من الزمن!

رواية جديدة من روايات الكاتبة العبقرة
التي تعتبر أعظم مؤلفة في التاريخ من
حيث انتشار كتبها وعدد ما بيع منها.
من نسخ، وهي -بلا جدال- أشهر من
كتب قصص الجريمة في القرن العشرين
وفي سائر العصور. وقد تُرجمت رواياتها
إلى معظم اللغات الحية، وقارب عدد ما
صُبع منها ألفي مليون نسخة.



الأجبال
للترجمة والنشر
AJTA Publishers

دار الراية الجامعية
Dar El - Rateb

e-mail: el-rateb@cybaria.net.lb

هذه هي الترجمة القانونية الوحيدة لهذا الكتاب،
وهي تضم النص الكامل لرواية أغاثا كريستي
المنشورة لأول مرة عام ١٩٢٣ بعنوان

Murder on the Links
Copyright: Agatha Christie 1923

المؤلفة في سطور

تُعتبر أغاثا كريستي أعظم مؤلفة في التاريخ من حيث انتشار
كتبها وعدد ما بيع منها من نسخ، وهي -بلا جدال- أشهر من كتب
قصص الجريمة في القرن العشرين وفي سائر العصور. وقد تُرجمت
رواياتها إلى معظم اللغات الحية، وقارب ما طُبِع منها بليونَي (ألفَي)
مليون نسخة!

وُلدت أغاثا كريستي في بلدة توركي بجنوب إنكلترا عام ١٨٩٠
وتوفيت عام ١٩٧٦ وعمرها نحو خمسة وثمانين عاماً. لم تذهب
أغاثا قط إلى المدرسة، بل تلقت تعليمها في البيت على يد أمها التي
دفعته إلى الكتابة وشجعتها عليها في وقت مبكر من حياتها، كما
تخبرنا هي نفسها؛ فحينما كانت نزيلة فراشها تتعافى من مرضٍ ألمَ بها
سألها أمها: "لماذا لا تكتبين قصة؟"، أجابت فوراً: "ولكني لا أظنني
قادرة على ذلك"، فقالت الأم: "بلى، تستطيعين. جرّبي وسترين". عندئذ
كتبت أغاثا أول رواية لها وعنوانها «تلوج على الصحراء»، وهي رواية
رفعتها الناشر فلم تُنشر قط. أما الرواية الثانية «القضية الغامضة في
سايلز» التي ظهر فيها بوارو للمرة الأولى، فقد أدخلتها إلى عالم

جميع الحقوق محفوظة للناشر:

مؤسسة الأجيال للتأليف والترجمة والنشر

بموجب الاتفاق المخطي الموقع بينه وبين ممثلي المؤلفة القانونيين.
يُمنع نقل أو تخزين أو إعادة إنتاج أي جزء من هذا الكتاب
بأي شكل أو بأية وسيلة: تصويرية أو تسجيلية أو إلكترونية
أو ميكانيكية أو غير ذلك إلا بإذن خطي مسبق من الناشر.

Arabic edition published by AJYAL Publishers
E-mail: agatha@al-ajyal.com

الطبعة الثالثة

٢٠٠٢

التوزيع في جميع أنحاء العالم: دار الراتب الجامعية
ص ب 14 5 229 بيروت - لبنان 110 5 2020
هاتف: 03/877180-01/853993-01/853895
E-mail: el-rateb@cyberia.net.lb



دار الراتب الجامعية
DAR EL RATEB AL JAM'IA

الكتابة الرحيب، وذلك حين نُشرت -أخيراً- بعدما رفضها ستة من الناشرين!

عاشت أغاثا طفولة سعيدة، إذ كانت صغرى ثلاثة أولاد لأبٍ مَرِحٍ مُحبٍّ للحياة وأم ذكية طموحة، وقد ظَلَّتْ -حتى آخر حياتها- تذكر بينها الذي وُلدت ونشأت فيه بكثير من الشوق والحنين. ولكن هذه السعادة لم تدم؛ فقد توفي والدها وهي في الحادية عشرة محلفاً لأسرته مشكلات مادية لم تلبث أن أدخلت أغاثا في عالم المسؤولية والظروف الصعبة.

وحينما قامت الحرب العالمية الأولى تطوعت أغاثا للعمل في أحد المستشفيات معرّضةً لتساعد جرحى الحرب، وفي هذا المستشفى عملت بتحضير وتركيب الأدوية وتعرفت إلى السموم وتراكيبها مما كان له أثر بالغ الفائدة في كتاباتها اللاحقة عن الجرائم.

وفي تلك الفترة تزوجت طياراً شاباً اسمه آرشيبالد كريستي، في عام ١٩١٤، ولكنها انفصلت عنه عام ١٩٢٨ بعد موت والدتها بقليل. ولم تلبث أن تزوجت -مرة أخرى- عام ١٩٣٠ عالم الآثار الشهير السير ماكس مالوان، وهو الذي أمضت برفقته سنوات من عمرها في المشرق (في العراق وسوريا ومصر) فحايث أحداث عدد من رواياتها لتقع في هذه البلاد، مثل: «موت على النيل»، و«جاؤوا إلى بغداد»، و«جريمة في العراق». وحينما سافرت على متن قطار الشرق السريع خرجت بواحدة من أشهر رواياتها: «جريمة في قطار الشرق السريع».

تحدثت أغاثا كريستي عن نفسها فقالت: "لو سُئِلت عن ميولي

لأجبت بأنني أحب كل طعام جيد، وأكره الكحول وكل ما يدخل في صنعه الكحول. حاولت التدخين فوجدته بغيضاً ولم أجد ما يغريني بالتعلق به. أحب الأزهار، وأعشق البحر، وأهوى السفر ولا سيما في بلدان الشرق الأدنى. أحب المسرح وأكره الأفلام الناطقة إذ أعجز عن متابعتها، وأكره الإذاعة وضوضاءها، وأبغض المدن وازدحامها".

أما قصصها فتتميز بدقة خبثتها وتربط أحداثها ومنطقية تسلسلها. تغور فيها في أعماق النفوس البشرية محللةً كوامنها باحثة عن دوافعها بعقربة فذة وبصيرة نافذة. وهي قصص «نظيفة» بريفة من إثارة المشاعر والغرائز وليس فيها ما يُحجل أو يُسوء. وقد حرصت على أن تقول لنا فيها دائماً: "لا بدّ أن ينتصر الخير"، و"الجريمة لا تفيد".

أشهر أبطالها هيركيول (هرقل) بوارو، والآنسة ماربل. أما بوارو فقد «وُلد» في قصتها المنشورة الأولى «القضية الغامضة في ستابلز»، في عام ١٩٢٠، واستمرّ بالظهور في روايات لاحقة لمدة خمس وخمسين سنة حتى «قُتل» أخيراً في عام ١٩٧٥ في روايتها «الستارة». وهو محقق بلجيكي وشرطي متقاعد أهم ما يميّزه ذكاؤه الحارق (الناتج عن «الحلايا الرمادية الصغيرة» في دماغه) وشارباه العظيمان اللذان ليس لهما مثل في الدنيا! وغالباً ما يرافقه -في تحقيقاته- صاحبه الشهير، الضابط المتقاعد، الكابتن هيسينغز، الذي يتميز بطبيعته الطيبة وذكائه المتواضع وحمه الكبير لبوارو.

وأما الآنسة ماربل فهي عانس عجوز ذات ذكاء بالغ وإدراك حبيب، وتتمتع بقدرة فذة على الملاحظة والتحليل وفهم عميق للنفس

البشرية بحيث تكشف أسرار الجرائم مستفيدة من شبكة واسعة من الأصدقاء والمعارف والعلاقات الاجتماعية الناجحة.

كُتبت أغاني كريستي من روايات وقصص الجريمة سبعاً وستين رواية طويلة وعشرات من القصص القصيرة التي نُشرت في ثلاث عشرة مجموعة، وبذلك يكون عدد ما نُشر لها من الأعمال البوليسية ثمانين كتاباً. كما كُتبت ست روايات طويلة رومانسية باسم مستعار هو «ماري ويستماكوت»، وست عشرة مسرحية أشهرها «مصلحة الفئران» التي تُعتبر أطول المسرحيات عرضاً في التاريخ؛ إذ ما زالت تُعرض في لندن (دون انقطاع تقريباً) منذ عام ١٩٣٠، أي لنحو سبعين عاماً! أما سيرة حياتها، التي كُتبت في قليل وفاتها، فقد نُشرت بعد موتها بعام واحد، وسوف نَقْدِمُ ترجمتها إلى قرائنا (مع كتاب ذكرياتها الآخر «تعالى أخيراً كيف تعيشين» الذي نشرته عام ١٩٤٦ وسردت فيه ذكرياتها عن رحلاتها مع زوجها)، حيث ستكون هذه هي المرة الأولى التي يُترجم فيها هذان الكتابان إلى اللغة العربية.

* * *

الفصل الأول

رفيقة سفر

توجد حكاية مشهورة مفادها أن كاتباً شاباً كان عازماً على أن يجعل افتتاحية قصته قوية وفريدة إلى حدٍّ من شأنه أن يجذب ويأسر انتباه أكثر الناشرين سأمًا وتبرُّماً، فقام بتسطير الجملة التالية: "قالت الدوقة: تَباً!". والغريب أن حكايتي هذه تبدأ بالأسلوب ذاته إلى حدٍّ بعيد، باستثناء أن تلك التي أطلقت تلك العبارة لم تكن دوقة!

كان ذلك يوماً في أوائل شهر حزيران، وكنتُ عائداً من عمل قضيتُهُ في باريس، مُستقلاً قطار الصباح إلى لندن حيث ما زلتُ أسكن مع صديقي القديم هيركيول بوارو، رجل التحري البلجيكي السابق.

كان القطار السريع المتجه إلى كاليه شبه فارغ، والحقيقة أن أحداً لم يشاركني مقصوري سوى مسافرة واحدة. كنتُ قد غادرتُ فلدلبي بشكل عاجل بعض الشيء، وعندما بدأ القطار مسيره كنتُ منشغلاً بالتأكد من أنني جمعت كل أمتعتي ولم أنس شيئاً في القناديل. حتى ذلك الحين لم أكن قد انتهيت كثيراً لوجود رفيقة

سفري، ولكنها الآن قد شئت انتباهي بقوة لوجودها، إذ قفرت عن مقعدها، وأنزلت زجاج النافذة وأخرجت رأسها، لتعود فتدخله بعد لحظات قاذفة بتلك الكلمة المختصرة القوية: "تيا".

أنا رجل من الطراز القديم، وأعتقد أن على النساء أن يتحلين بالأنوثة والرقّة، ولا أطيع الفتاة الحديثة صاحبة النزوات التي تقضي يومها بالرقص الصاخب من الصباح للمساء، وتدخن كأنها مدخنة، وتستخدم ألفاظاً تخجل منها باتعات السمك في سوق بيلنغزغيت!

رغبتُ بصري عابساً قليلاً لأجد وجهاً جميلاً وقهاً تعلوه قبة حمراء بهيجة، وخصلات من الشعر الأسود الكثيف تغطي الأذنين. قدّرتُ أنها لم تتجاوز السابعة عشرة إلا قليلاً. ولكن وجهها كان مغطىً بالمساحيق، وكانت شفتاها مطلبتين باللون القرمزي لدرجة لا تكاد تُصدق.

لم تحرجها نظرتي أبداً، بل ردّت عليها، ولوت وجهها بشكل مُعبرٍ وقالت كأنها تخاطب جمهوراً وهمياً: واحجلتاه... لقد صدّتنا السيّد المهذب! اعتذر عن ألفاظي! إنها لا تليق بفتاة مهذبة، ولكن أوه، يا ربي، لديّ سبب وجيه لذلك! أتدري أنني فقدتُ אחتي الوحيدة؟

قلتُ بهتديب: حقاً؟ يا له من أمر مؤسف.

علّقت الفتاة قائلة (معرّضة بي): إنه يستهجن... يستهجنُ تماماً، يستهجنُ وجودي، وقصة אחتي. هذا منتهى الظلم! إذ أنه لم يرها!

فنتحتُ فمي لأتكلم، ولكنها سبقتني: لا تقل المزيد... ما من

أحد يحبني! سأذهب إلى الحديقة وأكل الدبدان! أوهوووو. إنني محطمة!

ثم دفنت وجهها خلف صحيفة فكاهية فرنسية. وبعد لحظات رأيتُ عينيها تسترقان النظر إليّ من فوق حافة الصحيفة. ولم أستطع منع نفسي من التبسّم، وخلال لحظة قدّفت الصحيفة جانباً وانفجرت في نوبة ضحك عالٍ، ثم قالت: لقد عرفتُ أنك لست مغفلاً كما يدل مظهرك.

كان ضحكها مُعدياً إلى الحد الذي لم أتمالك نفسي معه من مشاركتها ضحكها، رغم أنني لم أستسغ إطلاقاً كلمة "مغفل".

قالت الفتاة ببحث: اسمع! نحن الآن أصدقاء! قل إنك آسف! بشأن אחتي...

- إنني حزين لأجلها!

- أنت الآن ولد طيب!

- دعيني أكمل. كنتُ أود أن أضيف بأنني -رغم حزني لأجلها- أستطيع أن أتدبر أمرٍ بشكل جيد في غيابها.

ثم قمتُ بانحناءة طفيفة.

ولكن هذه الشابة التي يستحيل التنبؤ برود أفعالها عيست وهرت رأسها قائلة: كُفّ عن ذلك. إنني أفضّل حركة "الاستهجان العارفع" التي تحيدها تلك، على موقفك هذا. انظر إلى وجهك! إنه باقوا! "ليست منا". وأنت مصيب في ذلك... مع أن التمييز أصبح

- آه، فهمت!

- إنني أمريكية بالولادة، ولكنني قضيتُ معظم حياتي في إنكلترا. ولدنا الآن عرض جديد...

- لديكم؟

- نعم، أنا وأختي. من النوع الغنائي الراقص، مع قليل من النكات السريعة، ووصلة من عملنا القديم. إنها فكرة جديدة تماماً. الجمهور يستمتع بها في كل مرة، وستحقق دخلاً جيداً...

انحنت صديقتي الجديدة للأمام وبدأت تتحدث باستمرار، فيما كان الكثير من مقرراتها غير مفهوم أبداً بالنسبة لي. ومع ذلك فقد وجدت نفسي أغالب اهتماماً متعاطفاً بها. بدت وكأنها مزيج غريب من طفلة وامرأة. ومع أنها كانت ذنبوية النزعة تماماً، وقادرة - كما قالت - على المحافظة على نفسها، إلا أن شيئاً ساذجاً إلى حدٍ غريب كان يميز موقفها أحادي النظرة تجاه الحياة، وعزمها الوطيد على "النجاح".

مررنا بمدينة إيميزر، وقد أيقظ الاسم كثيراً من الذكريات لدي. ويبدو أن رفيقتي أحست غريباً بما يحول في خاطري، إذ قالت: هل تفكر في الحرب؟

أومات برأسي بالإيجاب فقالت: أحسب أنك خضتُ غمارها، اليس كذلك؟

- لقد خضتُ غمارها طويلاً وعرضاً، وقد خُرحتُ مرة. وبعد

صعباً جداً هذه الأيام. ليس بوسع كل امرئ أن يميز بين الدوقة ونصف الدوقة. حسناً، أعتقد أنني صدمتك مرة أخرى! لعلك أحد مُستحاثات المناطق النائية.. أظنك كذلك. رغم أنه لا اعتراض لي على ذلك، إذ بوسعنا أن نتحمل وجود البعض من أمثالك، إلا أنني أكره الحريء الصفيق... إن رؤيته تصيبني بالجنون.

وهزت رأسها بعنف.

سألتها مبتسماً: وكيف تدين عندما تصابين بالجنون؟

- أصبح شيطانة صغيرة بكل معنى الكلمة... لا أهتم بما أقوله أو بما أفعله! لقد كدتُ أقتل شاباً ذات يوم. نعم، بالفعل. وقد كان يستحق ذلك أيضاً.

قلتُ متوسلاً: حسناً، أرجو ألا يهيبك الجنون معي.

- لا تخف، فقد أحبيبتك... أعجبتني من أول لحظة وقعت فيها عيناك عليك. ولكن بدا عليك من الاستهجان ما استبعدتُ معه تماماً أن نصبح أصدقاء.

- حسناً، إننا أصدقاء الآن. أخبريني عن نفسك.

- إنني ممثلة. ولكن، كلا.. لستُ من النوع الذي تفكر فيه. لقد صعدتُ خشبة المسرح منذ أن كنتُ طفلة في السادسة من عمري... أظير في الهواء.

قلتُ حائراً: عفواً، ماذا قلتُ؟

- ألم يسبق لك أن رأيت أطفالاً يقومون بالعباب بهلوانية؟

معركة سوم أعفوني وسرحوني نتيجة إصابتي. وأنا الآن أعمل سكرتيراً
خاصاً لأحد أعضاء البرلمان.

- يا إلهي! هذا عمل مفكرين.

- كلا، ليس كذلك؛ فلا يوجد إلا القليل القليل لأفعله. لا
يستغرق العمل مني سوى ساعتين يومياً، وهو عمل مُعَمَّلٌ، والحقيقة
أنني لا أدري ماذا كنتُ سأصنع لو لم يكن لديّ ما أشغل به وقتي.

- لا تقل إنك تجمع الفراشات!

- كلا، إنني أنقاسم السكن مع رجل يسألني كثيراً، وهو
رجلٌ تحرّ بلجيكي سابق، وقد بدأ عمله كرجل تحرّ خاص في لندن
ولقي نجاحاً رائعاً. إنه حقاً رجل عجيب. لقد برهن أكثر من مرة أنه
على صواب وأن هيئة الشرطة الرسمية على خطأ.

أصغت رفيقتي وقد اتسعت عيناها اهتماماً، ثم قالت: أليس
ذلك ممتعاً؟ إنني أموت حباً بقصص الجرائم وأحضر جميع الأفلام
البوليسية، وعندما تقع جريمة قتل تحدثني أكتهم الصحف التهاماً.

- هل تذكرين قضية ستايلز؟

- دعني أتذكّر... أهي قضية تلك العجوز التي سجموها في
مكان ما قرب إيسيكس؟

- نعم. لقد كانت تلك أول قضية كبيرة يتولاها بوارو. ومما
لا شك فيه أنه لولا بوارو لكان القاتل قد نجا بقلته. كانت عملية
رائعة من عمليات التحري.

وعلى سبيل التسخين لموضوعي استعرضتُ أهم النقاط
والأحداث في تلك القضية، وصولاً إلى الحل الناجح غير المتوقع
لها. وقد أصغت الفتاة للقصة كالمسحورة. وفي الواقع أننا كنا غارقين
في ذلك الحديث بحيث وصل القطار إلى كاليه دون أن نشعر بذلك.

طلبتُ حمّالين، ثم نزلنا إلى الرصيف. مدت رفيقتي يدها
مصافحة وقالت: وداعاً، سأنتبه لألفاظي بشكل أفضل في المستقبل.

- أوه، ولكن أئن تَدْعِينِي أعطني بك على متن المركب؟

- قد لا أستقل المركب. عليّ أن أرى إن كانت أختي تلك
قد استقلت أيّ قطار، ولكن شكراً على أية حال.

- آه، ولكننا سنلتقي ثانية بالتأكيد، أليس كذلك؟

ثم صيحتُ وقد استدارت مغادرة: أئن تخبريني ما هو اسمك؟
التفتت إليّ وقالت ضاحكة: سندريلا.

ولم أفكر كثيراً متى وكيف سأرى سندريلا مرة أخرى.

• • •

الفصل الثاني

استغاثة

في الساعة التاسعة وخمس دقائق في صباح اليوم التالي دخلتُ غرفة جلوسنا المشتركة لتناول الإفطار. كان صديقي بوارو -المنتظم في مواعيده بالدقيقة والثانية- يقشّر بيضة إفطاره الثانية.

انفجرت أساريره لي عندما دخلتُ وقال: هل نمت جيداً؟ وهل تعافيت من ذلك العبور الفظيع للبحر؟ أمر رائع أنك صحت في وقتك هذا الصباح. اسمح لي، إن ربطه عنقك غير مُنسقة... اسمح لي أن أعيد تعديلها لك.

لقد وصفتُ هيركيول بوارو في مناسبة سابقة. إنه رجل ضئيل الجسم إلى أبعد الحدود، لا يتجاوز طوله مئة وستين سنتيمتراً، ذو رأس بيضوي يميل قليلاً إلى الجانب، وعينين تشعان باللون الأخضر عندما يتفعل، وشاربين عسكريين منتصبين، وإحساس مرهف بالكرامة! كان أنيقاً مُهَنِّد الشكل، متحمساً للأناقة والترتيب أبداً كان نوعهما، وكانت رؤية تحفة وُضعت بشكلٍ مائل، أو ذرة غبار، أو خطأ بسيط في ملابس أي إنسان... تسبب عذاباً لهذا الرجل لا يصير عليه حتى

يشغلي نفسه بمعالجة الموضوع. كان "النظام" و"المنهجية" شغل الشاغل. وقد اعتاد أن ينظر باستخفاف إلى الأدلة المحسوسة كأثار الأقدام ورماد لقائف التبغ... وربما صرّح بأن تلك الأدلة -إذا ما أخذت بمفردها- لا يمكن أبداً أن تمكن رجل التحري من حل أية معضلة. وبدلاً من ذلك، كان من شأنه أن يقرع على رأسه البيضوي برضىٍ سخيف عن الذات، ويقول بفناعة وطيدة: "إن العمل الحقيقي يتم هنا، في الداخل، في الخلايا الرمادية الصغيرة للدماغ. تذكر دائماً الخلايا الرمادية يا صديقي".

أخذتُ مكاني على الكرسي وقلتُ متكاسلاً -جواباً على تحية بوارو وملاحظته عن رحلة البحر- إن ساعة سفي في البحر من مدينة كاليه إلى دوفر لا تكاد تستحق أن نعيّرها بلفظة من طراز "فطيع"... ثم سألت: هل وصلتُ أية رسائل مثيرة باليريد؟

هزّ بوارو رأسه بعدم قناعة وقال: لم أطلع -بعد- على يريد اليوم، ولكن لا يصل شيء يثير الاهتمام في هذ الأيام. إن المحرمين العظام... المحرمين ذوي "المنهجية"... لم يعد لهم وجود!

ثم هزّ رأسه باكتئاب، فيما انفجرتُ أنا ضاحكاً وقلت: هيا، اباهج يا بوارو، لا بد أن يتغير الحظ. افتح رسائلك، فما يدريك! أعل قضية كبرى تلوح في الأفق.

ابسم بوارو وأخذ سكين فتح الرسائل وفضّ بها أطراف المغلفات العديدة أمامه، ثم أخذ يستعرضها: هذه فاتورة، وهذه فاتورة أخرى. يبدو أنني أصبحتُ مسرفاً في شيوخوتي. آه! رسالة من حاب.

- نعم؟

قلتُ ذلك وقد انتصبت أذناي؛ فقد كان جاب -المفتش في شرطة سكوتلاند يارد- كثيراً ما يقدم لنا قضاياه المثيرة.

- إنه يشكرني فقط (بأسلوبه الخاص) على نصيحة صغيرة في قضية أبرسووث تمكن من خلالها من الاهتداء للطريق الصحيح. يسرني أنني كنتُ ذا فائدة له.

واستمر يوارو في استعراض رسائله بهدوء، ثم قال: وهذه دعوة لي لإلقاء محاضرة في الفرع المحلي لجمعية فتيان الكشفاء. وستكون كوتيسة فورفانوك ممثلة لو مررتُ لرؤيتها... لا شك أنها فقدت قطعة مُدلة أخرى! والآن إلى الرسالة الأخيرة. آه...

رفعتُ نظري إليه إذ سرعان ما لاحظتُ التغيير في نبرة صوته. كان يوارو يقرأ بانتباه. وبعد دقيقة ناولني الورقة وقال: هذه خارجة عن المألوف يا صديقي... اقرأها بنفسك.

كانت الرسالة مكتوبة على ورق أجنبي بخط مميز ثخين:

فيلا جينيفيف

ميرلينفيل -سور-مير-فرنسا.

سيدي العزيز،

إنني بحاجة إلى خدمات رجل تحرّ، ولا أريد (لأسباب سأشرحها لك لاحقاً- أن أستدعي الشرطة الرسميين. لقد سمعتُ عنك من أطراف مختلفة، وكل التقارير تفيد بأنك لست رجلاً ذا مقدرة عالية فحسب، بل أنك -أيضاً-

رجل يعرف كيف يكون كنوماً. لا أريد أن التمس البريد على التفاصيل، ولكنني -بسب سر احتفظ به- عرضة لخوف يومي على حياتي. إنني مقتنع بأن الخطر داهم وعظيم، ولذلك أتوسل إليك ألا تضع وقتاً في القيد إلى فرنسا. سأرسل سيارة لاستقبالك في كاليه إن أبرقتُ لى بموعد وصولك، سأكون معتماً إن تركتُ كل القضايا التي تشغلك حالياً وكرست نفسك تماماً لمصلحتي. وأنا مستعدٌ لدفع أي تعويض يتطلبه الأمر، وربما احتجتُ إلى خدماتك لفترة طويلة؛ إذ قد تستدعي الضرورة سفرك إلى سانتياغو، حيث قضيتُ سنوات عديدة من عمري. وسوف أكون راضياً بطلبك أنت لأية أجور تريدها. وأؤكد لك مرة أخرى أن القضية مُلحة.

المخلص: ب. ت. رينو

وتحت التوقيع كان مسطر تمت خربشته على عجل بحيث لا يكاد يُفهم: "بالله عليك تعال!"

أعدتُ الرسالة ليوارو وقد تسارعت نبضات قلبي وقلت: أهيراً! ها هي قضية خارجة بالتأكيد عن المألوف.

قال يوارو متأملاً: نعم، حقاً.

- أنت ذاهب بالطبع.

أولاً يوارو برأسه بالإيجاب. كان يفكر بعمق، وأخيراً بدا وكأنه قد عزم أمره. نظر إلى الساعة ووجهه طافح بالحيرة والتجهم، وقال: اسمع يا صديقي، ليس لدينا وقت نضيعه. إن القطار السريع

باتجاه أوروبا يغادر محطة فيكتوريا في الساعة الحادية عشرة. لا
تبلبل نفسك، قلدينا الكثير من الوقت، ويمكن أن نقضي عشر دقائق
في النقاش. إنك آتٍ معي، أليس كذلك؟

- حسناً، إن...

- لقد أخبرتني بنفسك بأن رئيسك لا يحتاجك خلال الأسابيع
القليلة القادمة.

- أوه، هذا صحيح. ولكن السيد رينو هذا يُلَمَح بقوة إلى أن
قضيته خاصة وسرية.

- هيا... هيا! سأتدبر أمر السيد رينو. وبالعنصرية، يبدو لي
أنني أعرف هذا الاسم.

- في أمريكا الجنوبية مليونير مشهور يحمل اسم رينو، لا أدري
إن كان هو نفسه.

- بالتأكيد. ذلك يفسر ذكر مدينة سانتياغو فسانتياغو في
تشيلي، وتشيلي في أمريكا الجنوبية آه، ها نحن نتقدم بشكل رائع!
هل لاحظت العبارة التي وضعها في حاشية رسالته؟ ماذا استرعى
انتباهك فيها؟

فكرت قليلاً ثم قلت: من الواضح أنه كتب الرسالة وهو
مُحتفظ تماماً برابطة جاشه، ولكنه فقد السيطرة على نفسه في
النهاية، وقام -من وحي اللحظة- بخبرشة تلك الكلمات اليائسة الثلاث.

ولكن صديقي هز رأسه بقوة مُستبعداً رأيي وقال: أنت مخطئ.

ألم ترَ أن حير توقعه يكاد يكون أسود، في حين أن لون الحبر في
تلك العبارة في الحاشية باهت تماماً؟

قلتُ حائراً: حسناً، والمعنى؟

- يا إلهي، استخدم خلايا دماغك الرمادية يا صديقي. أليس
الأمر واضحاً؟ لقد كتب السيد رينو رسالته، ثم أعاد قراءتها بإمعان
قبل أن يحذف حبرها بالورق النشاف، ثم قام بعد ذلك (ليس من
وحي اللحظة، بل عامداً) بإضافة تلك الكلمات الأخيرة، ثم نشف
الورقة بالورق النشاف.

- ولكن لماذا؟

- لكي تخلف لديّ الرسالة ذلك التأثير الذي خلّفته لديك.

- ماذا؟

- نعم، حتى يضمن حضوري! لقد أعاد قراءة الرسالة ولم
يصدق بها، لأنها لم تكن قوية بما فيه الكفاية.

سكت قليلاً، ثم أضاف بهدوء وعيناه تشعان بذلك البريق
الأحمر الذي يدل دوماً على حماسة داخلية: ولذلك يا صديقي،
طالما أن تلك الحاشية لم تتم إضافتها عرضاً ومن وحي اللحظة، يا
إلهي! تعقل وهدوء، فإن قضيته مُلحة وعاجلة جداً، وينبغي أن نصل
إليه في أسرع وقت ممكن.

ألمستُ متأملاً: ميرلينيل... أعتقد أنني سمعتُ بها.

أوما يوارو موافقاً وقال: إنها بلدة صغيرة تماماً... ولكنها

جميلة. عند منتصف الطريق تقريباً بين بولون وكاليه. أحسب أن للسيد رينو منزلاً في إنكلترا، أليس كذلك؟

- نعم، في روتلاندغيت كما أذكر. كما أن له بيتاً ضخماً في الريف، في مكان ما من هيرتفورشير، ولكنني لا أعرف في الواقع إلا القليل عنه، فهو ليس من النمط الاجتماعي كثيراً. أحسب أن لديه مصالح أمريكية جنوبية في سوق لندن، وقد قضى معظم حياته في تشيلي والأرجنتين.

- حسناً منسمع كل التفاصيل من الرجل نفسه. هيا، دعنا نحزم حقائبنا. حقيبة صغيرة لكل منا، ثم نستقل سيارة أجرة إلى محطة فكتوريا.

في الساعة الحادية عشرة غادرنا محطة فكتوريا في طريقنا إلى دوفر، وكان بوارو قد أبقى قبل مغادرتنا إلى السيد رينو محدداً وقت وصولنا إلى كاليه.

كنت أعرف طبيعة صديقي بوارو عندما يسافر بحراً، بحيث تحببت التدخل في خلوته. كان الطقس رائعاً، والبحر أهدأ من بركة الطاحون التي تضرب بهدونها الأمثال، ولذلك لم أعجب أهدأ عندما جاءني بوارو مبتسماً عند نزولنا في كاليه. وهناك كانت بانتظارنا عربة أمل، إذ لم يتم إرسال سيارة لاستقبالنا، ولكن بوارو عزانا ذلك إلى تأخر نقل يرقته.

قال مبتهجاً: سنستأجر سيارة أجرة.

وبعد بضع دقائق كنا نترجرج ونضعض باتجاه ميرلينغيل في

أعنتق وأكلّ سيارة يمكن أن تعمل على تلك الطرقات. كانت معنوياتي في أوجها، ولكن صديقي الضئيل كان يراقبني بحدية واكتئاب. قال: إنك تذكرني يا هيستغر بتلك الكلمة التي يقولها الاسكتلنديون عندما يرون شخصاً بالغ النشاط والحماس، فيأخذون ذلك على أنه النشاط الذي يسبق الموت، فيقولون إنه "مقدور". إن شكلك ينذر بكارثة.

- هراء... أنت على كل حال لا تشاركني مشاعري.

- كلا، ولكني عائف.

- خائف مم؟

- لا أدري، ولكنني أحس بنذر داخلية... لا أدري لماذا!

كان يتكلم بحدية ووقار جعلاني أتاثر بهما رغماً عني. قال بعدة: إن لدي إحساساً بأن هذه القضية ستكون قضية كبرى ومشكلة طويلة متعبة لن يكون من السهل حلها.

كان بودي أن أسفسر منه أكثر من ذلك، ولكننا كنا قد بدأنا ندخل بلدة ميرلينغيل الصغيرة، وتمهلنا قليلاً لكي نسأل عن الطريق إلى فيلا جينييف.

- إلى الأمام مباشرة أبها السيد، عبر البلدة. إن فيلا جينييف بعد حوالي نصف ميل إلى الجانب الآخر. لن تجدوا صعوبة في الإحدااء إليها، إنها فيلا ضخمة تطل على البحر.

شكرنا الرجل الذي دلتنا، وتابعنا سيرنا تاركين البلدة خلفنا.

وبعد أن تجاوزنا مفترق طرق مرة أخرى رأينا فلاحاً يسير مجهداً
باتجاهنا فانتظرنا وصوله إلينا لنسأله عن الطريق من جديد. كانت
تتنصب قرب الطريق تماماً فيلا صغيرة، ولكنها كانت أصغر وأكثر
تهديعاً من أن تكون بُعَيْتاً. وفيما كنا ننتظر فُتِحَ باب تلك الفيلا
وخرجت منه فتاة.

كان الفلاح يعبر أمامنا الآن، وقد أطل السائق برأسه وسأله
عن الطريق فقال: فيلا جينيفيف؟ مجرد خطوات على هذا الشارع
إلى اليمين يا سيد. كان يوسعك أن تراها لولا هذا المتحني.

شكره السائق وشغل سيارته مرة أخرى. افتتحت عيناى بتلك
الفتاة التي وقفت ساكنة تراقبنا وإحدى يديها على البوابة. كانت
طويلة جداً وشعرها الذهبي يتلألأ في ضوء الشمس، وأقسمت لنفسى
بأنها واحدة من أجمل الفتيات اللاتي رأيتهن في حياتي. وفيما تقدمنا
في الطريق الوعر أدركت رأسي لأنابها بنظري وهمتفت: بالله عليك
يا بوارو، هل رأيت تلك الحورية الشابة؟

رفع بوارو حاجبيه دهشة وتمتم: هل بدأت! اكتشفت حورية
بهذه السرعة!

- دعك من هذا كله، أليست حورية؟

- ربما، لم ألحظ تلك الحقيقة.

- ولكنك انتبهت للفتاة دون شك؟

- يا صديقي، نادراً ما يرى شخصان الشيء نفسه. أنت مثلاً
رأيت حورية، أما أنا...

ثم توقف متردداً.

- نعم، أما أنت؟

- أنا لم أر إلا فتاة ذات عينيْن قلفتين.

في تلك اللحظة اقتربت سيارتنا من بوابة ضخمة محضراء، وفي
الوقت نفسه صدرت عنا كلانا علامة تعجب؛ فأمام البوابة وقف
رقيب من شرطة البلدة، ورفع يده لإيقافنا قائلاً: ليس بوسعكم العبور
أيها السادة.

صحت أنا: ولكننا نريد رؤية السيد رينو؛ إن لدينا موعداً معه.
أليست هذه الفيلا التي يسكنها؟

- نعم يا سيدي، ولكن...

تقدم بوارو بحسمه إلى الأمام وقال: ولكن ماذا...؟

- لقد قُتل السيد رينو هذا الصباح.

• • •

وتنحني جانباً. صاح القادم الجديد: عزيزي السيد بوارو. لكّم
تسري رؤيتك! إن وصولك جاء في وقته تماماً.

انفجرت أسارير بوارو وقال: السيد بيكس! إنني حقاً مسرور
لرؤيتك.

ثم أشار إليّ وقال: هذا أحد أصدقائي الإنكليزي، الكابتن
هينستغز... أقدم لك السيد لوسيان بيكس.

نحنينا أنا والمفوض لبعضنا البعض بطريقة احتفالية، ثم استدار
السيد بيكس ثانية إلى بوارو وقال: يا عزيزي، إنني لم أرك منذ أربع
عشرة سنة، منذ تلك المناسبة في أوستند. هل لديك معلومات
يمكن أن تفيدنا؟

- ربما كنت تعرفها أساساً. هل علمت أنه تم استدعائي؟

- كلا، من الذي استدعاك؟

- الرجل القليل. يبدو أنه كان يعرف أن محاولة تحري لقتله،
ولكنه مع الأسف تأخر كثيراً في استدعائي.

صاح الفرنسي: هذا مذهش! إذن فقد كان يتنبأ بمقتله. إن
ذلك يُبطل نظريتنا إلى حد بعيد! ولكن ادخل...

فتح البوابة، وانطلقنا نحو البيت بينما استمر السيد بيكس في
اللامه: ينبغي أن تبلغ قاضي التحقيق، السيد هوتيه، فوراً بذلك. لقد
أدركت أنه تفحص مسرح الجريمة، وهو على وشك البدء باستجواباته.

سأله بوارو: متى ارتكبت الجريمة؟

الفصل الثالث

في فيلا جينيفيف

خلال لحظة قفز بوارو من السيارة وعيناه تشتعلان انفعالاً وقال:
ما الذي تقوله؟ قُتل؟ متى؟ كيف؟

شدّ الرقيب قامته وقال: لا أستطيع الإجابة عن أية أسئلة يا
سيدي.

قال بوارو: "صحيح، فهمت..."، ثم فكر لحظة وسأله: إن
مفوض الشرطة في الداخل دون شك، أليس كذلك؟

- نعم يا سيدي.

أخرج بوارو بطاقة وكتب عليها بضع كلمات وقال: هاك! هل
تتلف بإرسال هذه البطاقة إلى المفوض فوراً؟

أخذها الرجل، ثم أدار رأسه وأطلق صغرة، وسرعان ما جاءه
زميل له فسلمه بطاقة بوارو. وبعد انتظار بضع دقائق خرج رجل
قصير بلدين ذو شاربٍ ضخيم وتقدم -هائداً- من البوابة. حيّاه الرقيب

قال بوارو: سيدي القاضي، إنني أنوي البقاء. أنا لم أصل في وقتي يسمح لي بمتع مقتل موكلي، ولكنني أشعر أنه سيكون شرفاً كبيراً لي أن أكشف قاتله.

- لا بد أن السيدة رينو ستعني -دون شك- المحافظة على خدمتلك لها. نحن ننتظر الآن السيد جيرو من دائرة الأمن في باريس. إنه على وشك الوصول، وأنا واثق أنكما ستكونان، أنتما الاثنين، قادرين على مساعدة بعضكما البعض في تحقيقاتكما. وفي هذه الأثناء أرجو أن تُشرفني بحضورك لاستجواباتي، ولعله من نافلة القول أن أؤكد أن أية معونة تطلبها ستكون تحت تصرفك.

قال بوارو: أشكرك يا سيدي. أنت تعرف أنني أجهل حالياً كل شيء تماماً، لا أعرف أي شيء عن القضية.

أوما السيد هوتيه إلى المفوض، فتولى الأخير الحديث: صباح اليوم وجدت الخادمة العجوز فرائسوا -عند نزولها لثبداً عملها- الباب الأمامي نصف مفتوح. وإذا شعرت بذعر فوري من احتمال دخول لصوص إلى البيت فقد ألقت نظرة إلى غرفة الطعام، ولكنها وجدت أواني الفضة في مكانها، فلم تُلقي بالاً للموضوع، واستتحت بأن سيدها قد نهض مبكراً دون شك وخرج ليتمشى.

قال بوارو: اعلمني على المقاطعة، ولكن هل كان ذلك من

عام ١٩٤٥؟

كلا، ولكن العجوز فرائسوا لديها تلك الفكرة الشائعة عن الإنكليز... وهي أنهم محتانين، ومستعدون للقيام بأغرب التصرفات في أي وقت! في غضون ذلك، ذهبت خادمة شابة تدعى ليوني

- لقد تم اكتشاف الحنة في حوالي الساعة التاسعة من صباح اليوم. وتُظهر شهادة السيدة رينو، وكذلك شهادات الأطباء، أن الوفاة قد حدثت في حوالي الساعة الثانية صباحاً. ادخل رجاءً.

كنا قد وصلنا إلى الدرج الذي يُفضي إلى الباب الأمامي للقبلا. وفي الصالة كان يجلس رقيب آخر نهض لدى رؤيته للمفوض. سأله المفوض بيكس: أين السيد هوتيه الآن؟

- في الصالون يا سيدي.

فتح السيد بيكس باباً على مسيرة الصالة فعبراه. كان السيد هوتيه ومساعداه يجلسان إلى طاولة ضخمة مستديرة. رفع الاثنان أنظارهما عند دخولنا، فقام المفوض بالتعريف بنا وشرح الهدف من وجودنا.

كان قاضي التحقيق، السيد هوتيه، رجلاً طويلاً نحيلاً كبيراً ذا عيين سوداوين نفاذتين، ولحية رمادية قصت بشكل مرتب واعشاد أن يداعبها أثناء كلامه. وكان يقف قرب رف الموقد رجل كهل ذو كتفين منحنين قليلاً، تمّ تقديمه لنا على أنه الدكتور ديوران.

عندما أنهى المفوض حديثه علّق السيد هوتيه قائلاً: هذا غريب جداً... هل الرسالة هنا معك أيها السيد؟

سلمه بوارو الرسالة، وقراها قاضي التحقيق، ثم قال: هممم... إنه يتحدث عن سر. كم هو مؤسف أنه لم يوضح أكثر من ذلك. إننا مدينون لك كثيراً يا سيد بوارو. إنني آمل أن تمنحنا شرف المساعدة في تحقيقاتنا... أم أنك مضطر للعودة إلى لندن؟

لندعو سيدتها كالعادة، فذهلت إذ وجدتها مقيدة مكعمة القدم، وفي نفس الوقت تقريباً جاء خبر مفاده أن جثة السيد رينو قد اكتشفت وقد فارقتها الروح تماماً، مع طعنات في الظهر.

- أين وُجدت؟

- هذه واحدة من أغرب سمات هذه القضية. فقد كانت الجثة يا سيد بوارو ملقاةً ووجهها إلى الأسفل... في قبر مفتوح!

- ماذا؟!

- نعم. كانت الحفرة قد خُفرت لتوها... على بعد بضعة أمتار فقط خارج حدود حديقة الفيلا.

- وكم كان قد مضى على موته؟

كان الدكتور ديوران هو الذي أحاب على ذلك قائلاً: لقد فحصتُ الجثة صباح اليوم في الساعة العاشرة. ولا بد أن الوفاة قد حدثت قبل ذلك بسبع ساعات على الأقل، وربما بعشر ساعات.

- همم! أي أن ذلك يحدد وقت الجريمة ما بين الساعة الثانية عشرة ليلاً والثالثة صباحاً.

- بالضبط، والدليل المتعلق بالسيدة رينو يحدد الجريمة في حوالي الساعة الثانية صباحاً، مما يساعد على استنتاج توقيت أكثر دقة. ولا شك أن الوفاة كانت فورية، ومن الطبيعي أنها لا يمكن أن تكون من فعل الضحية نفسها.

أوما بوارو برأسه فيما مضى المفوض قائلاً: تم تحرير السيدة

رينو بسرعة من الحبال التي تلتف حولها على يد الخدم الذين أصابهم الرعب، وكانت في حالة فظيعة من الضعف كادت تصل حد الإغماء من ألم قيودها. ويبدو أن رجلين مُقنعين قد دخلوا غرفة النوم، فكسماها وربطاهما، بينما احتفظا زوجها بالقوة (وقد عرفنا ذلك بشكل غير مباشر من الخدم). ولدى سماعها النبأ المأساوي أصيبت فوراً بحالة منخفة من الهياج مما حمل الدكتور ديوران على إعطائها منوماً فور وصوله، ولم نستطع بعد استجوابها، ولكن لا شك أنها ستصحو أكثر هدوءاً بحيث تتحمل ضغط التحقيق.

سكت المفوض قليلاً، فسأل بوارو: ومن هم ساكنو البيت يا سيدي؟

- العجوز فرانسوا، مديرة المنزل، وقد عاشت لسنوات طويلة مع المالكين السابقين لفيلا جينيفيف. وشابتان شقيقتان، دينيس وليوني أولار، وبيتهما في ميرلينيل، وهما ابنتان لأبوين محترمين جداً. والسائق الذي أحضره معه السيد رينو من إنكلترا، ولكنه مسافر في إجازة. وأخيراً السيدة رينو وابنتها، السيد جاك رينو، وهو أيضاً مسافر في الوقت الحاضر.

أمال بوارو رأسه، ونادى السيد هوتيه: مارشوا!

ظهر رقيب البلدة، فقال له قاضي التحقيق: أحضر فرانسوا.

جاء الرجل واحتفى، ليعود بعد لحظات ومعه فرانسوا الخائفة.

- اسمك فرانسوا أريشييه؟

- نعم يا سيدي.

- هل خدمت لفترة طويلة في فيلا جنيفيف؟

- إحدى عشرة سنة مع السيدة لانكوميس، وعندما باعت الفيلا في الربيع الماضي وافقت على البقاء مع الإنكليزي يا سيدي. لم أتصور أبداً...

قاطعها قاضي التحقيق قائلاً: صحيح، صحيح... والآن يا فرانسوا، فيما يخص مسألة الباب الأمامي، على من كانت مسؤولية قفله في الليل؟

- مسؤوليتي أنا يا سيدي، وأنا أشرف على ذلك بنفسي دائماً.

- وفي الليلة الماضية؟

- قفلته كالعادة.

- آنت متأكدة من ذلك؟

- أقسم على ذلك يا سيدي.

- في أية ساعة كان ذلك؟

- في الوقت المعتاد، العاشرة والنصف يا سيدي.

- وماذا عن باقي ساكني البيت، هل أروا إلى النوم؟

- كانت السيدة قد ذهبت للنوم قبل ذلك، وقد صعدت دينيس وليوني للنوم معي، وكان السيد ما يزال في مكتبه.

- إذن فإن كان أحدهم قد فتح الباب بعد ذلك، فلا بد أن يكون السيد رينو نفسه، أليس كذلك؟

رفعت فرانسوا كتفها العريضين حيرة وقالت: ولماذا يفعل ذلك... مع مرور اللصوص والقنلة في كل دقيقة؟ فكرة غريبة! لم يكن سيدي مغفلاً، ولا يبدو أنه اضطر لإخراج السيدة...

قاطعها قاضي التحقيق بحدة: السيدة؟ أية سيدة تعين؟

- السيدة التي جاءت لرؤيته.

- وهل جاءت سيدة لرؤيته في ذلك المساء؟

- نعم يا سيدي... وفي الكثير من الأمسيات الأخرى أيضاً.

- من هي؟ هل تعرفونها؟

ظهرت على وجه المرأة نظرة لا تخلو من مكر وقالت متلمسة: وكيف لي أن أعرف من هي؟ لم أكن أنا التي أدخلتها ليلة أمس.

صاح قاضي التحقيق وهو يضرب الطاولة بقيضته: أها! أتريدين العث مع الشرطة؟ إنني أطلب منك أن تخبريني فوراً باسم هذه المرأة التي أتت لزيارة السيد رينو مساء.

قالت فرانسوا متبرمة: الشرطة... الشرطة، لم يخطر لي أبداً أنني سيكون لي شأن مع الشرطة. ولكنني أعرف جيداً من هي؛ إنها السيدة دوبريه.

صدرت عن المفوض آهة تعجب، واتكأ إلى الأمام وكأنه في غابة الدخنة وقال: السيدة دوبريه... الساكنة في فيلا مارغريت في أفيل الطريق؟

- نعم يا سيدي، هذا ما عنيته. إنها امرأة جميلة.

ثم لوت العجوز رأسها بازدياء.

تتم المقوض: السيدة دوبريه... مستحيل.

قالت فرانسوا شاكية: نعم، هذا كل ما يناله المرء من قول الحقيقة.

قال قاضي التحقيق مُسترضياً لها: أبدأ، أبدأ. لقد اندهشنا، هذا كل ما في الأمر. إذن فالسيدة دوبريه والسيد رينو كانا...؟

سكتَ بشكل مُوحٍ، ثم سأل: إيه؟ أكان الأمر كذلك؟

- وكيف لي أن أعرف؟ ولكن ماذا تقول أنت؟ لقد كان سيدي إنكليزياً... وغنياً جداً، وكانت السيدة دوبريه فقيرة... وحميلة جداً، وكانت تعيش بهدوء مع ابنتها. ولا شك أبدأ أنها كانت ذات تاريخ! إنها لم تعد شابة صغيرة، ولكن ماذا في ذلك! أنا التي أتكلم معك شاهدت رؤوس الرجال تلتفت وراءها وهي تمشي في الشارع. وفوق ذلك فقد توفّر لها في الفترة الأخيرة مال زائد تصرفه. البلدة كلها تعرف ذلك... لقد انتهى عهد الاقتصاد والتقتير!

ثم هزت فرانسوا رأسها كمن لا يهتز يقينه أبدأ.

نظر السيد هوتيه على لحيته متأملاً ثم سأل أخيراً: والسيدة رينو؟ كيف تصرفت مع هذه... الصداقة؟

رفعت فرانسوا كتفها وقالت: لقد كانت دوماً في غاية اللطف... وغاية الأدب. ومن شأن المرء أن يقول إنها لم تشك بشيء. ولكن مع ذلك كله، أليس هكنا يعاني القلب يا سيدي؟ لقد

راقبتُ سيدي يوماً بعد يوم وهي تزداد شحوباً ونحولاً. ثم تعد نفس المرأة التي وصلت إلى هنا قبل شهر، وسيدي أيضاً تغير. كان لديه هو الآخر قلقه. كان يوسع المرء أن يرى أنه على شفا أزمة عصبية. ومنذاً يعجب لذلك، بوجود علاقة تحري بهذه الطريقة؟ دون أية مداورة، ودون تكتم... أسلوب إنكليزي دون شك!

تعلّملتُ ساعطاً في مقعدي، ولكن قاضي التحقيق كان مستمراً في أسئلته دون أن يلتفت إلى مسائل جانبية.

- أتقولين إن السيد رينو لم يُضطر لإخراج السيدة دوبريه؟ هل غادرت إذن؟

- نعم يا سيدي. لقد سمعتهما يخرجان من المكتب ويذهبان إلى الباب. وقال لها السيد: "ليلة سعيدة"، ثم أغلق الباب خلفها.

- في أي وقت كان ذلك؟

- في حوالي العاشرة وخمس وعشرين دقيقة يا سيدي.

- هل تعرفين متى ذهب السيد رينو إلى النوم؟

- سمعته يصعد بعد نحو عشر دقائق بعد صعودنا. إن الدرج أصدر صريراً، ولذلك فإن بإمكان المرء أن يسمع صوت أي شخص يصعد أو ينزل.

- أهذا كل شيء؟ ألم تسمعي صوت فوضى خلال الليل؟

- أبدأ يا سيدي.

- أي العدم كان أول النازلين صباحاً؟

- أنا يا سيدي، وقد رأيتُ فوراً الباب يتأرجح مفتوحاً.

- وماذا عن بقية النوافذ في الطابق السفلي، أكانت كلها مغلقة؟

- كلها كانت مغلقة، ولم أرَ أيَّ شيء يبعث على الرية أو في غير محله.

- حسناً يا فرانسوا، يمكنك الذهاب.

تحركت العجوز إلى الباب، وعند العتبة التفتت وقالت:
سأقول لك شيئاً واحداً يا سيدي؛ إن تلك السيدة دوبريه امرأة سيئة!
نعم، إن المرأة تعرف المرأة. إنها امرأة سيئة، تذكر ذلك.

ثم عرجت وهي تهز رأسها بوقار.

نادى قاضي التحقيق: ليوني أولار.

ظهرت ليوني غارقة بدموعها، تميل إلى الهستيرية. وقد تعامل
معها السيد هوتيه بشكل مباشر. كانت شهادتها تتعلق بشكل رئيس
باكتشافها لسيدتها مكعبة مقيدة، الأمر الذي وصفته بشيء من
المبالغة. وقد قالت - كما قالت فرانسوا - إنها لم تسمع شيئاً خلال
الليل.

وقد تبعها أختها دينيس التي وافقت على أن سيدها قد تغير
كثيراً مؤخراً وقالت: في كل يوم يزداد نكداً أكثر فأكثر، ويقل
طعامه. كان دوماً مكتئباً.

ولكن كانت لدينيس نظريتها الخاصة: ما من شك أن المافيا
كانت في أثره! رجلان مقتعان... ماذا يمكن أن يكون ذلك غير

المافيا؟ تلك جمعية فظيعة!

قال قاضي التحقيق على سبيل التهذبة: هذا ممكن بالطبع.
والآن يا فتاتي، هل أنت التي أدخلت السيدة دوبريه إلى المنزل ليلة
أمس؟

- ليس ليلة أمس، بل التي قبلها.

- ولكن فرانسوا أخبرتنا لتوها بأن السيدة دوبريه كانت هنا
ليلة أمس؟

- كلا يا سيدي. لقد جاءت سيدة بالفعل لرؤية السيد رينو
ليلة أمس، ولكنها لم تكن السيدة دوبريه.

ألح القاضي بالسؤال وقد اندعش لذلك، ولكن الفتاة بقيت
ثابتة على موقفها. قالت إنها تعرف شكل السيدة دوبريه تمام
المعرفة. وقد كانت هذه السيدة سمراء أيضاً، ولكنها أقصر من
السيدة دوبريه، وأصغر منها بكثير. وما كان شيء ليزحزحها عن
موقفها.

- هل سبق لك أن رأيت تلك السيدة قط؟

- أبداً يا سيدي.

لم أضفت الفتاة بشيء من الحجل: ولكنني أظنها إنكليزية.

- إنكليزية؟

- نعم يا سيدي. لقد سألت عن السيد رينو بفرنسية جيدة

تماماً، ولكن اللهجة... مهما كانت طقيفة يستطيع المرء تمييزها.
وفوق ذلك فعندما خرجا من المكب كانا يتكلمان بالإنكليزية.

- هل سمعت ما قالاه؟ أعني: هل استطعت فهمه؟

قالت دينيس بكبرياء: إنني أتكلم الإنكليزية بشكل جيد تماماً.
كانت السيدة تتكلم بشكل سريع جداً لم أستطع معه فهم ما قالت،
ولكنني سمعت آخر الكلمات التي قالها سيدي وهو يفتح لها الباب.

سكتت قليلاً ثم كررت ما سمعته بحرص ومشقة وبالإنكليزية
ركيكة: "نعم... نعم... ولكن بالله عليك اذهبي الآن!"

كرر القاضي ورائها: "نعم، نعم. ولكن بالله عليك اذهبي
الآن". ثم أخرج دينيس، وبعد لحظات من التفكير عاد فاستدعى
فرانسوا، وسألها فيما إذا كانت قد أخطأت في تحديد الليلة التي
زارتهم فيها السيدة دوبريه. ولكن فرانسوا أثبت أنها عنيدة بشكل
استثنائي؛ فقد أكدت أن السيدة دوبريه قد جاءت في الليلة الماضية،
وقد كانت هي دون شك، وإن دينيس تريد أن تعطي نفسها أهمية،
هذا كل ما في الأمر! ولذلك فقد لفقت هذه القصة حول قلوب
سيدة غريبة، كما أردت أن تستعرض إنكليزيتها أيضاً وربما لم يقل
السيد تلك العبارة باللغة الإنكليزية أبداً، وحتى لو قالها فهي لا تثبت
شيئاً، لأن السيدة دوبريه تتكلم الإنكليزية بشكل كامل، وكانت
تستخدمها عادة في حديثها مع السيد والسيدة رينو. ثم أنهت حديثها
بالقول: إن السيد جاك، ابن السيد رينو، كان دوماً هنا، وهو يتكلم
الفرنسية بشكل سيء جداً.

لم يُبصر قاضي التحقيق على هذه النقطة، بل سأل عن السائق،

وعلم أن السيد رينو قد أعلن بالأمس فقط أنه لن يحتاج استخدام
السيارة غالباً، وأن من الأفضل لاسترز أن يأخذ إحازة.

كانت تقطية حائرة قد بدأت تتجمع بين عيني بوارو، فسألته:
ما الأمر؟

هز رأسه بنفاد صبر وطرح سؤالاً: اعذرني يا سيد بيكس،
ولكن لا شك أن بمقدور السيد رينو أن يقود السيارة بنفسه؟

نظر المفتش إلى فرانسوا فأجابته العجوز بحزم: كلا، السيد
لا يقود السيارة بنفسه.

ازدادت تقطية بوارو عيوساً فقلت له بصبر نافذ: ليشك
تخبرني بما يقلقك.

- ألا ترى؟ لقد تحدث السيد رينو في الرسالة عن إرسال
السيارة لانتظاري في كاليه.

- ربما قصد سيارة مستأجرة.

- ربما كان الأمر كذلك. ولكن لماذا تستأجر سيارة عندما
تكون لديك سيارتك الخاصة؟ ولماذا اختار الأمس لإرسال السائق
في إحازة... فجأة، ومن وحي اللحظة؟ أليكون ذلك لأنه أراد -لسبب
أن يبعد السائق عن الطريق قبل أن نصل نحن؟

• • •

ومكتوبة بالإنكليزية بخط بدائي إلى حد ما:

يا أعز الناس،

لماذا لم تكتب لي طوال هذا الوقت؟ أنت ما زلت تحبني،
أليس كذلك؟ لقد أصبحت رسائلك مؤخراً مختلفة جداً،
باردة وغريبة، والآن يأتي هذا الصمت الطويل... وهذا
يحيفني. إن كان لك أن تتوقف عن حبّي! ولكن هذا
مستحيل... يا لي من طفلة سقيمة... دائماً أنتحيل
الأمور! ولكن إن توقفت فعلاً عن حبّي فلنني لا أعرف
ماذا أفعل... ربما قتلْتُ نفسي! لا أستطيع العيش من
دونك. أحياناً أتحيل أن امرأة أخرى تدخل بيننا. دعها
تحتسب، هذا كل ما أقوله... وكذلك الأمر بالنسبة لك
أيضاً! فلنني أفضل قتلك على تركها تحصل عليك! وإنني
أعني ذلك.

ولكن لا عليك، لنني أكتب هراء متبحراً فأنت تحبني،
وأنا أحبك... نعم، أحبك، أحبك، أحبك!

حيثك: بيلا

لم يكن على الرسالة عنوان أو تاريخ، وقد أعادها بوارو وهو
منهمم الوجه وقال: وما هو الافتراض؟

رفع قاضي التحقيق كتفيه حيرة وقال: من الواضح أن السيد
... كان متورطاً مع هذه السيدة الإنكليزية... بيلا! وقد جاء إلى
هنا، فقابل السيدة دوبريه، وبدأ علاقة معها. ولذلك أصبح بارداً مع
الآخرين، وقد ارتابت فوراً بوجود شيء. إن في هذه الرسالة تهديداً
واضحاً. سيد بوارو، إن القضية تبدو من أول نظرة في غاية البساطة:

الفصل الرابع

رسالة بتوقيع "بيلا"

كانت فرانسوا قد غادرت الغرفة، وكان القاضي ينقر على
الطاولة متأملاً. وأخيراً قال: سيد بيكس، إن لدينا هنا شهادتين
متناقضتين تماماً، فمن الذي نصدقه: فرانسوا أم دينيس؟

قال المفوض بإصرار: دينيس، فهي التي أدخلت الزائرة. إن
فرانسوا عجز وعقيدة، والواضح أنها تكره السيدة دوبريه. وفوق
ذلك فإن معرفتنا عميل إلى إثبات أن السيد رينو كان مرتبطاً بامرأة
أخرى.

صاح هوتيه: يا إلهي، لقد نسينا أن نخبر السيد بوارو بذلك.

بحث بين الأوراق على الطاولة، ثم سلّم الورقة التي كان
يبحث عنها إلى صديقي قائلاً: هذه الرسالة يا سيد بوارو وجدناها
في جيب الروب الذي ارتداه القتل فوق ثياب النوم.

أخذها بوارو وفتحها. وقد كانت قديمة ومجعدة بعض الشيء،

الغيرة! وتبدو حقيقة طعن السيد رينو في الظاهر وكأنها تشير تحديداً إلى أنها جريمة ارتكبتها امرأة.

أوماً بوارو برأسه وقال: الطعن في الظاهر، نعم... ولكن ليس القبرا فهذا يتطلب جهداً شاقاً، وعملاً مضنياً... ما من امرأة يمكن أن تحفر ذلك القبر يا سيدي، فهذا فعل رجل.

هتف المفوض بانفعال: نعم، نعم. أنت على حق... لم تفكر في ذلك.

استمر السيد هوتيه يقول: كما قلت، فإن القضية تبدو واضحة للوهلة الأولى، ولكن الرجلين المقتعين والرسالة التي تلقيتها من السيد رينو... كل هذا يعقد الأمور؛ إذ يبدو أن لدينا هنا مجموعة ظروف تختلف تماماً، ولا علاقة لها بالظروف النسائية المشار إليها. بالنسبة للرسالة التي أرسلت إليك، هل ترى أن من الممكن أنها تشير بأية طريقة إلى هذه المرأة "بيلا" وتهديداتها؟

هز بوارو رأسه بالنفي وقال: صعب جداً. ليس من شأن رجل كالسيد رينو محاض حياة مغامرة في أماكن نائية أن يطلب الحماية بسبب امرأة.

أوماً قاضي التحقيق برأسه بشيء من التأكيد وقال: إنها وجهة نظري تماماً. إذن فإن علينا أن نبحث عن تفسير للرسالة...

أكمل المفوض الحملة قائلاً: في سانتياغو... سأبرق دون تأخير إلى الشرطة في تلك المدينة طالبا تفاصيل كاملة عن حياة القتيل هناك: علاقاته الغرامية، وصفقاته، وصدقاته، وعن أية عداوات

ربما اكتسبها. سيكون غريباً ألا نصل بعد كل ذلك إلى رأس حيط لكشف هذه الجريمة الغامضة.

ثم نظر حوله يطلب التأييد، فقال بوارو باستحسان: ممتاز! ثم سأل: ألم تحدثوا رسائل أخرى من بيلا هذه بين أغراض السيد رينو؟

- كلا. لقد كان أول إجراءاتنا مطعاً البحث في أوراقه الخاصة في المكتب، ولكننا لم نجد شيئاً ذا أهمية. بدا كل شيء واضحاً وسليماً. الأمر الوحيد الذي كان خارجاً عن المألوف هو وصيته... وها هي.

استعرض بوارو الوثيقة ثم قال: هكذا. ألف جنيه للسيد ستونور... من هو بالمناسبة؟

- سكرتير السيد رينو. وقد بقي في إنكلترا، ولكنه جاء إلى هنا مرة أو مرتين لقضاء عطلة نهاية الأسبوع.

قال بوارو: وكل ما عدا ذلك يؤول دون أية قيود لزوجته الحبيبة إلواز. صياغة بسيطة، ولكنها قانونية تماماً، وقد شهدت عليها الخادمتان دينيس وفرانسوا. ليس في ذلك شيء خارج كثيراً عن المألوف.

أعاد الوصية إلى القاضي، فبدأ المفوض يمسح يده ويقول: ولكن ربما لم تلاحظ...

فقاطعه بوارو وهو يرمش بحفنيه: التاريخ؟ نعم، لاحظته. منذ

أسبوعين. ربما يشير ذلك إلى بداية إحساسه بالخطر. إن الكثير من الأثرياء يموتون دون كتابة وصية نتيجة عدم تفكيرهم باحتمال وفاتهم. من غير الحكمة إصدار الأحكام قبل الأوان، ولكن الوصية تشير إلى حبه الحقيقي لزوجته، رغم علاقته الغرامية.

قال السيد هوتيه بارتياح: نعم، ولكن ربما كان في ذلك شيء من الإحباط بحق ابنه، لأن الوصية تركه معتمداً كلياً على أمه. فلو تزوجت ثانية وتوفيت قبل زوجها الثاني فإن هذا الصبي لن ينال بنساً واحداً من مال أبيه.

رفع يوارو كتفيه وقال: الإنسان حيوان مغرور. لا شك أن السيد رينو قد رأى أن أرملته لن تتزوج بعده أبداً. أما بالنسبة للابن، فربما كان ترك المال في عهدة والدته إجراء احترازياً حكيماً، إن طيش أبناء الأغنياء تضرب به الأمثال.

قال القاضي: ربما كان الأمر كما تقول. حسناً يا سيد يوارو، لا شك أنك تود الآن رؤية مسرح الجريمة. إنني أسف لأننا قد نقلنا الحثة من هناك، ولكن الصور قد التقطت للحثة - بالطبع - من كل الزوايا التي يمكن تصويرها، وستكون تحت تصرفك حالما تصبح جاهزة.

- شكراً لك يا سيدي على لطفك.

نهض المفوض وقال: تفضل معي.

ثم فتح الباب وانحنى بحفاوة ليوارو حتى يخرج قبله. تراجع يوارو بأدب معائل وانحنى للمفوض. وفي النهاية خرجا إلى الصالة.

سأل يوارو وهو يشير برأسه إلى باب مقابل: تلك الغرفة هناك هي المكتب، أليس كذلك؟

- نعم، أتحب أن تراها؟

فتح الباب وهو يتكلم، ودخلنا المكتب. كانت الغرفة التي اختارها السيد رينو لاستخداماته الشخصية الخاصة غرفة صغيرة، ولكنها مفروشة بلون راق وبشكل مريح، وقد وُضعت قرب النافذة طاولة كتابة عملية الشكل فيها الكثير من الرفوف الداخلية الصغيرة. ومقابل الموقد وُضع كرسيان مُنحَدَان بالحلء. بينهما طاولة صغيرة رُصّت عليها آخر المجلات والكتب.

وقف يوارو لحظات ينظر إلى الغرفة، ثم تقدم إلى الأمام ومرَّ يده برقة على المسند الجلدي للكرسيين، ثم أخذ محلة عن الطاولة، ومرر أصبعه بحذر على سطح رفٍ جانبي من خشب السنديان. ثم ظهر على وجهه استحسان شديد.

سأله مبتسماً: لا يوجد غبار؟

تهلل وجهه استحساناً لمعرفتي بأذوقه الغريبة وقال: ولا ذرة منه يا صديقي! وهو - لأول مرة - أمر مؤسف.

بعد ذلك تنقلت عيناه الحادثان كعيني طائر هنا وهناك، ثم قال فحاة بنيرة ارتياح: "آه! السحادة الصغير أمام الموقد مثبوبة". وانحنى ليعملها، وفحاة أطلق عبارة تعجب ونهض وفي يده قصاصة صغيرة من ورق ضارب إلى الحمرة، وقال: هل يهمل الخدم في فرنسا - كرملائهم في إنكلترا - تنظيف ما تحت السحادة؟

أخذ بيكس القصاصة منه، واقترعتُ أنا لأتفحصها فقال بوارو:
هل مِيزَتها يا هِستِنغز؟

هزئتُ رأسي حيرة، ولكنني أحسست أن ذلك الورق المحمرّ
مألوف بالنسبة لي. وقد كان ذهن المفوض أسرع من ذهني، فقد
هتف: إنها قصاصة من شيك.

كانت القصاصة بحجم ست مستمِرات مربعة تقريباً، وعليها
كُتِبَ بالحبر كلمة "دوفين". قال بيكس: حسناً! إن هذا الشيك قد
كُتِبَ لمصلحة شخص يدعى دوفين، أو كتبه شخص يدعى دوفين.

قال بوارو: بل أتخيل أنه الحِيار الأول؛ فالخط، إن لم أكن
مُخطئاً، هو خط السيد رينو.

وسرعان ما تم التأكد من ذلك بمقارنة الخط بخط مذكرة
على الطاولة.

تمتم المفوض وقد أسقط في يده: يا إلهي، لا أستطيع حقاً أن
أتصور كيف فاتتني هذه.

ضحك بوارو وقال: إن المغزى من هذا هو: ابحثْ دوماً
تحت السجاد! يمكن لصديقي هِستِنغز أن يخبرك أنني أتعذب لرؤية
أي شيء مُلقٍ أو في غير مكانه، وبمجرد أن رأيت السجادة الصغيرة
أمام الموقد مائلة قليلاً قلتُ لنفسي: "هيا! لقد عُلِقْتُ بها رجلاً
الكرسي إذ تم دفعه إلى الخلف، وربما كان تحتها شيء غفلت عنه
فرانسوا الطيبة".

- فرانسوا؟

- أو دهنيس، أو لوني. كائناً من كان الذي نظفت هذه الغرفة.
طالما لا يوجد غبار فعني هذا أن الغرفة قد نظفت صباح اليوم دون
ريب. وأنا أتخيل أن الأمر تم على هذا النحو: بالأمس، وربما ليلة
أمس، كتب السيد رينو شيكاً لرجل يدعى دوفين، وبعد ذلك تم
تعزيزه ورميه على الأرض. وهذا الصباح...

كان السيد بيكس قد شرع برنّ الحرس بنفاد صبر. جاءت
فرانسوا استجابةً للنداء وقالت إن الكثير من قصاصات الورق كانت
فعللاً على الأرض. ماذا فعلت بها؟ رمتها في فرن المطبخ بالطبع!
وماذا تفعل بها غير ذلك؟

أخرجها السيد بيكس بإشارة بأس منه، ثم ما لبث أن تهلل
وجهه وهرع إلى الطاولة وشرع يبحث في دفتر شيكات القنيل،
ولكنه أعاد إشارة بأسه السابقة، فقد كان القسم المتعمّ لأخسر ورقة
تم سحبها من دفتر الشيكات خالياً من أي شيء.

صاح بوارو وهو يرمي على كتفه: تحمل بالشجاعة! لا شك
أن السيدة رينو ستكون قادرة على إخبارنا عن هذا الشخص الغامض
المسمى دوفين.

اتبسط وجه المفوض وقال: هذا صحيح. دعونا نكمل عملنا.
وفيما امتدنا لمغادرة الغرفة قال بوارو بأسلوب عرضي: أهذه
هي الغرفة التي استقبل بها السيد رينو ضيفته ليلة أمس؟

- نعم... ولكن كيف عرفت؟

- عرفتُ من هذه. وجدتها على المسند الحلدي للكرسي.

ثم رفع يده وهو يمسك بين أصابعه شعرة طويلة سوداء...
شعرة امرأة!

أخرجنا السيد بيكس من الحجرة الخلفية للمنزلة إلى حيث كانت توجد سقفة صغيرة تتكئ على البيت. ثم أخرج من جيبه مفتاحاً وفتحها قائلاً: الحجة هنا. أهدناها عن مسرح الجريمة قبل وصولكما بقليل، بعدما أنهى المصورون عملهم.

فتح الباب ودخلنا. كان القتل ممدداً على الأرض وقد غطي بملاءة أزاحها السيد بيكس عنه ببراعة وسرعة. كان رينو رجلاً متوسط الطول، نحيل الجسم، وبدا في نحو الخمسين من عمره، بحيث خسرط الشيب كثيراً شعره الأسود. كان حليق الذقن والشارب، ذا أنف دقيق طويل وعينين ربما كانتا قريبتين قليلاً من بعضهما، أما بشرته فكانت برونزية تماماً كبشرة رجل قضى معظم حياته في المناطق الاستوائية، وقد تراجعت شفتاه قليلاً عن أسنانه وطُبع على قسماته الرمادية المزرقّة تعبير دهشة تامة.

قال بوارو: يمكن للمرء أن يرى من وجهه أنه طعن في ظهره.

ثم قام بكل هدوء بقلب جثة القتل. وهناك بين عظمتي لوح الكف كانت توجد بقعة دائرية غامقة تلمطح الروب البني الحفيف، وفي وسط البقعة فتحة في القماش تفحصها بوارو عن كثب ثم قال: هل لديكم أية فكرة عن السلاح الذي ارتكبت به الجريمة؟

- لقد تم تركه في الحرج.

ثم ذهب المفوض إلى إساء زجاجي كبير. وفي الإناء كان

يوجد شيء بدا لي أقرب إلى سكين فتح الرسائل. كانت ذات قبضة سوداء وشفرة رفيعة حادة، ولم تكن كلها تزيد عن خمسة وعشرين سنتيمتراً طويلاً. اختبر بوارو طرف الشفرة المُلطخ برأس إصبعه وبحذر ثم قال: يا إلهي! إنها حادة جداً! أداة صغيرة رائعة للقتل!

قال بيكس بأسف: لم نستطع العثور - مع الأسف - على أية آثار لبصمات عليها. لا بد أن القاتل ارتدى قفازات.

قال بوارو بازدياء: كان يرتديها بالطبع. حتى في سانتياغو يعرفون جيداً ضرورة ذلك، بل إن أبسط الهواة في إنكلترا يعرفه... والفضل في ذلك يعود إلى ما فعلته الصحافة من دعاية لنظام بيرتيلون في التعرف على المحرمين. ومع ذلك فإن عدم وجود بصمات يشير اعتماداً كثيراً؛ فمن السهل جداً ترك بصمات شخص آخر؛ وبذلك يفرح الشرطة!

ثم هز رأسه وقال: إنني أخشى كثيراً ألا يكون محرماً امرأةً ذا منهجية... إما أنه ليس كذلك أو أن الوقت كان يضغط عليه. ولكننا سنرى.

ثم أعاد الحجة إلى وضعها السابق وقال: أرى أنه لم يكن بليس تحت روبه إلا ملابسه الداخلية.

- نعم، ويرى قاضي التحقيق أن هذه نقطة غريبة.

في هذه اللحظة قُرع الباب الذي كان المفوض قد أغلقه خلفه. تقدم منه وفتح ليحد فرانسوا هناك، وقد سعت لأن تطل بفضل يلد بالمصائب. سألتها المفوض بتزق: ما الأمر؟

- سيدتي... لقد أرسلتُ تقول إنها استعادت قوتها وهي جاهزة تماماً لاستقبال قاضي التحقيق.

قال المغفوض بسرعة: جيد. أخبري السيد هوتيه أننا سنأتي على الفور.

تلکاً ہوارو قليلاً وهو ينظر إلى الخلف باتجاه الرجل القليل. وفكرتُ -لِلْحَفْظَةِ- بأنه سيحاطب الحثة، وأنه سيعلم بصوت عال تصميمه على ألا يرتاح حتى يكشف القاتل. ولكنه -عندما تكلم- تكلم بهدوء وبشكل غريب، وكان تعليقهُ غير متناسب أبداً مع جلال اللحظة؛ فقد قال بحرج: إنه بليس روباً طويلاً جداً.

...

الفصل الخامس

قصة السيدة رينو

وجدنا السيد هوتيه ينتظرننا في الصالة، وصعدنا جميعاً إلى الطابق العلوي تتقدمنا فرانسوا لتدلنا على الطريق. وقد صعد ہوارو الدرج وهو يغلو ويروح عليه بمئة وبسرة مما أدهشني، حتى همس قائلاً وهو يضحك: لا عجب أن يسمع الخدم السيد رينو وهو يصعد الدرج، فلا توجد درجة واحدة لا تصرُ صريراً يكفي لإيقاف الموتى!

كان في أعلى الدرج ممر صغير تنفرع منه غرف، عرفه بيكس بقوله: هذا جناح الخدم.

ذهبنا سائرين في رواق قرعت فرانسوا آخر باب فيه إلى المطبخ. وسمعنا صوتاً خافتاً يدعونا للدخول، فدخلنا غرفة ضخمة مضاءة لظلمة البحر الذي بدأ أزرق لامعاً على بعد نحو من نصف كيلومتر. وعلى إحدى الأرائك اضطجعت امرأة طويلة ذات وفار وقد استلذت إلى الكثير من الوسائد، ووقف الدكتور ديوران

برعاها. كانت في أوسط عمرها، وشعرها الذي كان يوماً ما أسود أصبح الآن فضياً كله تقريباً، ولكن كان من شأن حيويتها الشديدة وقوة شخصيتها أن يفرض وجودها في أي مكان. وكان الناظر إليها يعرف على الفور أنها امرأة قديرة.

حينما بإيماءة جليلة من رأسها وقالت: تفضلوا بالجلوس أيها السادة.

اتخذنا مقاعدنا وجلس الموصف المرافق للقاضي خلف طاولة مستديرة. بدأ السيد هوتيه قائلاً: أمل يا سيدتي ألا يؤلمك كثيراً أن تروي لنا ما حدث ليلة أمس؟

- أيتها يا سيدتي. إنني أعرف قيمة الوقت إن كان لهؤلاء القتلة الأشقياء أن يُمسكوا ويُعاقبوا.

- حسن جداً يا سيدتي. ربما كان من الأفضل - كيلا أتعبك - أن أشرح عليك أسئلة وتكفي أنت بالإجابة عليها... في أي وقت ذهبت للنوم ليلة أمس؟

- في التاسعة والنصف؛ فقد كنت متعبة.

- وزوجك؟

- بعد حوالي ساعة كما أظن.

- هل بدا مضطرباً... أو مترعجاً بأي شكل؟

- كلا، ليس أكثر من المعتاد.

- ماذا حدث بعدها؟

- نعم، ثم أبقيتني يداً تضغط على فمي. وحاولت الصراخ ولكن كتمت صوتي اليد الضاغطة تلك. وكان في الغرفة رجلان، وكانا مُقنعين كلاهما.

- أيمن لك وصفهما يا سيدتي؟

- كان أحدهما طويلًا جداً وله لحية سوداء طويلة، وكان الآخر قصيراً بدنًا وله لحية نيميل إلى اللون الأحمر. وقد ارتدى الاثنان قبعات أنزلها على أعينهما.

قال القاضي بتأمل: هممم! كانت توجد الكثير من اللحي.

- أتعني أنها كانت زائلة؟

- نعم يا سيدتي... ولكن أكملني قصتك.

- كان الرجل القصير هو الذي يمسك بي. حشر كمامة فمي، ثم ربطني من يدي وقدمي بحبل. كان الرجل الآخر يقف فوق زوجي، وكان قد أخذ مكيني الصغيرة التي أفتح بها الرسائل عن طاولة الزينة وحملها موجهاً رأسها فوق قلب زوجي تماماً. وعندما فرغ الرجل القصير من شد وثاقي انضم إلى صاحبه، فأجبرا زوجي على النهوض ومرافقتهما إلى غرفة الملابس المجاورة. كنت على وشك الإغماء من الرعب، ومع ذلك أصغيت بشكل باتس.

كانا يتحدثان بنبرة منخفضة جداً بحيث لم أستمع سماع ما قللاه، ولكنني ميزت اللغة؛ لغة إسبانية سيئة كتلك التي يتحدثونها في بعض مناطق أمريكا الجنوبية. بدا أنهما يطلبان من زوجي شيئاً ما، ثم سرعان ما غضبا، وارتفعت أصواتهما قليلاً. وأظن أن الرجل

بالإغماء بعد ذلك؛ فالأمر التالي الذي أذكره هو ليونسي وهي تفرك معصمي وتسقينني ليموناً.

قال القاضي: سيدة ريتو، هل لديك أية فكرة عما كان يحدث عنه القنلة؟

- كلا، أهدأ يا سيدي.

- هل لديك أية معلومات بأن زوجك كان يخشى شيئاً؟

- نعم. لقد لاحظتُ التغيير الذي أصابه.

- منذ متى كان ذلك؟

فكرت السيدة ريتو وقالت: ربما منذ عشرة أيام.

- وليس أكثر من ذلك؟

- ربما، ولكنني لم ألاحظه إلا وقتها.

- هل سألت زوجك قط عن سبب ذلك؟

- مرة واحدة، وقد تخلص من تساؤلي بمراوغة. ومع ذلك فإنني كنتُ مقتنعة بأنه يعاني من قلق فطبع. ولكن بما أنه كما يرغب بإخفاء الحقيقة عني كما هو واضح، قبلاني حاولتُ التظاهر بأنني لم ألاحظ شيئاً.

- هل كنتِ تعرفين بأنه طلب الاستعانة بخدمات رجل تحرير؟

هفت السيدة ريتو بدهشة بالغة: رجل تحرير؟

الطويل كان يتكلم قائلاً: "أتعرف ما نريده؟ السر! أين هو؟". ولا أدري بماذا أحابهما زوجي، ولكن الآخر أحاب بقسوة: "أنت تكذب! نحن نعرف أنه لديك. أين مفاتيحك؟".

ثم سمعتُ أصوات أدرج تُفتح. توجد في الحدار خزانة في غرفة ملابس زوجي، وقد اعتاد أن يحتفظ فيها بمبلغ كبير جداً من المال نقداً. وقد أخبرني ليونسي بأن هذه الخزانة قد نُهبَت وأُخذ المال منها، ولكن الواضح أنهما لم يحدا ما كانا يبحثان عنه، لأنني سرعان ما سمعتُ الرجل الطويل يطلق لعنة ويأمر زوجي بارتداء ملابس. وبعد ذلك مباشرة أظن أن حلبة ما في البيت قد أرعجتُهما، لأنهما دفعا زوجي بسرعة للخروج إلى غرفتي وهو لم يكمل بعد ارتداء ملابسه.

قاطعها بوارو قائلاً: عفواً، ولكن ليس يوجد مخرج من غرفة الملابس إلا إلى غرفتك؟

- كلا يا سيدي، فلا يوجد سوى الباب الموصل بين الغرفتين.

وقد دفعا زوجي منه بسرعة، وكان الرجل القصير في المقدمة، فيما كان الطويل وراءه والسكين ما تزال في يده. وقد حاول بول التخلص منهما ليأتي إليّ، ورأيتُ عينيهِ المتألمتين. التفت إلى حائطه وقال: "ينبغي أن أتكلّم معها". ثم أتى إلى قرب السرير وقال: "لا بأس يا إيلواز. لا تخافي، سأعود قبل الصباح". ولكن رغم أنه حاول أن يجعل صوته واثقاً، إلا أنني استطعتُ رؤية الرعب في عينيهِ. ثم دفعاه بسرعة إلى الخارج والرجل الطويل يقول له: "صوت واحد وتكون ميتاً. تذكر ذلك". ولا بد أنني أصبحتُ

- نعم، هذا السيد... السيد هيركيول بوارو.

أخنى لها بوارو رأسه، فيما مضى القاضي قائلاً: لقد وصل السيد بوارو اليوم استجابة لنداء من زوجك.

ثم أخذ الرسالة التي كتبها السيد رينو من جيبه وسلمها للسيدة. قرأتها بدهشة بدت صادقة، ثم قالت: ليست لدي أية فكرة عن هذه. الواضح أنه كان مدرَكاً تماماً للخطر.

- والآن يا سيدتي، أرحوك أن تكوني صريحة معي. هل في حياة زوجك الماضية في جنوب أفريقيا أي حادث يمكن له أن يسلط الضوء على مقتله؟

فكرت السيدة رينو بعمق، ولكنها هزّت رأسها أخيراً بالثفي وقالت: لا أستطيع التفكير بأي حادث كهذا. لقد كان لزوجي الكثير من الأعداء بالتأكيد، أناس غلبهم بشكل أو بآخر، ولكنني لا أستطيع تحديد حالة واحدة بعينها. إنني لا أقول بعدم وجود حادث كهذا، بل أقول فقط إنني لا أعرفه إن وُجد.

نقر قاضي التحقيق على لحيته بحزع وقال: وهل تستطيعين تحديد ساعة هذه الفعلة الشنيعة؟

- نعم. إنني أذكر بوضوح سماعي للساعة على رف الموقد وهي تدق الثانية.

ثم أشارت برأسها إلى ساعة منه ذات غطاء جلدي، من تلك التي تُستخدم في السفر، تقف في وسط رف الموقد. نهض بوارو

من مقعده فتفحص الساعة بدقة ثم أوما برأسه مقتنعاً.

هتف السيد بيكس: وما هي أيضاً ساعة معصم أوقعها القتلة دون شك عن طاولة الزينة وحطموها شرّاً تحطيم غير مدركين أنها مشهود عليهم.

ثم قام بحذر بالتقاط شظايا الساعة. وفجأة تغير وجهه ووقف مشدوهاً وهتف: يا إلهي!

- ما الأمر؟

- تشير عقارب الساعة إلى الساعة!

ساح القاضي مندهشاً: ماذا؟

ولكن بوارو -بيراغته المعهودة- أخذ الساعة المكسورة من المغوش المصعوق ووضعها على أذنه ثم ابتسم وقال: إن الزجاج مكسور، نعم، ولكن الساعة نفسها ما تزال تعمل.

فوبل تفسير اللغز بابتسامة ارتياح، ولكن القاضي ذكره بنقطة أخرى: ولكن الساعة ليست الساعة الآن.

قال بوارو بلطف: نعم، إنها الخامسة ويضع دقائق. ربما الساعة تسبق، أهي كذلك يا سيدتي؟

كانت السيدة رينو تقطب جبينها حيرة، وقد اعترفت قائلة: لقد علمتُ تسبق، ولكنني لم أكن أعلم أبداً أنها تسبق لهذا الحد.

أطاع القاضي إشارة لنقاد صبره واستمر في تحقيقه: سيدتي،

لقد وُجد الباب الأمامي نصف مفتوح. ويكاد يكون من المؤكد أن القتلة قد دخلوا منه، ومع ذلك فإنه لم يُفتح بالقوة أبداً. هل تستطيعين اقتراح أي تفسير لذلك؟

- ربما كان زوجي قد خرج ليتمشى قليلاً قبل النوم ونسي أن يقفله عند عودته.

- وهل هذا تصرف محتمل منه؟

- جداً، فهو كان من أكثر الرجال شروداً.

كان على وجهها وهي تتكلم شيء من العبوس، وكان هذه الخصلة في شخصية القتل قد أزعجتني في بعض الأحيان.

قال المفوض فحاة: يمكننا الخروج باستنتاج واحد، فطالما أن الرجلين قد ألحا على السيد رينو لكي يرتدي ثيابه، فإن الأمر يبدو وكأن المكان الذي أرادوا أخذه إليه، أي المكان الذي يخبئ فيه "السر"، كان بعيداً بعض الشيء.

أوما القاضي وقال: نعم، بعيد.. ومع ذلك فإنه لم يكن بعيداً جداً، طالما أنه تحدث عن العودة صباحاً.

سأل بوارو: في أي وقت يغادر آخر القطارات بلدة ميرلنغفيل؟

- يوجد قطاران يغادر أولهما الساعة ١١،٥٠ والثاني ١٢،١٧ إلى وجهتين مختلفتين، ولكن الأرجح أنه كانت لدى الرجلين سيارة تنتظر.

وافقه بوارو وهو يبدو مذهولاً بعض الشيء: بالطبع.

أكمل القاضي التحقيق وقد تهلل وجهه: الحقيقة أن هذا قد يكون إحدى طرق تعقبهما. إن سيارة تحمل شخصين أحبيين يُحتمل كثيراً أن تتم ملاحظتها. هذه نقطة ممتازة يا سيد بيكر.

وابتسم لنفسه، ولكنه عاد فتحهم مرة أخرى وقال للسيدة رينو: لدي سؤال آخر، هل تعرفين أحداً باسم "دوفين"؟

كررت السيدة رينو بتأمل: دوفين؟ كلا، لا أستطيع القول إنني أعرف أحداً بهذا الاسم.

- ألم تسمعي زوجك يذكر أحداً بهذا الاسم قط؟

- أبداً.

- أتعرفين امرأة اسمها الأول بيلا؟

راقب السيدة رينو عن كثب وهو يتكلم بحثاً عن أية علامة غضب أو معرفة بالمرأة، ولكنها اكتفت بهز رأسها بالنفي بصورة طريحة تماماً، فاستمر في أسئلته: هل تعلمين أن زوجك استقبل ضيفة ليلة أمس؟

الآن رأى الحمرنة تتصاعد بشكل طفيف في وجهي المرأة، ولكنها أحابت برباطة جأش: كلا، من هي؟

- سيدة.

- حقاً؟

والكن القاضي كان مكتئباً في الوقت الحاضر بهذا القدر من

الموضوع؟ فقد بدا أن من غير المحتمل أن تكون للسيدة دوبريه أية علاقة بالحرمة، كما أنه كان حريصاً على عدم إزعاج السيدة رينو أكثر من الضروري. أشار للمفوض فأجابته بإسبابة من رأسه، ثم نهض المفوض فمضى إلى آخر الغرفة ليعود حاملاً الإنشاء الزجاجي الذي رأيناه في السقيفة، وأخرج منه السكين.

قال القاضي بلطف: سيدتي، هي تعرفين هذا؟

صدرت عنها صيحة خفيفة وقالت: نعم، إنه سَكْنِي الصغير.

ثم رأت شفرته الملتصقة فأمالته رأسها إلى الخلف رعباً وقالت: أهذا... دم؟

- نعم يا سيدتي. لقد قُتل زوجك بهذا السلاح.

أبعد السكين بسرعة عن الأنظار وقال: أنت واثقة تماماً أنه هو الذي كان على طاولة زينتك ليلة أمس؟

- أوه، نعم. لقد كان هدية من ابني. كان يخدم في سلاح الطيران أثناء الحرب، وقد كذب فيما يخص عمره وادعى أنه أكبر من عمره الحقيقي.

قالت ذلك بشيء من فخر الأم بولدها، وأضافت: لقد صُنع هذا الخنجر من أسلاك طائرة محطمة، وأهداني إياه ولدي كذكرى من أيام الحرب.

- فهمتُ يا سيدتي. وهذا يقودنا إلى موضوع آخر. أين هو ابنك الآن؟ من الضروري أن ترسل له برقية دون أي تأخير.

- جاك؟ إنه في طريقه إلى بيونوس أيريس.

- ماذا؟

- نعم. لقد أ برق له زوجي يوم أمس. كان قد أرسله في عمل إلى باريس، ولكنه اكتشف بالأمس أن من الضروري له أن يمضي إلى أمريكا الجنوبية دون تأخير. وكانت إحدى السفن في سبيلها إلى مقادرة تشيربورغ إلى بيونوس أيريس ليلة أمس، وقد أ برق له ليلحق بها.

- هل لديك أية معرفة بطبيعة ذلك العمل في بيونوس أيريس؟

- لا، لا أعرف شيئاً عن طبيعته، ولكن بيونوس أيريس ليست الوجهة النهائية لآبني، فهو سيسافر من هناك براً إلى سانتياغو.

هتف القاضي والمفوض في وقت واحد: سانتياغو! سانتياغو من جديد!

في هذه اللحظة، ونحن مذهولون جميعاً لذكر تلك الكلمة، اقرب يوارو من السيدة رينو. كان قبل ذلك واقفاً قرب النافذة ثم دخل ناء في الأحلام، وأشك في أنه قد فهم ما جرى قبل ذلك. توقف قليلاً قرب السيدة وقال وهو يتحنن قليلاً: عفواً يا سيدتي، هل لي أن ألخص معصميك؟

ومع أن السيدة قد اندهشت قليلاً من طلبه، إلا أنها مدت يدها أمامه. وحول كل منهما كانت توجد علامة حمراء شديدة. ثم عشت الحال على اللحم. وتخلت - وهو يفحصهما - أن أرى أولاً من الانفعال الذي رأته في عينه قد اختفى، ثم قال وقد بدأ يمشي مرة أخرى: لا بد أن ذلك قد سبب لك ألماً عظيماً.

ولكن القاضي مضى يقول بالتعال: ينبغي أن يتم الاتصال فوراً
بالسيد الشاب رينو عن طريق اللاسلكي. إن من الحيوي أن نعرف
أي شيء بمقدوره أن يغيرنا إياه عن هذه الرحلة إلى سانتياغو.

ثم تردد قليلاً وقال: كنتُ أمل أن يكون قريباً، بحيث يمكن
لنا أن نحكي الكثير من الألم.

ثم سكت، فقالت السيدة رينو: أتعني مسألة التعرف إلى حبة
زوجي؟

أوما القاضي برأسه موافقاً، فقالت: إنني امرأة قوية يا سيدي،
وأستطيع تحمل كل ما هو مطلوب مني. إنني جاهزة... الآن.

- أوه، أؤكد لك أن لدينا مُسعاً من الوقت حتى الغد...

قالت بشرة منخفضة وقد عبرت وجهها نوبة ألم: أفضل
الانتهاء من ذلك الآن. هلا تكرّمتَ بعد ذراعك لإسنادي يا دكتور؟

تقدم الطبيب بسرعة، وتم إلقاء رداء على كتفي السيدة رينو،
ثم نزلت المجموعة ببطء على الدرج. سبقهم المفوض بيكس بسرعة
لفتح السقيفة، وما هي إلا لحظات حتى ظهرت السيدة رينو في مدخل
السقيفة. كانت شديدة الشحوب، ولكنها عازمة مصممة. رفعت
يدها إلى وجهها وقالت: لحظة يا سادتي حتى أتمالك نفسي.

أبعدت يدها ونظرت إلى الرجل الميت، وعندما خذلنها رباطة
الحاش الرائعة التي جعلتها تتماسك حتى الآن. صاحت: بول...
زوجي! أوه، يا إلهي!

ثم مالت إلى الأمام وسقطت مغشياً عليها.

ولحظة كان يوارو بقربها، حيث رفع جفنها وتحسس لبضها.
وعندما أفتح نفسه بأنها قد فقدت الوعي حقاً تنحى جانباً، ثم أمسك
بذراعي وقال: إنني مغفل يا صديقي! لكن كان في صوت امرأة يوماً
حب وحزن فإنني سمعته الآن. لقد كانت فكرتي الصغيرة خاطئة
كلها. حسناً... يجب أن أبدأ من جديد!

• • •

ولكن بوارو استمر في هز رأسه وكأنه لا يقبل ذلك التفسير.
وعندما أصبحنا على الممشى الخارجي أمام البيت توقف لينظر إلى
المنزل، وقال: ما الذي دفعهما بدايةً إلى محاولة تحرية ما إذا كان
الباب الأمامي مفتوحاً؟ فقد كان هذا الاحتمال مستبعداً جداً، وكان
التصرف الأولي منهما أن يحربا فوراً فتح إحدى النوافذ.

اعترض المفوض قائلاً: ولكن نوافذ الطابق الأرضي كلها
محمية بقضبان حديدية.

أشار بوارو إلى نافذة في الطابق الأول وقال: تلك هي نافذة
غرفة النوم التي نزلنا منها لتونا، أليس كذلك؟ وانظر هناك... توجد
شجرة يمكن أن يكون تسلقها وصولاً إلى النافذة أسهل مهمة في
العالم.

اعترف المفوض قائلاً: ربما، ولكن لم يكن بإمكانهما فعل
ذلك دون أن يتركوا أثراً لأقدامهما في مسكة الورود هنا.

رأيتُ وجاهة كلامه؛ فقد كانت تقوم على جانبي الدرج المُنْفِضي
إلى الباب الأمامي مسكيتا ورد يضاويتان كبيرتان مزروعتان بالورود
الطرية. وكان جذع الشجرة المقصودة في الحانب البعيد من المسكة
بحيث يكون من المستحيل الوصول إليها دون التدوس على
المسكة.

أعمل المفوض قائلاً: أترى، إن آثار الأقدام لا يمكن أن تُرى
على العبر أو الممشى بسبب جفاف الطقس، أما على الوجه الطيني
المستكون الأمور مختلفة كثيراً.

الفصل السادس

مسرح الجريمة

اشترك الطبيب والسيد هوتيه في حمل السيدة الغائبة عن الوعي
إلى المنزل. ونظر المفوض وراءه وهو يهز رأسه، ثم تمت مع نفسه:
امرأة مسكينة. كانت الصدمة أكبر من أن تتحملها. حسناً، إننا لا
تستطيع فعل شيء. والآن يا سيد بوارو، هل نرور المكان الذي
ارتكبت فيه الجريمة؟

- إذا سمحت يا سيد بيكس.

عبرنا من داخل المنزل، وخرجنا من الباب الأمامي. كان بوارو
قد رفع بصره لينظر إلى الدرج وهو يعبر من هناك، ثم هز رأسه بعدم
اقتناع وقال: إنه أمر لا يصدق بالنسبة لي ألا أسمع الحدم شيئاً. إن
صبر ذلك الدرج - مع وجود ثلاثة أشخاص ينزلونه - من شأنه
إيقاظ الموتى!

- تذكر أن ذلك كان في منتصف الليل، وكانوا في أعظم غفرات
النوم عندها.

ذهب يوارو قريباً من المسكية وتفحصها بكل دقة. وكما قال بيكس، كان وجه الطين أملس تماماً، ليس عليه أي أثر.

أوما يوارو برأسه كما لو أنه قد اقتنع، واستدرونا للمضي، ولكنه تركنا فجأة وبدأ يتفحص مسكية الورد الثانية، ثم نادى: سيد بيكس! انظر هنا. هنا توجد لك الكثير من الآثار.

انضم إليه المفوض وهو يتشم وقال: يا سيدي العزيز يوارو، لا شك أن هذه آثار الحذاء الثقيل للبستاني. وعلى أية حال فليست لها أية أهمية، طالما أن هذا الجانب يخلو من أية شجرة، وبالتالي لا توجد أية طريقة لدخول الطابق العلوي.

قال يوارو متظاهراً بالدهشة: صحيح. أنت ترى - إذن - أن آثار الأقدام هذه ليست لها أهمية؟

- ليست لها أدنى أهمية أبداً.

وعندها، ولدهشتي الشديدة، قال يوارو: أنا لا أتفق معك. إن لدي فكرة صغيرة تقول إن آثار الأقدام هذه هي أهم ما شاهدناه حتى الآن.

لم يقل السيد بيكس شيئاً، بل اكتفى بأن رفع كتفيه بشيء من اللامبالاة؛ فقد كان أكثر أدهاً من أن يُعبر عن رأيه الحقيقي، وبدلاً من ذلك سأل: هل نمضي؟

قال يوارو بمرح: بالتأكيد... يمكنني التحقق من مسألة آثار الأقدام هذه فيما بعد.

وبدل أن يمضي السيد بيكس في الممشى وصولاً إلى البوابة

انعطف في منحرف عنه بزوايا قائمة إلى اليمين. وقد قادنا هذا المنحدر قليلاً مُنعطفاً إلى يمين البيت، وكان محفوظاً على جانبيه بنوع من الشجيرات. وفجأة انتهى المنحدر بفسحة صغيرة كان يوسع المرء أن يرى منها البحر. كان مقعداً قد نُصب هنا، وفي مكان لا يبعد عنه كثيراً سقيفة خربة بعض الشيء، وعلى بعد بضعة خطوات منها امتدَّ خطٌ مرتب من الأغصان الصغيرة التي تُشكِّل حدود أراضي الفيل. شق السيد بيكس طريقه عبر تلك الأغصان، فوجدنا أنفسنا أمام سهول فسيحة مفتوحة. نظرتُ حولي فرأيت شيئاً أثار دهشتي فصحتُ قائلاً: ما هذا؟ إنه ملعب غولف.

أوما بيكس برأسه وقال: لم يكتمل ملعب الغولف بعد... من المومل أن يكون بالإمكان افتتاحه الشهر القادم. إن مَنْ اكتشف الحثة صباح اليوم هم بعض الرجال الذين يعملون في الملعب.

صدرت عني شهقة؛ فإلى اليسار مني كانت حفرة طويلة غفلتُ عنها للمحطات، وقرب الحفرة تمددت حثة رجل وجهه إلى الأسفل! ضرب قلبي بقوة للمحطات، وانسابني خيال جامح بأن المأساة قد أصبحت مضاعفة. ولكن المفوض يدد أوهامي إذ تقدم إلى الأمام وهو يعر عن انزعاجه بكل قوة: ما الذي يفعله شرطتي؟ إن لديهم أواخر صارمة بعدم السماح بدخول أحد لا يملك تحويلاً مناسباً!

أدار الرجل وجهه وقال: ولكن لدي تحويلاً مناسباً.

لم نهض ببطء واقفاً، فصاح المفوض: يا عزيزي السيد جيرو، لو أني أعلم أنك وصلت. لقد كان قاضي التحقيق ينتظرك على أحرار من الحذر.

- إنهم حريصون بالفعل. إن الآثار التي تشكو منها قد تركها العمال الذين اكتشفوا الجثة.

زفر المحقق باشمزاز وقال: أستطيع رؤية الآثار التي تركها الثلاثة حيث خرجوا من السياج... ولكنهما كانا مأكرين؟ فبوسعت أن تميز آثار الأقدام الوسطى فقط، باعتبارها أقدام السيد رينو، ولكن الآثار التي على الحائطين قد تم محوها بكل حرص. رغم أنها ما كانت لتُرى بوضوح أساساً على هذه الأرض الصلبة، ولكنهما لم يريدا المجازفة بأي خطأ.

قال يوارو: العلامات الخارجية... أهذا ما تبحث عنه؟

حذق به رجل التحري الآخر وقال: بالطبع.

تراءت على وجه يوارو ابتسامة خفيفة جداً. بدا وكأنه على وشك الكلام، ولكنه ضبط نفسه. انحنى إلى حيث كان رفش ملقى، فقال جبرو: بهذا تم حفر القبر دون شك. ولكنك لن تحصل على شيء منه! فهو رفش رينو الخاص، والرجل الذي استخدمه كان يرادى فلانين... ها هما.

لم أشار بقدمه إلى حيث كان روج من القفازات الملطخة بالتراب وقال: وهما قفازا رينو أيضاً... أو قفازا بستانيه على الأقل. **لكن** أنت لك، إن الرجلين اللذين نغذا هذه الحريمة لم يكونا **معتادين** للمجازفة أبداً. لقد طعن الرجل بخنجره الخاص، وكان **يقدر** أن يلدغ برفشه الخاص. لقد كانا براهنان على عدم ترك أية آثار! ولكنني سأعطيتهما. يوجد دائماً شيء ما وإتني مصمم على العثور عليه.

كنتُ - أثناء كلامه - أراقب القادم الحديد بفضول شديد؛ فقد كنتُ أعرف بالاسم رجل التحري الشهير هذا الذي يعمل في دائرة الأمن في باريس، ولكنني كنتُ في غاية الاستمتاع بلقائي به شخصياً. كان طويلاً جداً، في نحو الثلاثين من عمره، ذا شعر وشارب يضرب إلى الحمرة، وهيئة عسكرية. وكان في سمته أثر للغرور، الأمر الذي يُظهر أنه كان مدرّكاً تماماً لأهميته. وقام بيكس بتعريفه بشيء مُقدماً بوارو كزميل. بهذا قليل من الاهتمام في عيني رجل التحري وقال: إنني أعرفك بالاسم يا سيد يوارو. لقد حققت شهرة كبيرة في الأيام الحوالي، أليس كذلك؟ ولكن الأساليب قد اختلفت تماماً الآن.

قال يوارو بلطف: ومع ذلك فالجرائم ما زالت نفسها إلى حد بعيد.

رأيتُ على الفور أن جيرو كان مستعداً لاتخاذ موقف عدائي؛ فقد غضب من تقديم يوارو كزميل مساوٍ له، وشعرتُ أنه لو قُدِّر له أن يعثر على أي دليل ذي أهمية فإنه سيقبّله لنفسه على الأرجح.

عاد بيكس ليقول: إن قاضي التحقيق...

ولكن جيرو قاطعه بوقاحة قائلاً: تباً لقاضي التحقيق! إن الضوء هو العامل المهم، وبعد نصف ساعة لن يبقى ضوء يساعدنا في أي مسعى عملي. إنني أعرف كل شيء عن القضية، وبوسع الناس في البيت أن ينتظروا حتى الغد، ولكن إن كان لنا أن نعثر على أي دليل على هوية القتلة فهذه هي البقعة التي ستجده فيها. أقم شرماتك الذين كانوا يعتنون في هذه البقعة على هذا النحو؟ فلتنت أن الشرطة أصبحوا أحرص من أن يفعلوا ذلك في هذه الأيام.

ولكن بدا من الواضح أن بوارو كان مهتماً الآن بشيء آخر،
قطعة قصيرة متغيرة اللون من أنبوب رصاصي كانت قرب الرفش.
لمسها برقة بأصبعه وسأل: وهل تعود هذه أيضاً للرجل القاتل؟

وأظنتي لمست في نبرته - وهو يسأل - أثراً لا يكاد يُحس من
السخرية.

رفع جيرو كتفيه ليشير إلى أنه لا يعرف ولا يهتم، ثم قال:
ربما كانت مرمية هناك منذ أسابيع، وهي لا تهمني على أية حال.

قال بوارو بعدوبة: أما أنا فأجدها مهمة جداً.

وقد عجمت أنه لم يكن يريد بذلك إلا إزعاج رجل التحري
الباريسي. ولكن كان الأمر كذلك فقد نجح في إزعاجه، فقد استدار
الآخر مبتعداً يوقاحة، قائلاً إنه لا يملك وقتاً بضيعه، ثم انحنى وتابع
تفتيشه الدقيق في الأرض.

وفي هذه الأثناء عاد بوارو فحاة كمن خطر له خاطر فعم
السياج وحاول فتح باب السقيفة الصغيرة الخربة. ناداه جيرو وقد
التفت إليه: إنها مقفلة، ثم إنها مجرد مكان يضع فيه البستاني عذبه.
الرفش لم يأت من هنا، ولكن من سقيفة الأدوات قرب المنزل.

تعتم السيد بيكس قائلاً بحماسة: إنه رائع. لم يمس على
محيته إلى هنا نصف ساعة، وما هو يعرف كل شيء! يا له من رجل!
لا شك أن جيرو أفضل رجل تحر على قيد الحياة الآن.

ومع أنني كرهت جيرو من كل قلبي، إلا أنني شعرت سرّاً

بالإعجاب به. لم أملك إلا أن أشعر بأن بوارو لم يميز نفسه كثيراً
حتى الآن، وقد أغاظني ذلك. بدا أنه يوجه انتباهه إلى كل أنواع
المسائل الصبائية السخيفة التي لا علاقة لها بالقضية، وقد سأل فحاة
في هذا الوقت الحرج: أخبرني من فضلك يا سيد بيكس، ما معني
هذا الخط الأبيض من محلول الكلور الذي يمتد حول القبر كله؟
أهو من صنع الشرطة؟

- كلا يا سيد بوارو، إنها مسألة تخص ملعب الغولف، وهو
يشير إلى أن حفرة رملية سيتم إنشاؤها هنا.

- حفرة رملية؟

التفت بوارو إليّ وقال: أهي تلك الحفرة التي تُحفر دون شكل
هندسي محدد وتُملأ بالرمل ثم تجعل لها حافة رملية هدفها الإعاقة؟
أجبت بالإيجاب، فسأل: لا شك أن السيد رينو كان يلعب
الغولف، أليس كذلك؟

- نعم، لقد كان لاعب غولف ماهراً. والفضل يعود له ولتبرعاته
في استمرار العمل في هذا الملعب. بل كان له رأي في تصميمه أيضاً.
أوما بوارو برأسه متأملاً، ثم قال: لم يكن خيارهما موفقاً...
في هذه البقعة لدفن الحثة. فعندما يبدأ الرجال الحفر سرعان ما
يكتشف كل شيء.

سأح جيرو يزهو: بالضبط، وهذا يُثبت أنهما كانا غريبين عن
المنطقة. إنه دليل رائع غير مباشر.

قال بوارو بارتباب: نعم، ليس من شأن أحد ذي معرفة أن

يدفن حنة هناك... ما لم يكن يريد لها أن تُكتشف. وواضح أن هذه
فرضية سخيفة، أليس كذلك؟

لم يكلف جيرو نفسه حتى عناء الرد.

قال يوارو بصوت ليس فيه الكثير من الاقتناع: نعم، نعم... لا
شك أنها فرضية سخيفة!

الفصل السابع

السيدة الغامضة دوبريه

ونحن نعود أدراجنا إلى البيت اعتذر السيد ييكس لتركنا قائلاً
إن عليه أن يخبر قاضي التحقيق بوصول جيرو، أما جيرو نفسه فقد
مُزَّج بشكل واضح عندما قال يوارو إنه قد رأى كل ما يريد رؤيته.
وكان آخر ما لاحظناه ونحن نغادر المكان هو جيرو وقد جثا
يرحف على أربع في بحث دقيق شامل لم أجد بُدّاً من الإعجاب به.
وقد حمّن يوارو أفكاره، ذلك أنه قال ساعراً بمجرد أن أصبحنا
وحيدتين: لقد رأيت - أخيراً - رجل التحري الذي يعجبك... كلب
الصيد البشري! أليس كذلك يا صديقي؟

قلتُ بحدة: إنه على الأقل يفعل شيئاً. وإن كان من شيء
في العنور عليه فيعثر عليه. أما أنت...

حسناً! أنا أيضاً وجدتُ شيئاً... قطعة من أنبوب رصاصي!

هراء يا يوارو. أنت تعلم علم اليقين ألا علاقة لهذه
بالجريمة. إنني أعني الأشياء الصغيرة... إننا نحتاج إلى الأسرار التي

يمكن أن تقودنا إلى القتلة دون خطأ.

- يا صديقي، إن دليلاً تحده بطول قدمين لا يقل أهمية أبداً عن دليل آخر لا يعدو بضع مليمترات! ولكن الفكرة الرومانسية هي التي تقول إن كل الأدلة الهامة ينبغي أن تكون باللغة الصغر. أما بالنسبة لقطعة الأيوب الرصاصي وعدم علاقتها بالجرime فإنك تقول ذلك لأن حيرو قاله.

وعندما حاولت التدخل بسؤال قال بسرعة: كلا، لن نقول المزيد. دع حيرو ليحبه ودعني أنا لأفكراري. إن القضية تبدو مستقيمة عادية تماماً، ومع ذلك... ومع ذلك يا صديقي فأنا لست مقتنعاً! وهل تدري لماذا؟ بسبب ساعة المعصم التي تسبق ساعتين، ثم بسبب العديد من النقاط الصغيرة الغريبة التي لا تبدو متسقة مع الأمر كله. فمثلاً: إن كان هدف القتلة الانتقام، فلماذا لم يقطعوا السيد رينو في فراشه وينهوا الأمر؟

ذكرته قائلاً: لقد أرادوا "السر".

أزاح بوارو عن كُمه ذرة غيار بأسلوب يدل على عدم الاقتناع وقال: حسناً، أين هذا "السر"؟ يفترض أنه يبعد مسافة معينة، طالما أنهما أرادا منه ارتداء ملبسه. ومع ذلك فقد وجد مقتولاً في مكان قريب، بل في مكان يكاد يكون على مرأى ومسمع ممن في البيت. وثمة أمر آخر: أهى محض صدفة أن يُلقى سلاح مثل ذلك السكين هكذا دون اهتمام قريباً من متناول الأيدي؟

سكت قليلاً وهو متجهم الوجه، ثم مضى يقول: لماذا لم نسمع

الخدم شيئاً؟ هل كانوا مخبرين؟ هل كان في الجريمة شريك، وهل حرص ذلك الشريك على إبقاء الباب الأمامي مفتوحاً؟ إنني أتساءل إن...

كنا قد وصلنا إلى الممشى قرب البيت، وفجأة توقف والتفت إليّ قائلاً: يا صديقي، إنني سأدهشك... سأسرك! لقد أثرت فيّ توبيخاتك تماماً! ولذا فسوف نتفحص بعض آثار الأقدام!

- أين؟

- في تلك المسكة اليمنى هناك. يقول السيد بيكر إنها آثار أقدام الـيستاني... لنر إن كان الأمر كذلك. انظر، ها هو الـيستاني يفترب دافعاً عربته.

وبالفعل، كان رجل كهل يعبر الممشى وهو يدفع عربة محملة بالشلالات. ناداه بوارو فأسند عربته إلى الأرض وجاء يسعى نحونا.

سألت بوارو لاهناً وقد عادت إليّ بعض الثقة فيه، فقد قال إن آثار الأقدام في هذه المسكة اليمنى مهمة، وربما كانت كذلك... سأله: هل متطلب منه فردة حذائه لتقارنها بآثار الأقدام؟

- بالضبط.

- ولكن ألن يرى أن ذلك غريب جداً؟

- لن يفكر بالأمر على الإطلاق.

لم نستطع قول المزيد إذ وصل الرجل إلينا.

- هل أردتني لشيء يا سيدي؟

- نعم، لقد كنتَ بانتاباً هنا لفترة طويلة، أليس كذلك؟

- لأربع وعشرين سنة يا سيدي.

- وما هو اسمك؟

- أوغست يا سيدي.

- لقد كنتُ أبدي إعجابي بهذه الورود الرائعة؛ إنها حقاً فريدة

الحمال. هل زرعتها منذ زمن طويل؟

- منذ بعض الوقت يا سيدي، ولكن حتى يحافظ المرء على

منظر جميل للمسكية وروود عليه - طبعاً - أن يستمر في زرع وروود

جديدة، وقطع تلك التي انتهى عمرها، بالإضافة إلى قطف الورود

القديمة باستمرار.

- لقد زرعتَ بعض الورود الجديدة يوم أمس، أليس كذلك؟

تلك الموجودة في الوسط هناك، وفي المسكية الأخرى أيضاً.

- إن لسيدي نظراً حاداً. يستغرق قطف الورود القديمة عادةً

يوماً أو بعض يوم. نعم، لقد زرعتُ عشر شتلات جديدة في كل

مسكية ليلة أمس. ولا شك أن سيدي يعرف أن المرء ينبغي ألا

يزرع الشتلات عندما تكون الشمس حارة.

كان أوغست قد افترض باهتمام بوارو وبدا مستعداً تماماً

للثروة. قال بوارو وهو يشير إلى إحدى شجيرات الورد: تلك ورود

رائعة هناك... هل لك أن تقطع لي منها وروداً؟

- بالتأكيد يا سيدي.

ثم عطا الرجل إلى المسكية وقطف بحذر وروداً من الشجيرة
التي أشار بوارو إليها.

كان بوارو مسهباً في ما بذله من شكر، ومضى أوغست إلى
عربته. قال بوارو وهو ينحني على المسكية ليتفحص آثار الحذاء
الثقيل للبستاني: أرايت؟ الأمر في غاية البساطة.

- إنني لم أدرك...

- بأن القدم ستبقى داخل الحذاء! إنك لا تستخدم قدراتك
العقلية الفذة بشكل كاف. حسناً، ماذا عن آثار الأقدام؟

قلت بعد تفحص دقيق: كل الآثار التي في المسكية تعود لحذاء
واحد.

- أنظن ذلك؟ حسناً! إنني أتفق معك.

هذا غير مهتم أبداً، وكأنه يفكر في أمر آخر. قلت له: على
كل حال، هكذا تكون قد تحلصت من أمر يشغلك.

- ماذا تعني؟

- أعني أنك لن تهتم بعد الآن بمسألة آثار الأقدام.

ولكن بوارو - لدهشتي - هز رأسه بالنفي وقال: كلا، كلا يا
سيدي. إنني أخيراً أسير في الطريق الصحيح. صحيح أن الجريمة
ما تزال لغامضة بالنسبة لي، ولكن كما قلتُ للسيد بيكس، فإن آثار
الأقدام هذه هي أهم الأشياء في هذه القضية! يا لذلك المسكين
... لن أندش إذا ما أغفل أمرها تماماً.

دوربه هي نفسها البيت الصغير الذي أطلت منه الفتاة الجميلة.

قال المفوض وهو يومئ برأسه نحو البيت: لقد عاشت هنا لسنوات طويلة، بهدوء تام، ودون أي تدخل أو فضول. يبدو أنها لا تملك أي صداقات أو أقارب غير المعارف الذين تعرفت إليهم في ميرلينيل. إنها لا تذكر الماضي أبداً، ولا تذكر زوجها. بل إن المرأة لا يعرف إن كان ميتاً أم على قيد الحياة. إن في حياتها لغزاً إن كنت تفهمتي.

أومات برأسي وقد تعاطف اهتمامي. ثم حازفتُ وقلت: وماذا عن... الابنة؟

- إنها شابة جميلة حقاً... متواضعة ومتديعة، وفيها كل الصفات الحسنة. إن المرأة برئي لحالتها، فرغم أنها قد لا تعرف شيئاً عن الماضي إلا أن أي رجل يريد طلب يدها للزواج لا بد أن يطلب معلومات عنها، وعندها...

ثم رفع المفوض كتفيه بشيء من الشك اليائس، فصحتُ أنا بسخط متزايد: ولكن الذنب لن يكون ذنبها!

- نعم، ولكن ماذا يمكن للمرأة أن يفعل؟ إن الرجل يهتم بحيث سابق زوجته والتعرف إلى عائلتها.

منعني الوصول إلى باب البيت من الاستمرار في النقاش. قرع السيد هويله الحرس، ومضت بضع دقائق ثم سمعنا وقع خطوات في الممر، وانفتح الباب. وعلى العتبة وقفت جيمي التي رأيتهما بعد الظهر. وعندما رأنا غاض اللون في وجنتيها وغدا وجهها أبيض

في تلك اللحظة فُتح الباب الأمامي، ونزل السيد هويله والمفوض على الدرج. قال القاضي: أه، سيد بوارو، لقد كنا قادمين للبحث عنك. لقد تأخرنا قليلاً، ولكنني أود القيام بزيارة للسيدة دوربه. لا شك أنها ستكون متزعجة جداً لوفاة السيد رينو، وربما كنا محظوظين بالحصول على دليل منها، فلعل القنيل قد أفضى للمرأة التي استعدته بحبها بالسر الذي أخفاه عن زوجته. إننا نعرف نقطة الضعف لدى شمشوننا، أليس كذلك؟

لم نقل المزيد، بل انتقلنا في صفيين وخرجنا. مشى بوارو مع قاضي التحقيق، ومشيت أنا والمفوض على بعد خطوات منهما.

قال لي المفوض بنبرة سرية: لا شك بأن رواية فرانسوا صحيحة إلى حد بعيد. لقد اتصلت بالمركز هاتفاً، ويبدو أن السيدة دوربه قد قامت خلال الأسابيع الستة الماضية (أي منذ وصول السيد رينو إلى ميرلينيل) بإبداع مبالغ نقدية ضخمة في حسابها المصرفي. والمبلغ بمجموعه يصل إلى نحو من مئتي ألف فرنك!

قلتُ وأنا أفكر: يا إلهي، لا بد أن ذلك يساوي نحواً من أربعة آلاف جنيه!

- بالضبط. نعم، لا يمكن أن يوجد شك في أنه كان مفتوناً بها. ولكن يبقى أن ترى إن كان قد أفضى لها بسرره. إن لدى قاضي التحقيق أملاً، أما أنا فلا أكاد أشاركه رأيه.

خلال هذا الحديث كنا نمشي في الشارع نحو ذلك المقر في الطريق حيث توقفت سيارتنا في وقت مبكر من بعد الظهر، وبعد لحظة أدركتُ أن فيلا مارغريت التي تسكنها السيدة الغامضة

كالموتى واتسعت عيناها خوفاً. لم يكن شك في أنها كانت عاتفة.

قال السيد هوتيه وهو يتزعج قبضته: أنسة دوبريه... تأمف كثيراً لأزعاجكم، ولكنها مقتضيات القانون الطارئة، أنفهميتي؟ أبلغني تحياتي إلى السيدة والدتك، واسألها إن كان بوسعها أن تتلطف بمنحي بضع دقائق لمقابلتها.

وقفت الفتاة دون حركة للحظات. كانت يدها اليسرى تضغط على جانبها، وكأنها تريد تسكين الانفعال الشديد المفاجئ لقلبها. وأخيراً سيطرت على نفسها وقالت بصوت خافت: سأذهب وأرى، تفضلوا بالدخول رجاء.

دخلت غرفة إلى الشمال من الصالة، وسمعتنا همهمة صوتها الخافتة، ثم سمعنا بعد ذلك صوتاً آخر بنفس النبرة، ولكن في امتلاء الناضج رخامة أقوى قليلاً. قال الصوت: بالتأكيد، اطلبني منهم الدخول.

وبعد دقيقة أخرى كنا نقف وجهاً لوجه مع السيدة الغامضة دوبريه. لم تكن بمثل طول ابتها، ولكنها كانت أكثر امتلاء. وعلى عكس ابتها أيضاً، كان شعرها أسود مفروقاً من المنتصف، وكانت عيناها الزرقاوان نصف مخفيتين بالرموش المسدلة. ومع أنها كانت محافظة على شكلها بصورة جيدة، إلا أنها بالتأكيد لم تعد شابة، ولكن سحرها كان من تلك النوعية التي لا علاقة لها بالعمر.

سألت: هل أردت رؤيتي يا سيدي؟

تنحى السيد هوتيه وقال: نعم يا سيدي. إنني أحقق في وفاء

السيد رينو. لا شك أنك سمعت بها؟

أومات برأسها دون أن تتكلم، ولم تتغير تعابير وجهها.

- لقد جئنا لنسألك إن كان بوسعك أن... أن تلقي أي ضوء على الظروف التي أحاطت بها؟
- أنا؟

كانت دهشة نبرتها رالعة.

- نعم يا سيدي. لدينا من الأسباب ما يدفعنا إلى الانحدار بأنك كنت معتادة على زيارة القنيل في بيته في بعض الليالي، بل الأمر على هذا النحو؟

تصاعد الدم إلى وجتي السيدة الشاحبتين، ولكنها أجبت بهدوء: لا حق لك في أن تسألني مثل هذا السؤال.

- سيدي، إننا نحقق في جريمة قتل.

- حسناً، وماذا في ذلك؟ لا علاقة لي بجريمة القتل.

- نحن لا نقول إن لك علاقة بها يا سيدي، ولكنك كنت تعرفين القنيل معرفة جيدة، فهل أفشى لك بأي خطر يهدده؟
- أبداً.

- هل سبق له أن أشار -قط- إلى حياته في مساتياغو، أي أعداء له هناك؟

- كلا.

- ألا يمكنك - إذن - أن تساعدنا بأي شكل؟

- أعتني ألا أستطيع. إنني لا أفهم حقاً لماذا تأتون إلي... ألا تستطيع زوجته إخباركم بما تريدون؟

كان في صوتها أثر خفي من السخرية.

- لقد أخبرتنا السيدة ريتو بكل ما تستطيعه.

قالت السيدة دوبريه: آه! إنني لأتساءل...

- عن أي شيء تتساءلين يا سيدتي؟

- لا شيء.

نظر إليها قاضي التحقيق. كان يمي بأنه في مبارزة معها، وأن أمامه خصماً عنيداً.

- هل تصرين على قولك بأن السيد ريتو لم يقضي لك بشيء؟

- ولماذا تظن أن من المحتمل أن يكون قد أفضى لي بشيء؟

قال السيد هوتيه بقسوة محسوسة: لأن الرجل - يا سيدتي -

يقول لحليته ما لا يقوله عادة لحليته.

قالت بعنف: "آه"، ثم انتفضت وافقة وعيناها تقدحان شراً

وقالت: سيدتي، إنك تهينني وأمام اهتني! لا أستطيع إخبارك شيئاً، ويرجى أن تفضلوا بمغادرة البيت!

غدت الكلمة دون شك للسيدة، وغادرت فيلا مارغريت كالماء

مدرسة يحللمهم الحرج والعار. دمدم القاضي كلمات غاضبة مع نفسه، وبدأ يوارو غارقاً في أفكاره. وفجأة تبس من أحلام يقظته فجلاً وسأل السيد هوتيه إن كان في المنطقة فندق جيد قريب.

- يوجد فندق صغير يدعى دي بين عند طرف البلدة، علي بعد بضعة مئات من الأمتار في هذا الشارع. سيكون هذا مكاناً قريباً بلام استمرارك في تحرياتك. هل سنراك صباحاً إذن؟

- نعم، شكراً لك يا سيد هوتيه.

ثم افترقتا بعد عبارات الوداع المبهمة، حيث ذهبتا أنا وبوارو نحو بلدة ميرلينفيل، وعاد الآخرون إلى فيلا جينيفيف. قال بوارو وهو ينظر إليهم: إن نظام الشرطة الفرنسي رائع جداً، والمعلومات التي يملكونها عن حياة الجميع حتى أدق التفاصيل مذهلة فعلاً. فمع أن السيد ريتو لم يكمل هنا ستة أسابيع من وجوده، إلا أنهم يعرفون تماماً كل أذواقه وشؤون، ويستطيعون - خلال دقائق - الحصول على معلومات عن الحساب المصرفي للسيدة دوبريه، والمبالغ التي أودعت به مؤخراً! لا شك أن أرشيفهم مؤسسة هائلة. ولكن ما هذا؟

لم التفت فجأة.

كان ثمة من يركض خلفنا في الشارع، وأدركنا أنها مارتا دوبريه جاءت حاسرة الرأس، وعندما وصلتنا صاحبت بأنفاس متقطعة: يا الهي العنفس عفوكم. لم... لم يكن يحذر بي أن أفعل هذا. ينبغي ألا أخبركم أي شيء. ولكن، هل صحيح ما يقوله الناس من أن السيد ريتو قد انتحى رجل تحر قبل أن يموت، وأن... وأنك ذلك الرجل؟

قال بوارو بلطف: نعم يا آنسة، هذا صحيح تماماً. ولكن كيف علمت بذلك؟

قالت مارتا بحيلة: فرانسوا أخبرت خادمتنا إيميلي.

ابتسم بوارو وقال: إن السرية مستحيلة في قضية كهذه! رغم أن ذلك لا يهم. حسناً يا آنسة، ما الذي أردت أن تعرفه؟

ترددت الفتاة. بدت متلهفة على الكلام وخائفة في آن معاً، وفي النهاية سألت بما يشبه الهمس: هل... هل يوجد شك بأحد؟

نظر إليها بوارو بإمعان، ثم أجاب بتملص: الشك ما زال يحوم في الوقت الحاضر يا آنسة.

- نعم، أعرف... ولكن... هل يوجد أحد بالتحديد؟

- لماذا تريدین معرفة ذلك؟

بدت الفتاة وكأنها مرعوبة من السؤال. وفجأة تذكرت كلمات بوارو عنها في وقت مبكر من ذلك اليوم، ووصفه لها بأنها "فتاة ذات عينيْن قفلتین". أجابت أخيراً: لقد كان السيد ريتو دائماً شديداً اللطف معي، ومن الطبيعي أن أكون مهتمة.

- فهمت. حسناً يا آنسة، إن الشك يحوم حالياً حول شخصين.

- اثنين؟

كان بودي أن أقسم على أن نبرتها حملت شيئاً من الدهشة والارتياح. أكمل بوارو قائلاً: إن اسميهما مجهولان، ولكن يُسميان

أُنهما تشيليان من سانتياغو. والآن يا آنسة، ها أنت ترين ما الذي يمكن للشباب والحمال أن يفعلاه... لقد أفشيت أسرار المهنة من أحلك!

ضحكت الفتاة بمرح، ثم شكرته بشيء من الحجل وقالت: ينبغي أن أعود بسرعة الآن؛ منتفقدني أُمي.

ثم استدارت وركضت عائدة في الطريق وهي تبدو كسيدة حديثة من عبادة الأساطير الإغريقية أنالانتا. حدثتُ فيها وهي تتعبد فيما قال بوارو بصوته الرقيق الساحر: يا صديقي، هل ستترع هنا طوال الليل... لمحرد أنك رأيت شابة جميلة أدارت رأسك؟

ضحكتُ واعتذرت، ثم قلت: ولكنها جميلة فعلاً يا بوارو. يمكن التماس العذر لأي امرئ يسحر بحمالها.

ولكن بوارو -لدهشي- هز رأسه بحدية تامة وقال: يا صديقي، لا تضع قلبك لدى مارتا دوبريه؛ فتلك الفتاة لا تناسبك! ساعها لصبيحة من "بابا" بوارو!

صحتُ قائلاً: لقد أكد لي المفوض أن طيبتها لا تقل عن جمالها... وأنها ملاك كامل!

على بوارو بمرح قائلاً: إن بعضاً من أفضلع المحرمين الذين فهم كانوا ذوي وجوه ملائكية. إن التشوه أو الشذوذ في الخلايا هو داء اللدماغ يمكن أن يتصادف -بكل سهولة- مع وجه حسناء.

صحتُ فرعاً: بوارو، لا يمكن أن تعني أنك تشك بطفلة بريئة هكذا!

- تانتا تانتا! لا تفعل يا صاحبي. أنا لم أقل إنني أشك فيها، ولكن ينبغي أن تعترف بأن قلقها ولهفتها على متابعة القضية غير عادية على نحو ما.

- إنني أرى أبعد منك هذه المرة؛ إذ أن قلقها ليس على نفسها... بل على أمها.

- يا صديقي.. إنك كعادتك، لا ترى شيئاً أبداً. إن السيدة دوبريه قادرة تماماً على الاعتناء بنفسها دون أن تحتاج إليها للقلق عليها. أتعرف بأنني كنت أنا كفك فقط قبل قليل، ولكنني - مع ذلك - أكرر ما قلته من قبل: لا تضع قلبك عند تلك الفتاة؛ فهي لا تناسبك! إنني - أنا هيركيول بوارو - أعرف ذلك. يا إلهي! لو أنني أستطيع فقط أن أتذكر أين رأيت ذلك الوجه؟

سأله مندهشاً: أي وجه؟ وجه الفتاة؟

- كلا، بل وجه أمها.

وعندما لاحظ دهشتي أولاً برأسه بتأكيد وقال: نعم... كما أقول لك. كان ذلك منذ زمن بعيد، عندما كنت في الشرطة في بلجيكا. إنني لم أرَ المرأة من قبل عملياً، ولكنني رأيت صورتها... وفي معرض صلة لها بقضية ما. أكاد أتخيل...

- ماذا؟

ربما كنت محطناً، ولكنني أتخيل أنها كانت قضية جريمة قتل

* * *

الفصل الثامن لقاء غير متوقع

كنا في الفيلا في وقت مبكر من صباح اليوم التالي. ولم يمننا هذه المرة الحارس الذي يقف عند البوابة في الخارج، بل هو حيّنا باحترام، فعبّرنا إلى المنزل. كانت الخادمة ليوني تنزل الدرج لتوها، وبدأ أنها لا تعارض إمكانية الدخول في حديث قصير.

سأل بوارو عن صحة السيدة رينو، فهزّت ليوني رأسها وقالت: إنها في غاية الحزن والانعراج... المسكينة! إنها لا تأكل شيئاً... أبداً! تبدو شاحبة كالشبح، حتى لتبتع رؤيتها على الأسى. ما كنت لأحزن إلى هذا الحد على رجل خدعتني مع امرأة أخرى!

أوما بوارو برأسه متعاطفاً وقال: ما تقولينه منصف تماماً، ولكن ماذا يفعل المرء؟ إن قلب المرأة التي تحب يغفر الكثير من الأخطاء. إذن لا شك أن كثيراً من مشاهد الاتهامات المتبادلة قد حدثت بينهما في الأشهر القليلة الماضية، أليس كذلك؟

هزّت ليوني رأسها ثانية وقالت: أبداً يا سيدي. لم أسمع

سيدتي أبداً تتلفظ بكلمة احتجاج... أو حتى تأنيب! إن لها روح ومزاج ملاك... تختلف كثيراً عن سيدي.

- ألم يكن للسيد ربه مزاج ملاك؟

- كان أبعد ما يكون عن ذلك! فعندما يغضب يسمع البيت كله بالأمر. ويوم تشاجر مع السيد جاك... يا إلهي! كان يوسعل أن تسمعهما وأنت في السوق، فقد صرخا بأعلى أصواتهما!

- حقاً؟ ومتى حدثت هذه المشاجرة؟

- أوه، مباشرة قبل أن يذهب السيد جاك إلى باريس. وكاد حينها يفوت القطار. خرج من المكتبة، وأخذ حقيبته التي كان قد تركها في الصالة. وكانت السيارة في ورشة الإصلاح، فاضطر للركض إلى محطة القطار. كنت أنا أنظف الصالون، ورأيت يمر، وكان وجهه شاحباً... شاحباً مع وجود بقعتين حمراوين تشتعلان على عديه. لقد كان غاضباً!

كانت ليوني تستمتع كثيراً بسردها.

- وماذا كان سبب النزاع؟

اعترفت ليوني قائلة: آه، هذا ما لا أعرفه. صحيح أنهما كانا يتصاحبان، ولكن أصواتهما كانت عالية جداً، وكانا يتكلمان بسرعة فائقة بحيث لا يستطيع فهمهما إلا من له دراية واسعة باللغة الإنكليزية. كان سيدي كالرعد طوال اليوم! كان يستحيل إرضاءه!

جاء صوت إغلاق باب في الأعلى ليقطع على ليوني سردها.

فهتفت وقد تذكرت واجباتها متأخرة: أوه، إن فرانسوا تنتظرني! تلك العجوز، دالمة التوبيخ.

- لحظة يا آنسة. أين قاضي التحقيق؟

- لقد خرجوا لينظروا إلى السيارة في الموقف، إذ يقطن السيد المفوض أنها ربما استعملت ليلة الجريمة.

تمتم بوارو فيما اخفت الفتاة: يا لهذه الفكرة!

قلت له: هل ستخرج للانضمام إليهم؟

- كلا، بل سأنتظر عودتهم في الصالة! فالجو فيها بارد في هذا الصباح الحار.

لم ترق لي تماماً هذه الطريقة البسيطة في تناول الأمور. قلت له: إن كنت لا تمنع...

ثم ترددت فقال بوارو: أبداً. أترغب في التحري لحسابك الخاص؟

- أحب قليلاً أن ألقى نظرة على جيو إن كان هنا لأرى ما هو يصدده.

أعلم بوارو وهو يجلس على كرسي مريح ويغمض عينيه: أريد السيد البشري... خذ راحتك يا صديقي. وداعاً.

خرجت من الباب الأمامي، وكان الجو حاراً فعلاً. استدرت في الممر الذي قطعناه بالأمس، وكنت أنوي دراسة مسرح الجريمة

قالت الفتاة الملعوب بشيء من الكرامة: لقد بقيت في البلدة.
ضحكتُ وقلت: لا أصدق أن لك أختاً، ولو كانت لك أخت
لكان اسمها ديفيد!

سألت مبتسمة: هل تذكر اسمي؟

- سندريلا، ولكنك مستخيري عن اسمك الحقيقي الآن،
أليس كذلك؟

هزّت رأسها بنظرة شريرة فقلت: ولا حتى عن سبب وجودك هنا؟
- أوه، هذا ما تريده! أحسب أنك سمعت عن بعض زملاء
مهنتي "برناتيون" هنا.

- في المصايف الفرنسية باهظة التكاليف؟

- إنها أرخص من التراب إن عرفت أين تذهب.

نظرتُ إليها بإمعان وقلت: ومع ذلك لم يكن في نيتك المحييء
إلى هنا عندما التقيتك قبل يومين، أليس كذلك؟

قالت الأنسة سندريلا بأسلوب وعظي: إن لكل منا حيات أمله.
والآن، لقد أخبرتك بما يكفيك؛ لا ينبغي للأولاد الطيبين أن يكونوا
فضوليين. ولكنك لم تخبرني بعد ما الذي تفعله أنت هنا؟

- أتذكرين أنني أخبرتك أن صديقي الحميم رجل نحر؟

- نعم؟

- وربما سمعت عن هذه الجريمة... في فيلا جينييف؟

مرة أخرى بنفسى. ولكنني لم أذهب إلى تلك البقعة مباشرة، بل
انعطفتُ باتجاه الشجيرات بحيث أخرج إلى ملعب الغولف من
منطقة تبعد نحواً من مئة متر إلى اليمين. كانت الشجيرات
والأعشاب هنا أكثر كثافة، واضطرتُّ لأكافح بالفعل كي أشق
طريقي خلالها. وعندما خرجتُ أخيراً إلى الملعب كان خروجي
مفاجئاً وقوياً بحيث اصطدمتُ بشدة بفنائه كانت تقف ونظرها إلى
المنطقة المشجرة التي كنتُ فيها.

كان من الطبيعي أن تطلق الفتاة صيحة مكتومة، ولكنني
أطلقتُ أنا الآخر صيحة دهشة. ذلك أنها كانت صديقتي في
القطار، سندريلا!

كانت دهشتنا متبادلة، وصحنا في وقت واحد: أنتِ!

تعالكت الشابة نفسها قبلي وقالت: يا إلهي! ماذا تفعل هنا؟

- بل ماذا تفعلين أنتِ هنا؟

- عندما رأيتك آخر مرة أمس الأول كنتُ عائداً إلى وطنك
إنكثرتا كوليدج طيب مطيع.

- وعندما رأيتك أنا آخر مرة كنتُ عائداً إلى وطنك مع
أختك، كفتاة طيبة مطيعة. وبالمناسبة، كيف حال أختك؟

كافأني بالتماعة من أسنانها وقالت: كم هو لطيف منك أن
تسألني عنها! أختي بخير، شكراً لك.

- أهي هنا معك؟

خلفت بي. اتسعت عينها واستدارت، ثم قالت: لا أحسبك تعني... أنك تشترك في تلك القضية؟

أومات برأسي بالإيجاب. ولم يكن لديّ شك في أنني قد أفحمتها. كانت مشاعرها وهي تنظر إليّ واضحة تماماً، وبقيت ساكنة لبضع لحظات تحديق بي، ثم أومات برأسها بتأكيد وقالت: هذا عجيب جداً! خذني في جولة... أريد رؤية كل الفظائع.

- ماذا تعنين؟

- أعني ما قلته. يا لهذا الصبي! أليس أخبرك أنني أموت حياً بالجرائم؟ لقد كنت أنطلق في المنطقة لساعات، وإن مصادفتي لك بهذه الطريقة لحظاً رائع فعلاً، هيا، أرني كل المناظر.

- ولكن اسمعي... انتظري لحظة... لا أستطيع ذلك. لا يُسمح لأحد بالدخول، وهم صارمون جداً في هذه المسألة.

- أأنت أنت وصديقك سادة المعصية؟

لم أكن أحب التخلي عن موضع عقلمتي، ولذلك قلتُ بضعف: لماذا كل هذا الحرص؟ وما هو الذي تريد أن ترويه؟

- أوه، كل شيء! المكان الذي حدثت فيه الجريمة، والسلاح، والحنة، وبصمات الأصابع، وغير ذلك من الأمور المثيرة. لم تنح لي من قبل أية فرصة أكون فيها قريبة من جريمة قتل إلى هذا الحد. ستعيش معي التجربة طوال حياتي.

أدركت رأسي وقد قرقت. ما الذي يحدث لنساء هذه الأيام؟ لقد قرزنتي حماسة الفتاة النهمه لقصاص الموت والقتل.

قالت الفتاة فجأة: انزل من برجك العاجي، ولا تُبدِ كل هذا الزهو. عندما استدعوك لهذه المهمة، هل سمعت بأنفك وقلت إنها مسألة قلرة لن تشترك فيها؟

- كلا، ولكن...

- ولو كنت هنا في إجازة، أما كان من شأنك أن تنس أنفك وتطفل كما أفعل أنا؟ كنت ستفعل ذلك بالطبع.

- إنني رجل، وأنت امرأة.

- إن فكرتك عن المرأة هي أنها تلك التي تصعد على كرسي الصرخ إن هي رأت فأراً، وهذا كان قبل التاريخ. ولكنت سترافقني إلى المكان، أليس كذلك؟ إن ذلك يعني الكثير بالنسبة لي.

- بأي معنى؟

- إنهم يعدون كل الصحفيين عن المكان. يمكنك أن تعمل سيقاً صحفياً ضخماً مع إحدى الصحف. أنت لا تعرف كم يدفعون مقابل القليل من المعلومات المُستقاة من الداخل.

ترددت، فالتحت بدلال: رجاء... يا عزيزي.

استسلمت، وعرفتُ سرّاً أنني سأستمتع قليلاً بدور الدليل. ولما أُلّا إلى المنطقة التي اكتشفت فيها الحثة حيث وقف رجل في الحراسة، وقد جاني باحترام إذ كان يعرفني بالشكل، ولم يتردد عليّ مرافقتي، والأغرب أنه اعتبرني مسؤولاً عنها. شرحتُ له كيف تم اكتشاف الحثة بالضبط، وأصغت بكل انتباه وهي تفرح بين الحين والآخر سؤالاً ذكياً، ثم حولنا خطانا باتجاه الفيلا.

- لقد كنت في غاية اللطف، ولن أنسى لك ذلك. هيا...
إنهم لا يستطيعون رؤيتنا من البيت، أليس كذلك؟

أمسكتها عن تقديمها المتلفه وقلت: انتظري لحظة. لن أوقفك
إن كنت تريدين حقاً الدخول، ولكن هل تريدين ذلك فعلاً؟ لقد
رأيت القبر، والأراضي المحيطة، وسمعت كل تفاصيل القضية. ألا
يكفيك ذلك؟ سيكون دخولك هنا مسألة قضيعة وكربة.

نظرت إليّ للحظة بتعبير لم أستطع فهمه تماماً، ثم ضحكت
وقالت: أنا أحب الفطائع. هيا.

وصلنا صامتين إلى باب السقيفة، وفتحناها ودخلنا. مشيتُ إلى
الحنطة، ورفعتُ عنها الغطاء كما فعل بيكس عصر أمس. أفلت من
هذه الفتاة صوت شهقة صغيرة، فالتفتُ ونظرتُ إليها. كان في
وجهها رعب الآن، وتلاشت كلياً تلك المعنويات العالية الهادئة لديها.
إنها لم تحتر الإصغاء لنصيحتي، وقد نالت الآن عقابها على ترك
الحنطة النسيحة. لم أحس بأي شفقة تجاهها؛ إذ ينبغي الآن أن تكمل
ما بدأته. فلبتُ الحنطة بهدوء وقلت: أترين. لقد طُعن في الظهر.

قالت بصوت لا يكاد يُسمع: بماذا؟

أشرتُ برأسي نحو الإناء الزجاجي وقلت: بذلك الخنجر.
فبدأتُ أرلحت الفتاة، ثم وقعت كومة واحدة، فقفزت لمساعدتها.
لقد أغمي عليك، لتخرج من هنا. كان ذلك كثيراً عليك.

الحنطة: هيا... بسرعة، ماء.

وقد تقدمتُ بشيء من الحذر، فالحقيقة أنني لم أكن حريصاً أبداً
على مقابلة أحد. أخذتُ الفتاة عبر الشجيرات حتى مؤخرة المنزل
حيث كانت السقيفة الصغيرة التي تحوي الحنطة. تذكرت أن السيد
بيكس - بعد أن أقفل السقيفة مساء أمس - ترك المفتاح مع شرطي
القرية مارشو "خشية أن يطلبه السيد جيرو ونحن في المنزل".
ورأيت أن من المحتمل تماماً أن يكون جيرو قد أعاده بعد استعماله
للشرطي مارشو ثانية. تركت الفتاة مخفية بين الشجيرات ثم دخلتُ
البيت. كان مارشو واقفاً يحرس خلف باب الصالة، وفي الداخل
أصوات همهمات. قال مارشو: أريد السيد رؤية السيد هوتيه؟ إنه
في الداخل، يحقق مرة أخرى مع فرانسوا.

قلتُ بسرعة: كلا، لا أريد ذلك، ولكنني أود كثيراً أخذ مفتاح
السقيفة في الخارج إن لم يكن ذلك مخالفاً للتعليمات.

- بالتأكيد يا سيدي.

ثم أخرجته وقال: ها هو. لقد أصدر السيد هوتيه أوامره بأن
توضع كل التسهيلات تحت تصرفكما. ولكنك ستعيده إليّ عندما
تنتهي منه، هذا كل ما في الأمر.

- بالطبع.

شعرت بمتعة الرضى إذ أدركتُ أنني - في عين مارشو على
الأقل - لا أقل أهمية عن بوارو. كانت الفتاة بانتظاري، وقد هفت
بفرح عندما رأت المفتاح في يدي: لقد حصلتُ عليه إذن؟

قلتُ ببرود: بالطبع، ولكن مع ذلك فإن ما أفعله غير نظامي.

وعند بداية عخط المحلات المتفرقة توقفت وسدت لي يدها قائلة:
وداعاً، وشكراً جزيلاً لك على قدومك معي.

- آنت واثقة أنك على ما يرام الآن؟

- تماماً، أشكرك. أمل ألا تقع في متاعب لأنك أرتيتي الأمور.

نحيث هذه الفكرة دون مبالاة، فقالت: حسناً، وداعاً.

- وداعاً. إن كنت تقيمين هنا فسنلتقي ثانية.

ابتسمت لي وقالت: نعم، وداعاً.

- انتظري لحظة، لم تعطيني عنوانك.

- أوه، إنني أقيم في فندق دو فار. إنه فندق صغير ولكنه جيد
لعماماً، تعال لزيارتي غداً.

قلت بشيء من الحرج الذي لم يكن ضرورياً: سأتي.

ثم رافقتها وهي تفيب عن ناظري، وعدت أدراحي إلى الفيلا.
لما كنت أني لم أقفل باب السقيفة ثانية، ولكن أحداً لم يلاحظ ذلك
الفاطمة لحسن الحظ. وبعد أن أقفلت الباب أخذت المفتاح وأعطيته
للمرطلي البلدة، وقد حطرت لي فجأة - وأنا أقوم بذلك - أنني لا أعرف
هذا اسم سندريلا رغم أنها أعطتني عنوانها.

• • •

تركتها واندفعت إلى المنزل، ومن حسن حظي أن أحداً من
الخدم لم يكن موجوداً، واستطعت أن أخذ كأساً من الماء دون أن
يلاحظني أحد. وخلال بضع دقائق عدت إليها. كانت الفتاة ممددة
كما تركتها، ولكن بضع رشقات من الماء أعادتها إلى وعيها تماماً.
صاحت وهي ترتعد: خذني من هنا... أوه، بسرعة، بسرعة!

أسندتها بلراعي ثم قدتها إلى الخارج حيث الهواء الطلق،
وقامت بإغلاق الباب خلفها، ثم أخذت نفساً عميقاً وقالت: الآن
أفضل. أوه، لقد كان الأمر رهيباً! لماذا تركتني أدخل؟

شعرت بأن هذا السؤال أنوي تماماً بحيث لم أستطع منع نفسي
من الانسجام. والحقبة أنني لم أستغرب انهيارها في سريري؛ فقد
أثبت ذلك أنها ليست مثيلة المشاعر إلى الدرجة التي ظننتها. وهي
لم تكن في نهاية الأمر أكثر من طفلة كبيرة، وربما كان فضولها من
النوع الطائش. قلت لها بلطف: لقد حاولت جهدي منعك.

- أحسب أنك حاولت بالفعل. حسناً، إلى اللقاء.

- اسمعي، لا يمكنك أن تذهبي بهذا الشكل... بمفردك. فما
زلت لا تستطيعين ذلك. إنني أصر على مرافقتك حتى ميرلينيل.

- هراء... لقد أصبحت معتازة تماماً الآن.

- وماذا لو أغمي عليك ثانية؟ كلا، سأتي معك.

عارضت ذلك بكل قوة، ولكنني نحتت - في النهاية - بإقناعها
بالسماع لي بمرافقتها حتى ضواحي البلدة. وهكذا عدنا أدراجا على
نفس الطريق السابق، فمررنا ثانية بالقبر واتحرفنا وصولاً إلى الشارع

أشار السيد هوتيه إلى أنه قد أنهى استجوابه فانسحب المحجوز وهو يتنمر إلى أقصى مدى. وعندما كان يدلي بشهادته كنت أتفحصه بامعان، إذ تذكرت إصرار بوارو الغريب على آثار الأقدام في مسكبة الورود. ورأيت أنه إما شخص لا علاقة له بالجريمة أو أنه ممثل بارع. وفجأة عطلت لي فكرة وهو يخرج من الباب فصحت: اعلزني يا سيد هوتيه، ولكن هل تسمح لي بطرح سؤال واحد عليه؟

- بالتأكيد يا سيدي.

التفتُ إلى أوغست وقد شجعتني جواب القاضي وقلت: أين تطبع حذاءك؟

دمدم المحجوز قائلاً: في قدمي، وهل من مكان آخر؟

- ولكن عندما تأوي إلى فراشك ليلاً؟

- تحت سريري.

- ولكن من يظفّه؟

- لا أحد. ولماذا يُظفّ؟ هل تراني أتزده على الشاطئ كالفتيان؟

في أيام الأحد أرتدي حذاء الخروج، ولكن فيما عدا ذلك...

ثم رفع كتيفه بشيء من اللامبالاة.

هرزت رأسي مُحبطاً. وقال القاضي: حسناً، إننا لم نتقدم

كثيراً. لا شك أننا مكتوفو الأيدي حتى يصل جواب البرقية من

باريس. هل رأى أحد منكم حيرو؟ إن هذا الرجل ينقصه الأدب

بشدة! يحظر لي فعلاً أن أرسل في طلبه و...

الفصل التاسع

السيد جيرو يجد بعض الأدلة

حين دخلت الصالة وجدتُ قاضي التحقيق مشغولاً باستجواب البستاني أوغست. حيائي بوارو والمفوض بالتسامة من الأول وانحناء احترام من الثاني، وكنا حاضرين للتحقيق، ووجدتُ لي مقعداً بهدوء. كان السيد هوتيه يبذل كل جهده ويدقق في أقل الصغائر، ولكنه لم ينجح في الحصول على أي شيء ذي أهمية.

وقد اعترف أوغست بأن قفازي البستنة كانا قفازيه، وأنه كان يرتديهما عندما يتعامل مع بعض أنواع النباتات التي تكون سامة لبعض الناس. وقال إنه لا يستطيع الحزم حول آخر مرة استعمل فيها قفازيه، وأنه لم يفقدتهما بالتأكيد. أين يحتفظ بهما؟ مرة هنا ومرة هناك، وعادة ما يوجد الرفش في السقيفة الصغيرة التي تستخدم للأدوية. هل كانت تُقفل؟ بالطبع كانت تُقفل. وأين يُحتفظ بالمفتاح؟ يكون المفتاح في الباب طبعاً، فلم يكن فيها شيء ذو قيمة يمكن أن يُسرق. ومن كان يتوقع قنوم مجموعة من قطاع الطرق أو الفلّاح؟ لم تكن مثل هذه الأمور تحدث في أيام السيدة فيكوميتيس.

- لا حاجة لأن ترسل.

فاجأنا الصوت الهادئ. كان جيرو واقفاً في العاراج ينظر إلينا من خلال النافذة، وقد قفز بخفة إلى الغرفة وتقدم إلى الطاولة قائلاً: ها أنذا، في خدمتك. أرجو قبول اعتفاري على عدم ظهوري في وقت أبكر.

قال القاضي بشيء من الاضطراب: أبدأ... أبدأ!

استمر الآخر قائلاً: إنني بالطبع رجل تحرٍ فقط، ولا أعرف شيئاً عن الاستجوابات. ولو كنت أقوم باستجواب لكنت قمت به دون وجود نوافذ مفتوحة، فبوسع كل من يقف في الخارج أن يسمع كل ما يدور. ولكن لا بأس.

احمر وجه السيد هوتيه غضباً. وهذا واضحاً أنه لن يكون حب بين قاضي التحقيق ورجل التحري المسؤول عن القضية، فقد كرها بعضهما منذ البداية. وربما كانت الأمور متحري على نفس المنوال في أية حالة أخرى؛ فجيرو يرى أن كل قضية التحقيق مغفلون، والسيد هوتيه الذي يأخذ نفسه على محمل الجد لا يد أن يحدد أسلوب جيرو المستخف الهازئ مهيناً تماماً.

قال القاضي بشيء من الحدة: حسناً، لا شك أنك كنت تستخدم وقتك للخروج بالمعائب! إنك تحتفظ لنا بأسماء القضاة! ليس كذلك؟ وكذلك المكان المحدد الذي هم فيه الآن؟

أجاب السيد جيرو دون أن تحركه سخرية القاضي: أنا أعرف على الأقل من أين جاؤوا.

أخرج جيرو من حبه شيتين صغيرين ووضعهما على الطاولة، فتحمّنا حولها. كان الشيطان في غاية البساطة: عقب لفافة تبغ وعود ثقاب لم يُستعمل. استدار رجل التحري إلى بوارو وقال: ماذا ترى هناك؟

كان في نبرته شيء يكاد يكون قاسياً، وقد جعلني ذلك أحمر غضباً. ولكن بوارو بقي غير متأثر، حيث رفع كتفيه وقال: عقب لفافة وعود ثقاب.

- وبماذا يوحي لك ذلك؟

رفع بوارو يديه وقال: لا يوحي لي شيء.

قال جيرو بنبرة قناعية: آه! إنك لم تدرس هذه الأشياء. هذا ليس عود ثقاب عادياً... ليس في هذا البلد على الأقل. إنه شائع تماماً في أمريكا الجنوبية. ومن حسن الحظ أنه لم يتم إشعاله، وإلا لما كنت قد ميّزته. من الواضح أن أحد الرجلين قد رمى عقب لفافته وأشعل غيرها فوقع منه عود ثقاب وهو يقوم بذلك.

قال بوارو: والعود الآخر؟

- أي عود؟

- العود الذي أشعل به لفافته، هل وحدته أيضاً؟

- كلا.

- ربما لم تبحث بكل دقة إذن.

- لم أبحث بدقة...

بدا للحظة أن جيرو كان على وشك الانقحار غضباً، ولكنه بذل جهداً ليسيّط على نفسه وقال: أرى أنك تحب المزاح يا سيد بوارو. ولكن على أية حال، بثقاب أو بدون ثقاب، فإن عقب اللقافة سيكون كافياً. إنها لقافة من أمريكا الجنوبية ذات ورق بنكهة السوس.

أوما بوارو برأسه، وتكلم المغوض قائلاً: ربما كان عقب اللقافة والثقاب عائدين للسيد رينو. تذكر أنه لم يعد من أمريكا الجنوبية إلا منذ عامين.

أجاب الآخر بثقة: كلا، لقد فنشت أساماً في أغراض السيد رينو، وما يستخدمه من تبغ وثقاب يختلف تماماً عن هذا.

سأله بوارو: ألا ترى غريباً أن يأتي هذان الغريبان غير مجهزين بسلاح ولا يقفازات ولا برفش، وأن يحدا كل هذه الأشياء جاهزة بمثل هذه السهولة؟

ابتسم جيرو بشيء من الفوقية وقال: لا شك أن ذلك غريب. والحقيقة أنه لم يكن يُفسّر لولا النظرية التي امتلكها.

قال السيد هوتيه: أها! شربك داخل المنزل؟

قال جيرو بابتسامة غريبة: أو بخارجه.

- ولكن لا بد أن أحداً قد هيا لهما سبيل الدخول. لا يمكننا الافتراض بأنهما وحدا الباب مفتوحاً نتيجة حسن طالع لا مثيل له؟

- لقد تم فتح الباب لهما، ولكن ربما كان قد فُتح من الخارج بنفس السهولة... من قبل شخص لديه المفتاح.

- ولكن من الذي كان يمتلك مفتاحاً؟

رفع جيرو كفيه حيرة وقال: بالنسبة لهذا السؤال فإنه ليس من شأن أحد يمتلك المفتاح أن يعترف بذلك إذا ما أمكنه السكوت. ولكن ربما كان لدى العديد من الأشخاص مفتاح. السيد جاك رينو الابن مثلاً... صحيح أنه في طريقه إلى أمريكا الجنوبية، ولكن ربما كان قد فقد مفتاحاً، أو ربما سُرّق منه. والبستاني... فقد عمل هنا لسنوات عديدة. وربما كان لإحدى الخادومات الشابات صديق. من السهل أخذ طابعة للمفتاح وعمل نسخة منه. توجد الكثير من الاحتمالات... كما يوجد شخص آخر أرى أن من المحتمل كثيراً أن يكون لديه مثل هذا المفتاح.

- من هذا؟

قال جيرو: السيدة دوبريه.

قال القاضي: إيه! أوقد سمعت بذلك؟

قال جيرو بهدوء: إنني أسمع كل شيء.

قال السيد هوتيه فرحاً بقدرته على إظهار معرفته المتفوقة: أمر واحد يمكنني أن أقسم أنك لم تسمع به.

لم مضي يقصّ عليه قصة الزائرة الغامضة في الليلة التي سبقت له. كما أشار إلى الشيك الذي كُتب لدوفين، وأخيراً سلّم لـ جيرو الرسالة الموقعة باسم "بيلا".

قال جيرو: هذا كله منير جداً، ولكن نظرتي لا تتأثر بذلك.

- وما هي نظريتك؟

- أفضل في الوقت الحاضر ألا أقولها. تذكر أنني ما زلت في بداية تحرياتي.

قال بوارو فحاة: قل لي شيئاً واحداً يا سيد جيرو. إن نظريتك تأخذ بعين الاعتبار مسألة فتح الباب، ولكنها لا تفسر لماذا تم إبقاؤه مفتوحاً. ألم يكن من الطبيعي بالنسبة إليهما عندما غادرا المنزل أن يغلقا الباب خلفهما؟ لو قُدِّر لشرطي البلدة أن يأتي بالصدفة إلى البيت - كما يفعل عادة للامتنان على أن كل شيء على ما يرام - لكان بالإمكان أن يُكشفا ويُمسكا على الفور.

- ياه! لقد نسياء. أضمن لك أنها كانت غلطة منهما.

وعندها - ولدهشتي - نطق بوارو بنفس الكلمات تقريباً التي قالها للمفوض بيكس مساء أمس: أنا لا أتفق معك. إن ترك الباب مفتوحاً كان نتيجة لأحد أمرين اثنين: إما التخطيط أو الضرورة، وأية نظرية لا تأخذ هذه الحقيقة بعين الاعتبار محكوم عليها بالفشل.

نظرنا جميعاً إلى بوارو الضئيل بكثير من الدهشة. وكنت قد رأيت أن الاعتراف بالجهل الذي أدلى به مضطراً بخصوص مسألة الثقب لا بد أن يُشعره بشيء من المهانة، ولكن ها هو مقتنع بنفسه كدأبه دائماً، يتكلم مع جيرو بكل فوقية دون أن يرف له جفن.

قتل جيرو شاربه وهو ينظر إلى صديقي بأسلوب ساحر بعض الشيء ثم قال: أنت لا تتفق معي، أليس كذلك؟ حسناً، ما الذي يبرر انتباهك بشكل خاص في هذه القضية؟ دعنا نسمع وجهات نظرك.

- شيء واحد يبرز أمامي باعتباره هاماً. قل لي يا سيد جيرو، ألم يلفت نظرك في هذه القضية شيء مألوف لك؟ ألا تذكر هذه القضية بشيء؟

- تذكرني بشيء؟ مألوف؟ لا أستطيع القول فوراً. مع أنني لا أنسى ذلك.

قال بوارو بهدوء: أنت مخطئ. لقد ارتكبت من قبل جريمة تكاد تكون مشابهة تماماً لهذه.

- متى؟ وأين؟

- آه، هذا مع الأسف ما لا أذكره حالياً، ولكنني سأفعل. كنت أمل أن تستطيع أنت مساعدتي في ذلك.

زفر جيرو باستغراب وقال: لقد وقعت الكثير من القضايا على يد رجال مُقتنعين، ولا أستطيع تذكر تفاصيلها كلها؛ فالجرائم يشبه بعضها بعضاً بشكل أو بآخر.

اتخذ بوارو فحاة سميت المحاضر وخاطبنا جميعاً قائلاً: يوجد شيء اسمه اللمة الفردية. إنني أتحدث إليكم الآن عن سيكولوجيا الجريمة. السيد جيرو يعرف تمام المعرفة أن لكل محرم طريقته الخاصة الفريدة، وأن الشرطة عندما يُستدعون للتحقيق في حادث - مثل - "موت" - يستطيعون في كثير من الأحيان أن يحددوا بذكاء هوية المجرم، وذلك - ببساطة - من خلال الأساليب الفريدة التي اتبعها. (والآن من شأن المفتش حاب أن يقول لك نفس الكلام يا هيبستغز). إن الإنسان حيوان يفتقر للتفرد، فهو غير متفرد ضمن القانون في

- ماذا في الأمر إذن؟

- ومع ذلك فإن الساعتين وقتٌ طويل. ثم إن لدينا مسألة آثار الأقدام في مسكبة الورود.

ثم أوما برأسه إلى النافذة المفتوحة. فخطا جيرو عطوتين متلهفتين ونظر من النافذة وقال: ولكنني لا أرى أية آثار أقدام؟

قال يوارو وهو يُعدّل رزمة كتب على الطاولة: نعم، لا توجد أية آثار.

وللحظة اكتسب وجه جيرو غضباً يكاد يكون قاتلاً. خطا عطفونين باتجاه مُعدّبه، ولكن باب الصالة فُتح في تلك اللحظة وأعلن مارشو قاتلاً: لقد وصل السكرتير السيد ستونور لتوّه من إنكلترا. هل يمكنه الدخول؟

• • •

حياته اليومية المحترمة، وغير متفرد بنفس الدرجة بحارج القانون. وإذا ما ارتكب رجلٌ جريمة فإن أية جريمة أخرى يرتكبها تشبه جريمته الأولى كثيراً. إن قضية ذلك القاتل الإنكليزي الذي تخلص من زوجته واحدة بعد الأخرى عن طريق إغراقهن في الحمام تُعتبر خير دليل على ما نقوله، ولو أنه اتبع أساليب مختلفة فلربما كان قد نحا من الكشف حتى يومنا هذا. ولكنه أطاع دواعي الطبيعة البشرية، قائلاً لنفسه إن ما نجح مرة سينجح كل مرة، ولذلك دفع ثمن اقتضاره إلى التفرد والإبداع.

زمر جيرو قائلاً: وما العبرة في كل هذا؟

- العبرة هي أنك عندما تجد جريمتين متشابهتين تماماً في التخطيط والتنفيذ فإنك تجد خلفهما عقلاً واحداً. أنا أبحث عن ذلك العقل يا سيد جيرو، وسوف أجده. إن لدينا هنا دليلاً حقيقياً... دليلاً سيكولوجياً. ربما كنت تعرف كل شيء عن لغافات التبع وأعواد الثقاب يا سيد جيرو، أما أنا - هيركيول يوارو - فلأنني أعرف عقل الإنسان.

بقي جيرو غير متأثر على الإطلاق.

استمر يوارو قائلاً: وحتى أرشدك فلأنني سأقول لك أيضاً حقيقة ربما لا تُقال لك. إن ساعة المعصم الخاصة بالسيدة رينو كانت في اليوم الذي أعقب المأساة تُسبّق ساعتين.

حدق به جيرو وقال: ربما كانت معنادة على أن تُسبّق؟

- هذا ما قيل لي بالفعل.

وصل متأخراً بحيث لم يستطع فعل شيء لتجنب المأساة. وهذا صديق للسيد بوارو، السيد هاستينغز.

نظر ستونور إلى بوارو بشيء من الاهتمام وقال: أرسل في طلبك إذن؟

سأله السيد بيكس: ألم تعرف أن السيد رينو كان يفكر باستدعاء رجل تحرّ؟

- كلا، لم أكن أعلم، ولكن الأمر لا يدهشني أبداً.

- لماذا؟

- لأن الرجل كان قلقاً خائفاً، ولا أعرف سبب ذلك كله. لم يكن يقضي إليّ شيء. لم تكن على تلك الدرجة من التفاهم، ولكنه كان قلقاً... وبشدة.

قال السيد هوتيه: هممم! ولكنك لا تعرف السبب؟

- هذا ما قلته يا سيدي.

- اعدوني يا سيد ستونور، ولكن يجب أن تبدأ ببعض الأسئلة الكتابية. ما هو اسمك؟

- غابرييل ستونور.

- منذ متى وأنت سكرتير للسيد رينو؟

- منذ نحو عامين، منذ وصل من أمريكا الجنوبية. قابلته لدى مكتبه في شركة لنا، فعرض عليّ الوظيفة. وقد كان رئيساً ممتازاً أيضاً.

الفصل العاشر

غابرييل ستونور

كان الرجل الذي دخل الغرفة الآن رجلاً مهيباً؛ فقد كان بالغ الطول ذا جسم رياضي مفتول ووجه وعشق برونزين تماماً، الأمر الذي جعله يسيطر على المجتمعين، وحتى جيرو بدا أمامه عليلًا شاحبًا. وعندما عرفت غابرييل ستونور بشكل أفضل أدركت أنه كان شخصية غير عادية أبداً؛ فهو إنكليزي بالولادة، ولكنه طاف أنحاء العالم، قاصطاد الوحوش في أفريقيا، وسافر في كوريبا، ورأس المواشي في كاليفورنيا، وتاجر في جزر البحر الجنوبي.

وقد اختارت عينه التي لا تخطئ السيد هوتيه فقال له: قاضي التحقيق في هذه القضية؟ تسعدني معرفتك يا سيدي. إنها مسألة فضيحة. كيف حال السيدة رينو؟ هل تتحمل الضغوط بشكل جيد؟ لا بد أنها كانت صدمة رهبة لها.

قال السيد هوتيه: نعم، فضيحة.. فضيحة. اسمح لي أن أقدم لك السيد بيكس، مفوض شرطتنا، والسيد جيرو من دائرة الأمن. وهذا السيد هو هيركيول بوارو. وقد أرسل السيد رينو في طلبه، ولكنه

مخطئاً؛ فالرجل لم يكن ينظر مجرد نظراً لأمة امرأة. كان يحب زوجته حباً جماً، وقد كانا أكثر زوجين محبين عرفتهما.

هز السيد هوتيه رأسه بلطف وقال: سيد ستونور، إن لدينا دليلاً مُطلقاً... رسالة حب من هذه المرأة يسلاً للسيد رينو، تنهمه فيها بأنه ملء منها. وفوق ذلك فلدينا دليل إضافي على أن السيد رينو كان وقت وفاته على علاقة بامرأة فرنسية، سيدة تدعى السيدة دوبريه التي تستأجر الفيلا المجاورة.

ضافت عينا السكرتير وقال: لحظة يا سيدي... إنك تسير في طريق خاطئ. لقد عرفتُ بول رينو، وإن ما كنت تقوله لشك مستحيل تماماً. يوجد تفسير آخر دون ريب.

رفع القاضي كفيه حيرة وقال: أي تفسير آخر يمكن أن يكون؟ - ما الذي قادكم إلى الاعتقاد بأنها علاقة حب؟

- كانت السيدة دوبريه معنادة على زيارته ليلاً، وفوق ذلك فمنذ مجيء السيد رينو إلى فيلا جينيفيف قامت السيدة دوبريه بإيداع مبالغ ضخمة من المال في المصرف نقداً. ويبلغ إجمالي المبلغ نحواً من أربعة آلاف جنيه بعملةكم البريطانية.

قال ستونور بهدوء: أحسب أن هذا صحيح. لقد حوكتُ أياً هذه المبالغ نقداً بناءً على طلب منه، ولكنها لم تكن علاقة غرامية.

- وماذا تكون غير ذلك؟

قال ستونور وهو يضرب الطاولة بقبضته: ابتزاز، هذا هو الأمر.

صاح القاضي وقد اهتز رغباً عن نفسه: آه!

كرر السيد ستونور: ابتزاز. لقد كان الرجل يُحلب... وبمعدلات عالية أيضاً أربعة آلاف في غضون شهرين. ووه! لقد أخبركم قبل قليل أنه كان لدى رينو لغز، والواضح أن هذه السيدة تعرف عن ذلك اللغز ما يكفي لتهديده به.

صاح المقوض بانفعال: هذا ممكن، ممكن بالتأكيد.

زمر ستونور قائلاً: ممكن؟ بل هو أكيد. أخبروني، هل أخبرتم السيدة رينو عن بدعة العلاقات الغرامية هذه؟

- كلا يا سيد ستونور. لم نرغب بأن نسب لها أسى إن كان بالإمكان تجنب ذلك.

- الأسى؟ إن من شأنها أن تضحك منكم. لقد قلتُ لكم إنها والسيد رينو كانا زوجين لا مثيل لهما.

قال السيد هوتيه: آه، هذا يذكرني بنقطة أخرى. هل أفضى لك السيد رينو بشيء بخصوص شروط وصيته؟

- أنا أعرف كل شيء عنها؛ فقد أخذتها بنفسني إلى محاميها بعد أن صاغها. وأستطيع إعطاءكم اسم محاميها إن أردتم رؤيتها، وهي عند هناك. كانت وصية بسيطة تماماً: نصف أمواله في صندوق **المدان** لصالح زوجته طوال حياتها، والنصف الآخر لابنه، وتوجد بعض المنح الأخرى. أحسب أنه ترك لي ألف جنيه.

- متى كتبت تلك الوصية؟

- منذ نحو سنة ونصف.

- ألن يدهشك كثيراً يا سيد - ستونور أن تعلم أن السيد رينو قد كتب وصية أخرى قبل أقل من أسبوعين؟

بدا أن ستونور قد اندهش كثيراً وقال: لا أعلم لي بذلك. وكيف كانت؟

- لقد ترك ثروته الهائلة كلها لزوجته دون تحفظ، وليس من ذكر لابنه.

أطلق ستونور صفرة طويلة وقال: اعتبر هذا إجراء قاسياً بحق الولد. إن والدته تحبه كثيراً بالطبع، ولكن سيبدو الأمر للعالم وكأنه نقص ثقة عند الوالد بانه. سيكون ذلك جارحاً لكرامته نوعاً ما. ومع ذلك فإن هذا يثبت ما قلته لكم من أن رينو وزوجته كانا على أفضل حال.

قال السيد هوتيه: بالتأكيد، بالتأكيد. ربما كان علينا أن نعيد النظر بأفكارنا في عادة نقاط. لقد أبقنا طبعاً إلى سانتياغو، وتتوقع الرد في أية لحظة، والأغلب أن يصبح كل شيء بعد ذلك واضحاً جلياً. ومن جانب آخر، فإذا كان اقتراحك الخاص بالابتزاز صحيحاً فيجب أن تكون السيدة دوبريه قادرة على إعطائنا معلومات قيمة.

تدخل يوارو بملاحظة قاتلاً: سيد ستونور، هل كان السائل الإنكليزي، ماسترز، في خدمة السيد رينو منذ فترة طويلة؟

- لأكثر من سنة.

- أتعرف إن كان قد سبق له قط أن كان في أمريكا الجنوبية؟

- إنني واثق تماماً أنه لم يكن هناك أبداً، فقبل أن يأتي للعمل لدى السيد رينو كان يعمل لسنوات طويلة مع عائلة أعرفها جيداً في غلوسترشير.

- إذن فأنت تستطيع أن تضمن أنه فوق الشبهات؟

- بكل تأكيد.

بدا يوارو مصعوقاً بعض الشيء.

في غضون ذلك استدعى القاضي مارشو وقال له: أبلغ ثياني للسيدة رينو وقل لها إنني سأساعد بالتحدث معها لوضع دقائق. وقل لها ألا تزعج نفسها، فسننتظرها في الطابق العلوي.

انتظرنا بضع دقائق، ثم فتح الباب - لدهشتنا - ودخلت السيدة رينو شاحبة شحوب الموتى في ثياب حدادها.

قدم السيد هوتيه لها كرسيّاً وهو يعتذر بشدة، فشكرته بانسامة. كان ستونور يمسك بإحدى يديها في إشارة تعاطف بليغة، وبدأ واضحاً أن الكلمات قد خاتته. التفتت السيدة رينو إلى السيد هوتيه وقالت: أكتت ترغب في سؤالي عن شيء؟

- بعد إذنك يا سيدتي. لقد فهمت أن زواجك كان كندياً رئيساً بالولادة. هل يمكنك أن تخبريني شيئاً عن شبابه ونشأته؟

هزت رأسها وقالت: لقد كان زوجي دائماً متحفظاً في الكلام في نفسه يا سيدي. أعرف أنه جاء من الشمال الغربي، ولكن يُخَيَّل لي أنه من بعلفولة تيسية، لأنه لم يهتم أبداً بالحدث عن تلك

الفترة. لقد كنا نعيش حياتنا كلياً في الحاضر والمستقبل.

- هل كان في حياته الماضية أي لغز؟

ابتسمت السيدة رينو قليلاً وهزت رأسها قائلة: إنني واثقة من عدم وجود شيء رومانسي كهذا يا سيدي.

ابتسم السيد هوتيه أيضاً وقال: صحيح، ينبغي ألا تمضي في مثل هذه الميلودراميات. بقي شيء واحد آخر...

ثم تردد قليلاً، فتدخل ستونور بالدفاع قائلاً: لقد دخلت أذهانهم فكرة غريبة جداً يا سيدة رينو. إنهم يتخيلون أن السيد رينو كان على علاقة سرية بسيدة تدعى دوبريه، وهي تسكن قريباً من هنا.

توهج اللون القرمزي في وجنتي السيدة رينو. رفعت رأسها بقوة، ثم عضت شفتها ووجهها يضطرب. وقف ستونور ينظر إليها مندهشاً، ولكن السيد ييكس انحنى إلى الأمام وقال بلطف: إننا نأسف إذ نسب لك الألم يا سيدتي، ولكن هل لديك أي سبب للاعتقاد بأن السيدة دوبريه كانت عشيقة لزوجك؟

وينشج من الألم دفنت السيدة رينو وجهها بين يديها، وتقبض كتفاتها كما لو أنها تشنح. وأخيراً رفعت رأسها وقالت بصوت كسير: ربما كانت كذلك.

لم أر في حياتي أبداً شيئاً يعادل الذهول الذي بدا على وجه ستونور؛ فقد فوجئ أيما مفاجأة!

• • •

الفصل الحادي عشر

جاك رينو

لا أستطيع تخمين ما كان يمكن أن يتطور إليه الحديث، ذلك أن الباب فتح بعنف في تلك اللحظة ودخل شاب طويل الغرفة.

وللمحنة أحسست إحساساً غريباً بأن الرجل الميت قد بعث حياً من جديد، ثم لاحظت أن هذا الرأس الأسود لم يقربه الشيب، وأن من دخل الغرفة علينا بهذا القدر من قلة الاحتفاء لم يكن سوى صبي. ذهب مباشرة إلى السيدة رينو بالدفاع لم يتبته لحضور الآخرين.

- ماما!

- جاك!

وبصرعة منها احتضنته وقالت: يا حبيبي! ولكن ما الذي أتى بك إلى هنا؟ كان يُفترض أن تُبحر على متن السفينة أنزورا من تشيربورغ قبل يومين؟

ثم استعادت فحاة إحساسها بوجود الآخرين فالتفت بشيء من الفخر وقالت: هذا ابني يا سادتي.

قال السيد هوتيه وهو يحيب الشاب على انحناءة النخبة: آه! لم تسافر إذن على متن أنزورا؟

- لا يا سيدي. كنتُ سأشرح لكم لنوي، فقد تأخرت السفينة أنزورا لفترة أربع وعشرين ساعة بسبب مشكلات في محركاتها. وكان من المفترض أن أغادر ليلة أمس بدلاً من ليلة أمس الأول، ولكن حدث أن اشتريت صحيفة مسائية ورأيت فيها تقريراً عن ال... عن المأساة الفظيعة التي نزلت بنا...

تهدج صوته واغرورقت عيناه بالدموع وقال: أبي المسكين... أبي المسكين!

كررت السيدة رينو وهي تحديق فيه كأنها في حلم: "لم تبحر إذن؟" ثم تعتمت بإشارة تدل على السأم الشام، وكأنها تتكلم مع نفسها: على كل، لم يعد الأمر بهم... الآن.

قال السيد هوتيه وهو يشير إلى كرسي: تفضل بالجلوس رجاء يا سيد رينو. إنني عميق الأسف بشأنك؛ لا بد أنها كانت صدمة عتيقة لك أن تتلقى الخبر بتلك الطريقة. ولكن من حسن الحظ كثيراً أنك لم تسافر. فأنا أمل أن تستطيع إعطاءنا المعلومات التي نحتاجها لحل أمر هذا اللغز.

- أنا تحت تصرفك يا سيدي... أسألك أي أسئلة تريدها.

- بدايةً فهمتُ أن هذه الرحلة كانت بناءً على طلب من أهلك،

أليس كذلك؟

- تماماً يا سيدي. فقد تلقيتُ برقية تطلب مني التوجه دون تأخير إلى بيونوس أيريس، ومن هناك عبر الأنديز إلى فالبارايزو، ثم المعني إلى سانتياغو.

- آه! وما هو الغرض من تلك الرحلة؟

- ليست لدي أية فكرة.

- ماذا؟

- نعم. انظر، هذه هي البرقية.

أخذها القاضي وقرأ بصوت عال:

"توجه فوراً إلى تشيبيورغ، وهناك السفينة أنزورا متبحر الليلة إلى بيونوس أيريس. وجهتك النهائية سانتياغو. منتظرك تعليمات أخرى في بيونوس أيريس. لا تتلصق. الأمر في غاية الأهمية.

رينو."

- ألم تكن بينكما مراسلات سابقة حول هذه المسألة؟

هز جاك رينو رأسه بالنفي وقال: هذه هي الإشارة الوحيدة لهذا الأمر. أعرف - طبعاً - أن لوالدي الكثير من المصالح في أمريكا الجنوبية نتيجة قضائه وقتاً طويلاً هناك، ولكنه لم يُشر أبداً أي موضوع عن إرساله إلى هناك.

- لقد مكثتُ في أمريكا الجنوبية زمناً طويلاً يا سيد رينو،

- ألم تكن بينكما خلافات صغيرة؟

رفع جاك كتفيه وقال: يمكن لكل واحد أن تكون له خلافات في الرأي من آن لآخر.

- بالطبع، بالطبع. ولكن إذا كان لأحدهم أن يؤكد بأنك تشاجرت مع أريك شجاراً عتيفاً ليلة مغادرتك إلى باريس، فإن ذلك الشخص يكون كاذباً دون شك، أليس كذلك؟

اعترف الشاب قائلاً: لقد... لقد تحادلتنا قليلاً بالفعل.

- آه، تحادلتما! وهل استخدمت في غمرة ذلك الحدال هذه العبارة: "عندما تموت يمكنك أن أصنع ما أشاء"؟

- ربما كنت قد قتلها، لا أدري.

- وهل قال أبوك رداً على ذلك: "ولكنني لم أمت بعداً". الأمر الذي أحبت عليه قائلاً: "أتمنى لو أنك كنت ميتاً".

لم يحب الصبي. عشت يدها بعصية ببعض الأشياء أمامه على الطاولة، فقال جيرو بحدة: إنني أطلب منك جواباً من فضلك يا سيد رينو.

وبهتاف غاضب قذف الشاب بسكين فتح رسائل إلى الأرض وقال: وما أهمية ذلك؟ ربما كان من الأفضل أن تعرف، نعم، لقد تشاجرت مع أبي. وأظنتي قلت كل تلك الأشياء. لقد كنت غاضباً جداً بحيث لا أستطيع حتى تذكر ما قلته! كنت أتميز غضباً... هل

- كنت هناك وأنا طفل. ولكنني تلقيت تعليمي في إنكلترا، وقضيت معظم عطلاتي الصيفية فيها، ولذلك فإن ما أعرفه حقاً عن أمريكا الجنوبية أقل بكثير مما قد يظن الناس. لقد اندلعت الحرب عندما كنت في السابعة عشرة.

- وقد خدمت في سلاح الجو البريطاني، أليس كذلك؟

- نعم يا سيدي.

أوما السيد هوتيه برأسه ومضى في تحقيقه وفق السياق الذي أصبح الآن معروفاً تماماً. وجواباً عن الأسئلة أعلن جاك رينو دون لبس أنه لا يعرف عن أية عدواة يمكن أن يكون أبوه قد اكتسبها في مدينة سانتياغو أو غيرها من مدن أمريكا الجنوبية، وأنه لم يلاحظ تغيراً في سلوك أبيه مؤخراً، وأنه لم يسمعه أبداً يشير إلى سر لديه. وقال إنه اعتبر مهمته إلى أمريكا الجنوبية مهمة تتعلق بمصالح العمل.

وفيما توقف السيد هوتيه لحظة تدخل صوت جيرو الهادئ: أود يا سيادة القاضي طرح بعض الأسئلة الخاصة بي.

قال القاضي بيروود: بالتأكيد يا سيد جيرو، إن كنت ترغب بذلك.

حرف جيرو كرسية قليلاً نحو الطاولة وقال: هل كنت على علاقة طيبة بوالدك يا سيد رينو؟

أجاب الولد بعنجهية: طبعاً كنت على علاقة طيبة معه.

- أتؤكد ذلك حازماً؟

ربما كدتُ أقتله في تلك اللحظة... هيا، استند من هذا التصريح!

ثم عاد ليستند إلى ظهر كرسيه محمراً الوجه متحدياً.

ابتسم جيرو، ثم حرك كرسيه قليلاً إلى الخلف وقال: هذا كل ما لدي. لا شك أن ترغب في استئناف استجوابك يا سيد هوتيه.

قال السيد هوتيه: آه، نعم... بالضبط. وماذا كان موضوع مشاجرتكما؟

- هذا ما أمتنع عن ذكره.

اعتدل السيد هوتيه في كرسيه وقال بغضب: سيد رينو، ليس من المسموح أن تستهين بالقانون! ماذا كان موضوع المشاجرة؟

بقي الشاب رينو ساكناً، ووجهه الصياني نكد متحهم. ولكن صوتاً آخر تكلم، صوت هيركيول بوارو الهادئ الواثق: أنا أخبرك إن أحببت يا سيدي.

- هل تعرف؟

- أعرف بالتأكيد. لقد كان موضوع المشاجرة هو الآنسة مارتا دوبريه.

التفت رينو بشدة وقد صعق، وتقدم القاضي بحسمه إلى الأمام وقال: هل الأمر كذلك أيها السيد؟

أوما جاك رينو برأسه واعترف قائلاً: نعم. إنني أحب الآنسة دوبريه، وأتمنى الزواج منها. وعندما أخبرت والدي بالأمر اشتعل

غضباً على الفور. ومن الطبيعي أنني لم أتحمّل سماع الإهانة للفتاة التي أحبها، ولذلك فقدت أنا أيضاً أعصابي.

نظر السيد هوتيه إلى السيدة رينو وقال: أكنت تعرفين بأمر هذا... تعلق يا سيدتي؟

أجابت ببساطة: كنت أحشاه.

صاح الصبي: أمي، أنت أيضاً! إن طيبة مارتا لا تقل عن جمالها. ماذا لديك ضدها؟

- ليس عندي شيء ضد الآنسة دوبريه بأي شكل. ولكنني أفضل أن تنزوج امرأة إنكليزية، فإن لم يكن من الفرنسية بدّ فلا ينبغي أن تكون فتاة لها أم ذات سوابق مريبة!

تبدت في صوتها بوضوح ضعفتها على المرأة، وكان بوسعي أن أفهم تماماً بأنها تلقت صفة مريبة إذ أظهر ابنها الوحيد دلائل على حبه لابنة غريمته.

مضت السيدة رينو مخاطبة القاضي: ربما كان عليّ أن أخبر زوجي بالموضوع، ولكنني كنتُ أمل أن يكون الأمر مجرد غزل بين فتى وفتاة سرعان ما ينتهي إذا لم يأسه له أحد. إنني اليوم الآن نفسي على صمتي، ولكن زوجي - كما قلت لكم - كان يبدو شديد القلق متبرماً ومختلفاً عما عهدته بحيث حرصتُ تماماً على عدم إزعاجه بهم جديد.

أوما السيد هوتيه وقال: عندما أخبرت والدك بتواياك تحاه

- لقد بدا مصعوقاً تماماً. ثم أمرني بكل حزم أن أقتلع من رأسي أية فكرة من هذا القبيل؛ لأنه لن يوافق على زواج كهذا. انزعجتُ وسألته ما الذي يملكه ضد الآنسة دوبريه. ولم يستطع أن يعطيني جواباً مقنعاً على ذلك، ولكنه تكلم بمفردات مسيئة عن اللغز الذي يحيط بحياة الأم وابنتها. أحبته بأنني سأ تزوج مارتا وليس سوابقها، ولكنه أسكنني بصراخه ورفضه تام لمناقشة المسألة بأي شكل، قائلاً إن عليّ أن أتترك الأمر كله. وقد جعلني هذا الظلم والتعسف أفقد صوابي... خاصة وأنه هو شخصياً بدا دائماً وكأنه يذل كل ما في وسعه ليعني بالفتاة وأمه، وكان يقترح دوماً دعوتها إلى البيت. فقدت صوابي وتشاجرنا بكل عنف، وقد ذكرني أبي بأنني معتمد كلياً عليه، ولا شك أن تلك العبارة حول فعلي ما أشاء بعد موته كانت جواباً على ذلك...

قاطعه يوارو بسؤال سريع: كنت تعرف إذن وصية والدك؟

أجاب الفتى: كنت أعرف أنه ترك نصف ثروته لي، والنصف الآخر في صندوق الائتمان لوالدتي بؤول إليّ بعد وفاتها.

قال القاضي: أكمل قصتك.

- بعد ذلك أخذ كلُّ منا يصبح بالآخر بغضب جنوني، حتى أدركتُ فجأة أنني أكاد أفوت قطاري إلى باريس. واضطرتُّ للركض إلى المحطة، وأنا ما أزال في حالة غضب شديد. ولكن ما أن أصبحتُ بعيداً حتى هدأت. كتبتُ إلى مارتا وأخبرتها بما حدث، وقد هدأني جوابها أكثر فأكثر؛ فقد أشارت إلى أن كل ما علينا أن

نفعله هو أن نبقي صامدين، وأن المعارضة لا بد أن تستسلم لإرادتنا في النهاية. وأن حيناً لبعضنا لا بد أن يُمتحن ويصمد، وعندما يفهم والداي بأن الأمر ليس مجرد وليء خفيف من طرفي فلا بد أنهما سيرقان لنا. لم أكتب لها طبعاً عن الاعتراض الشديد لوالدي عليها، وسرعان ما أدركتُ أنني لن أفيد قضيتي بشيء عن طريق العنف.

- حسناً، لننتقل إلى موضوع آخر. هل تعرف اسم دوفين يا سيد رينو؟

- دوفين؟ دوفين؟

انحنى والتقط ببطء سكين فتح الرسائل الذي رماه إلى الأرض. وعندما رفع رأسه التفت عيناه بعيني جيرو اللتين تراقبانه، وقال: دوفين؟ لا، لا يمكنني القول إنني أعرفه.

- هل لك أن تقرأ هذه الرسالة يا سيد جيرو؟ قل هل لديك أية فكرة عن الشخص الذي أرسلها لوالدك؟

أخذ جاك رينو الرسالة وقرأها بإمعان ووجهه يحمرُّ وهو يقرأ. قال بانفعال وسخط ظاهر: أهى موجهة لوالدي؟

- نعم. وجدناها في جيب رداه.

- هل...

ثم تردد وغمز بطرف عينه باتجاه أمه، ففهم القاضي قصده وقال: حتى الآن... لا. هل تستطيع أن تعطينا أية إشارة للكاتب؟

- ليست لدي أية فكرة أبداً.

تهند القاضي وقال: قضية شديدة الغموض. حسناً، أفلتنا
نستطيع الآن استبعاد الرسالة كلياً. أين وصلنا؟ أه، سلاح الجريمة.
أعشى أن يؤلمك هذا الموضوع يا سيد رينو. فقد فهمتُ أنه كان
هدية منك لوالدتك. أمر محزون جداً... مؤلم جداً...

مال جاك رينو بحسمه إلى الأمام، وكان وجهه الذي احمرَّ
أثناء قراءة الرسالة قد أصبح شاحباً جداً الآن، وقال: هل تعني أن
سكين فتح الرسائل المصنوعة من أسلاك الطائرات كانت هي
السلاح الذي... الذي قُتل به والدي؟ ولكن ذلك مستحيل! أداة
صغيرة كذلك!

- مع الأسف يا سيد رينو، ولكن ذلك صحيح تماماً! كانت
أداة صغيرة مثالية لهذا الغرض؛ فهي حادة وسهلة التناول.

- أين هي؟ هل أستطيع رؤيتها؟ أما نزال في ذلك... في الحثّة؟

- أوه كلا، لقد انتزعت. هل تود رؤيتها؟ للتأكد؟ ربما كان
ذلك أفضل، رغم أن السيدة رينو قد تعرفت إليها. ومع ذلك لا
بأس... سيد بيكس، هل تسمح بأن نتعبك بإحضارها؟

- بالتأكيد. سأحضرها فوراً.

قال جيرو يهدوء: ألن يكون من الأفضل أن تأخذ السيد رينو
إلى السقيفة؟ لا شك أنه يرغب برؤية جثة أبيه.

قام الفتى برعدة نفسي، وقال القاضي الذي يروق له دوماً
معارضة جيرو: كلا... ليس الآن. سيتلطف السيد بيكس بإحضارها
إلى هنا.

غادر المفوض الغرفة، وعبر ستونور إلى جاك وضغط على يده
تشجيعاً. كان بوارو قد نهض وأخذ يُعدّل شمعدانين لاحظتُ عينه
المدبرة أنهما كانا مائلين قليلاً. وكان القاضي يقرأ الرسالة الغامضة
بإمعان للمرة الأخيرة متمسكاً بيأس بنظريته الأولى عن الغيرة والظعن
في الظهور. وفجأة فتح الباب بقوة ودخل المفوض مسرعاً.

- سيدي القاضي، سيدي القاضي!

- نعم، ما الأمر؟

- الخنجر! لقد اختفى!

- ماذا... اختفى؟

- تبخر تماماً... لا أثر له. وإناء الزجاج الذي كان فيه فارغ!

صحتُ أنا: ماذا؟ مستحيل! لقد رأيته هذا الصباح...

ثم ماتت الكلمات على شفطي. ولكن أنظار الغرفة كلها كانت
قد تحولت إليّ. صاح المفوض: ما الذي تقوله؟ هذا الصباح؟

قلتُ ببطء: لقد رأيته هناك هذا الصباح... قبل حوالي ساعة
وتصف بالتحديق.

- أذهبت إلى السقيفة إذن؟ كيف حصلت على المفتاح؟

- طلبته من شرطي البلدة.

- وذهبت إلى هناك؟ لماذا؟

ترددت، ولكنني قررتُ في النهاية أن أفضل إجراء هو أن أحكي

ما يتلحج في صدري. قلت: سيد هوثيه، لقد ارتكبتُ غلطة كبرى يحب علي أن أطلب منك غفرانها.

- أكمل أيها السيد.

قلتُ (متنبياً لو كنت في أي مكان غير هذا المكان): حقيقة الأمر هي أنني التقيتُ شابة أعرفها، وقد أظهرتُ رغبة شديدة برؤية كل ما يمكن رؤيته، وقد... وقد... وباختصار فقد أخذتُ المفتاح وأريتُها الحثة.

صاح القاضي ساخطاً: آه! لقد ارتكبتُ خطأ جسيماً بذلك يا كاهن هيستغز. هذا كله شاذ تماماً... ما كان لك أن تسمح لنفسك بارتكاب هذه الحماقة.

قلتُ بخنوع: أعرف. لا يمكن لأي شيء تقوله مهما قسا أن يوازي غلطتي.

- هل أنت الذي دعوت السيدة للقدوم إلى هنا؟

- كلا بالتأكيد. لقد التقيتها بمحض الصدفة... إنها فتاة إنكليزية صدف وجودها في ميرلينفيل، رغم أنني لم أعرف بذلك حتى لقائي غير المتوقع بها.

قال القاضي وقد هدأ قليلاً: حسناً، حسناً. لقد كان هذا تصرفاً شاذاً تماماً، ولكن لا شك أن هذه السيدة شابة جميلة. يا لطيش الشباب!

ثم تنهد عجباً. ولكن المفوض الأقل رومانسية والأكثر عملية

تابع الموضوع: ولكن ألم تقفلاً الباب ثانية بعد خروجكما؟

قلتُ بتهمل: هنا ممكن الخطأ، وهذا ما ألوم نفسي عليه بشدة. فقد خافت صديقتي من المنظر، بل كاد يغمى عليها، فأحضرت لها بعض الماء، وألححتُ عليها بعد ذلك أن أرافقها إلى البلدة. وفي غمرة انفعالي نسيت إعادة قفل الباب، ولم أقفله إلا بعد أن عدتُ إلى الفيلا.

قال المفوض ببطء: إذن فقد بقي الباب مفتوحاً لمدة عشرين دقيقة على الأقل...

ثم سكت، فقلتُ له: بالضبط.

قال متأملاً: عشرون دقيقة.

قال القاضي وقد عادت إليه شدته: أمر مُنكر تماماً، لا سابقة له! فحاجة تكلم صوت آخر، فقد سأل جيرو: أترأه منكراً يا سيادة القاضي؟

- طبعاً، بالتأكيد.

قال الآخر بهدوء: إنني أراه رائعاً!

صعقتني تماماً هذا الحليف المفاجئ. سأله القاضي وهو يتفحصه بإمعان من زاوية عينه: تحبده رائعاً يا سيد جيرو؟

- بالضبط.

- ولماذا؟

- لأننا نعرف الآن أن القاتل أو أحد شركائه قد كان قرب الفيلا منذ نصف ساعة فقط، وبهذه المعلومة سيكون من الغريب ألا نضع أيدينا عليه بسرعة.

كان في صوته نبرة تهديد. أضاف قائلاً: لقد جازف كثيراً للحصول على ذلك الخنجر. ربما يخاف أن تُكتشف عليه بصمات أصابع.

التفت بوارو إلى يكس وقال: ألم تقولوا إنه لا وجود لبصمات عليه؟

رفع جيرو كفيه بلامبالاة وقال: ربما لم يكن القاتل والتقا من ذلك.

نظر بوارو إليه وقال: أنت مخطئ يا سيد جيرو. لقد لبس القاتل قفازات، ولذلك لا يد أنه واثق من الأمر.

- أنا لا أقول إنه القاتل. ربما كان شريكاً له لا يعرف تلك الحقيقة.

كان الكاتب الذي يعمل تحت إمرة القاضي يللم أوراقه عن الطاولة فيما خاطبنا القاضي قائلاً: لقد انتهى عملنا هنا. هل لك يا سيد ريتو أن تصغي إلى إفادتك وهي تتلى عليك. لقد حاولتُ عاماً أن أبقى الإحراعات غير رسمية قدر الإمكان. القضية الآن بين اليدين الماهرتين للسيد جيرو الشهير، ولا شك أنه سيحقق من النتائج ما يبرر شهرته. والحقيقة أنني أعجب كيف لم يستطع حتى الآن إلقاء القبض على القتلة! دعيني يا سيدتي أعبر مرة أخرى عن عميق

تعاطفي. أتمنى لكم يوماً طيباً أيها السادة.

ثم غادر يرافقه كاتبه والمفوض.

أخرج بوارو ساعته الضخمة من جيبه ونظر إليها، ثم قال: دعنا نعد إلى الفندق لتناول الغداء يا صديقي، وسوف تروي لي بالتفصيل فضائلك التي ارتكبتها صباح اليوم. لا أحد يلاحظنا... لا حاجة لتوديع أحد.

خرجنا من الغرفة بهدوء. كان قاضي التحقيق قد انطلق لتوهِ سيارته، وكنت أنزل الدرج عندما أوقفت صوت بوارو: دقيقة يا صديقي.

ثم أخرج ببراعة متر القياس الذي يحتفظ به وتقدم بكل حذية ليقبس معطفاً معلقاً في الصالة. لم أكن قد رأيت المعطف هناك من قبل، وحمُتُ أنه إما معطف السيد ستونور أو معطف جاك ريتو. بعد ذلك أعاد بوارو متر القياس إلى جيبه بابتسامة افتناع صغيرة ولحق بي إلى الهواء الطلق.

• • •

معرفة بالمهمة الغامضة التي أوكلها زوجها إلى ابنه. ولكن هل كانت حقاً أقل جهلاً مما زعمت؟ أكان بوسعها أن تنير لنا الطريق لو أرادت، وهل كان صمتها جزءاً من خطة مسبقة وضعت بكل عناية؟

كلما أمنت في ذلك تفكيراً اقتنعت أكثر بأنني على صواب. لقد كانت السيدة ريتو تعرف أكثر مما اختارت قوله، وبسبب دهشتها لرؤية ابنها فضحت نفسها - بشكل عابر - بزلة لسان. شعرت أنني مقتنع بأنها إن لم تكن تعرف القتلة، فهي تعرف - على الأقل - الدافع خلف الجريمة. ولكن لا بد أن اعتبارات قوية جداً تجعلها تبقى صامتة.

قطع بوارو أفكاره قائلاً: إنك تفكر بعق يا صديقي. ما الذي بأسر اهتمامك إلى هذا الحد؟

أخبرته وأنا واثق من أسياي، رغم توقعي أن يقوم بازدراء شكوكي. ولكنه - لدهشتي - أوما برأسه متأملاً وقال: أنت مُحقّ تماماً يا هيستغر. كنتُ واثقاً من البداية أنها تخفي شيئاً، وقد ارتيتُ إما بأن تكون هي من حثت على الجريمة ودفع إليها أو أن تكون قد رضيت بها وسكت عنها.

صحتُ قائلاً: أوقد شككتُ بها؟

- بالتأكيد؛ فهي تستفيد استفادة هائلة... والحقيقة أنها المستفيدة الوحيدة وفقاً لهذه الوصية الجديدة. ولذلك فقد برزت منذ البداية كمحلٍ للشبهات. ولعلك لاحظت أنني اغتنمتُ فرصة مكررة لأتفحص رسيغها؛ فقد رغبتُ أن أتوثق من أية إمكانيات في أن

الفصل الثاني عشر

بوارو يوضح بعض النقاط

سألت بوارو بفضول ونحن نمشي في الشارع الحار يعطى متمهلة: لماذا قستَ ذلك المعطف؟

أجاب صديقي بهدوء: لكي أرى طوله بالطبع!

أغاضبني جوابه. إن عادة بوارو (التي لا يُرجح شفاؤها) في تحويل كل أمر مهما صغر إلى لغز لم تكن تفشل أبداً في إزعاجي. عدتُ إلى الصمت، ورحتُ أتابع سلسلة أفكار خاصة بي. عادت إلى ذاكرتي الآن كلمات معينة لم أدقق فيها كثيراً عندما قبلت، وهي كلمات السيدة ريتو لابنها، عادت محملة بمغزى جديد. كانت قد قالت: "إذن فأنت لم تبهر؟". ثم أضافت: "على كل، لم يعد الأمر يهم... الآن".

ما الذي عنته بذلك؟ كانت تلك الكلمات هامة... أسرة يغموضها. أيمكن أن تكون عارفة بأكثر مما فلنا؟ لقد أنكرت كل

تكون قد كتمت وربطت نفسها. ولكنني رأيت على الفور عدم وجود أي تلاعب في الأمر، فقد شذت الحبال عملياً إلى حد جعلها تنغرس في لحم يديها. وقد أدى ذلك إلى استبعاد إمكانية إقدامها على ارتكاب الجريمة بمفردها. ولكن بقيت -مع ذلك- إمكانية أن تكون ساكنة راضية عن الجريمة، أو أن تكون هي المحرصة عليها مع شريك لها. وفوق ذلك فإن القصة التي روتها كانت مألوفة تماماً بالنسبة لي... الرجلان المقتعان اللذان لم تستطع تمييزهما، وذكر "السر"... لقد سمعتُ (أو قرأتُ) كل هذه الأمور من قبل. وقد أكدت لي معلومة صغيرة أخرى أنها لم تكن تقول الحقيقة... ساعة اليد يا هيسترفز، ساعة اليد!

ها قد عدنا لتلك الساعة من جديد! كان بوارو ينظر إليّ بشكل غريب، ثم قال: رأيت يا صديقي؟ هل فهمت؟

أجبت بمزاج متعكر: لا، لا أنا رأيت ولا فهمت. إنك تدبر كل هذه الألفاظ التعيسة، ولا فائدة من استيضاحك عن معناها. أنت تحب دائماً ترك إخفاء بعض الأمور حتى اللحظة الأخيرة.

قال بوارو مبتسماً: لا تغضب يا صديقي، سأشرح لك إن رغبت. ولكن لا تقل كلمة واحدة لجيرو، هل فهمت؟ إنه يعاملني كعجوز لا أهمية له... وسوف نرى! لقد قمتُ بإعطائه إشارة للأمر من باب الإنصاف، فإن هو اختار ألا يعمل وفقها فهذه غلطته هو.

أكدت لبوارو أن بوسعه الاعتماد على تكلمي، فقال: حسناً! دعنا إذن نستعمل خلايا دماغنا الرمادية. قل لي يا صديقي، في أي وقت وقعت المأساة برأيك؟

قلتُ مندعشاً: في حوالي الثانية ليلاً بالطبع. لعلك تذكر أن السيدة رينو أخبرتنا أنها سمعت دقات الساعة بينما كان الرجلان في الغرفة.

- بالضبط، وبناء على قوة هذه الشهادة فقد قبلت أنت وقاضي التحقيق والسيد بيكس وكل الآخرين بهذا الموعد دون نقاش. أما أنا -هيركيول بوارو- فأقول إن السيدة رينو كذبت. لقد حدثت الجريمة قبل ذلك بساعتين على الأقل.

- ولكن الأطباء...

- لقد قال الأطباء بعد فحص الجثة إن الوفاة قد وقعت قبل فترة تتراوح بين عشر ساعات وسبع ساعات من فحصهم لها. يا صديقي، لقد كان من الضروري جداً -لسبب ما- أن تبدو الجريمة وكأنها حدثت في وقت لاحق عن الوقت الذي ارتكبت فيه فعلاً. ألم تسمع بالساعات والمنبهات التي تحطم بحيث تُعطي الوقت الدقيق لارتكاب الجرائم؟ فحتى لا تبقى مسألة الوقت متعلقة بشهادة السيدة رينو وحدها، قام أحدهم بتقديم الساعة بقدر ساعتين ثم ضربها بشدة بالأرض. ولكن السحر انقلب على السحر كما يحدث غالباً! فقد تحطم زجاج الساعة، ولكن محركها بقي يعمل. لقد كانت متاورة خطيرة جداً من طرفهم، ذلك أنها استرعت انتباهي فوراً لنقطة: الأولى هي أن السيدة رينو كانت تكذب، والثانية هي أنه كان يوجد -دون ريب- سبب حيوي لتأخير موعد الجريمة.

- ولكن أي سبب هذا؟

- آه، هذا هو السؤال! إن اللغز كله يكمن في ذلك، وأنا لا

أستطيع بعد أن أفسر السبب. توجد فكرة واحدة فقط تطرح نفسها عليّ باعتبارها ذات صلة ممكنة بذلك.

- ألا وهي؟

- لقد غادر آخر القطارات بلدة ميرلينفيل في الساعة الثانية عشرة وسبع عشرة دقيقة.

أكملتُ أنا فكرته قائلاً بسيطاً: فإذا ما استقر الرأي على أن الجريمة قد حصلت في الثانية ليلاً فإن كل من يغادر في ذلك القطار يكون قد أمّن لنفسه علناً لا يمكن دحضه بالغياب عن مسرح الجريمة وقت وقوعها!

- بالضبط يا هيستغز! لقد فهمتها!

قفزت وقلت: ولكن يجب أن نسال في المحطة! من المؤكد أن ملاحظة رجلين أجنبيين غادرا في ذلك القطار ما كانت لتفوت العاملين في المحطة! يجب أن نذهب إلى هناك فوراً!

- أنظرن ذلك يا هيستغز؟

- بالطبع... دعنا نذهب الآن.

هذاً بوارو حماسي بللمسة منه للراعي وقال: اذهب إذا كنت تريد ذلك يا صديقي... ولكن إذا ذهبت فلا تسأل عن صفات شخصين أجنبيين.

حدثتُ به فقال بشيء من تفاد الصبر: أتصدق كل ذلك الهراء يا صديقي؟ الرجلان المقنعان وبقية المسرحية!

أدهشتني كلماته إلى الحد الذي لم أعرف معه كيف أحياه. ولكنه مضى يقول بهدوء: ألم تسمعي أقول لجيرو إن كل تفاصيل هذه الجريمة مألوفة لدي؟ إن هذا يفترض أحد أمرين، إما أن يكون العقل الذي خطط للجريمة الأولى قد خطط لهذه أيضاً، أو أن تقريراً صحفياً عن جريمة شهيرة قد بقي حياً - لاشعورياً - في ذهن قاتلنا بحيث أملى عليه تفاصيل الجريمة. وسوف أكون قادراً على الحزم بشأن ذلك بعد...

ثم توقف. كنتُ أستعيد العديد من القضايا في ذهني، ثم قلت له: ولكن ماذا عن رسالة ريتو؟ لقد أشارت بوضوح إلى سر، وإلى سانتياغو!

- لا ريب أنه كان في حياة السيد ريتو سر... هذا ما لا يمكن الشك فيه، ولكن كلمة سانتياغو برأيي هي طعم مُضلل، يتم رميها في طريقنا دوماً لنبعد عن الهدف الحقيقي. ومن الممكن أن تكون قد استخدمت بنفس الطريقة مع السيد ريتو لثمنه من تركيز شكوكه على مكان أقرب إليه تماماً. أوه، تأكد يا هيستغز أن الخطر الذي كان يهدده لم يكن في سانتياغو، بل كان أقرب بكثير من ذلك، هنا في فرنسا.

كان يتكلم بكل جدية، وبقدر من التأكيد لم أستطع معه إلا الاقتناع. ولكنني طرحتُ اعتراضاً واحداً وأخيراً: وماذا عن عود الثقب وعقب اللقافة قرب الحثة؟

أضاء وجه بوارو شيء من المتعة وقال: لقد ألقيا هناك! ألقيا عمداً بحيث يحدهما جيرو أو واحد من أشباهه! آه، إن جيرو يتقن

عمله كما يصنع كلب صيد ماهر. لقد دخل مسروراً جداً بنفسه، وقد زحف على بطنه ساعات ليأتي قائلاً: "انظروا ماذا وجدت". ثم قال لي: "ماذا ترى هنا؟". أما أنا فقد أجبته بكل صدق عميق: "لا شيء". فضحك جيرو، جيرو العظيم، وفكر في نفسه قائلاً: "إنه مغفل هذا العجوز!". ولكننا سنرى...

إلا أن عقلي عاد إلى الحقائق الرئيسة وقلت: إذن فإن كل تلك القصة عن رجلين مُقنعين...

- زائفة.

- ما الذي حدث حقاً؟

رفع بوارو كتفيه حيرة وقال: بإمكان شخص واحد أن يخبرنا بذلك... السيدة رينو! ولكنها لن تتكلم، ولن تحركها التهديدات والتوسلات. تلك امرأة ذات شخصية بارزة يا هيستغز. لقد أدركت منذ أن رأيتها أنني سأضطر للتعامل مع امرأة غير عادية. وكما أخبرتك، فإني ملت في البداية للشك في أنها معنية بالحرمة، وبعد ذلك غيرت رأيي.

- ما الذي جعلك تغير رأيك؟

- حزنها التلقائي الحقيقي لدى رؤيتها لحنة زوجها. بوسعي أن أقسم بأن الألم في تلك الصرخة التي أطلقته كان حقيقياً.

قلت متأملاً: نعم. لا يخطئ المرء في إدراك هذه الأمور.

- اعذرني يا صديقي... ولكن يمكن للمرء أن يخطئ دائماً.

انظر إلى ممثلة عظيمة، ألا تتأثر وتحزن عندما تراها تمثل دور الحزن والألم؟ نعم، مهما كان انطباعي وشعوري قوياً، فإني أحسّج إلى دليل إضافي قبل أن أسمح لنفسي بأن أفنتع بشيء أراه. بوسع محرم عظيم أن يكون ممثلاً عظيماً. وفي هذه الحالة لا أبني قناعتي على انطباعي الخاص، بل على الحقيقة التي لا يمكن إنكارها، وهي أن السيدة رينو قد أغمر عليها فعلاً. لقد رفعت جفنها وجسدت نيتها.

لم يكن في ذلك عدا... كانت إغماءتها حقيقية، ولذلك فقد اقتنعت بأن ألمها كان حقيقياً وليس مُتصنعاً. وفوق ذلك كانت أماناً نقطة إضافية صغيرة لا أهمية لها، وهي أنه لم يكن من الضروري بالنسبة للسيدة رينو أن تظهر كل هذا الحزن الكبير؛ إذ كانت قد تعرضت أصلاً لنوبة الحزن المفاجئ عند تلقيها لنبأ وفاة زوجها، وما كانت بها حاجة لإظهار نوبة حزن عنيفة أخرى لرؤية حته. كلا، لم تكن السيدة رينو قاتلة زوجها. ولكن لماذا كذبت؟ لقد كذبت بشأن الساعة، وكذبت بشأن الرجلين المُقنعين... وكذبت بشأن أمر ثالث. قل لي يا هيستغز، ما هو تفسيرك للباب المفتوح؟

قلت بشيء من الحرج: أحسب أن ذلك كان هفوة؛ فقد نسوا أن يقفلوه.

هز بوارو رأسه، ثم تنهد وقال: هذا تفسير جيرو، ولكنه لا يقنعني. إن خلف ذلك الباب المفتوح معنى لا أستطيع سبر غوره في الوقت الراهن. شيء واحد أنا متأكد منه إلى حد بعيد... إنهم لم يغادروا المنزل من خلال الباب، بل من النافذة.

- ماذا؟

- بالتأكيد.

- ولكن لم تكن في المسكبة تحت النافذة آثار أقدام.

- نعم... وكان ينبغي أن تكون فيها آثار! اسمع يا هيتينغز، لقد قام البستاني أوغست - كما سمعته يقول - بزرع الورود في كلا المسكبتين مساء ذلك اليوم. وفي إحدى المسكبتين توجد آثار لحذائه الضخم... أما في الأخرى فلا يوجد شيء! هل ذهبتني؟ لقد مرَّ البعض من هناك، وقد أرادوا أن يموهوا على آثارهم، فقاموا بتسوية سطح التربة باستخدام شُعب مما يستخدمه البستانيون.

- ومن أين حصلوا على الشُعب؟

قال بوارو بنفاد صبر: ومن أين حصلوا على الرفش وعلى قفازات البستاني؟ ليس في ذلك صعوبة.

- ومع ذلك، ما الذي يجعلك تظن أنهم غادروا من ذلك الطريق؟ الأرجح أن يكونوا قد دخلوا من النافذة وغادروا من الباب؟ - هذا ممكن بالطبع. ومع ذلك فلدي فكرة قوية بأنهم غادروا من النافذة.

- أحسب أنك مخطئ.

- ربما يا صديقي.

أخذتُ أفكر، مستعرضاً مبادئ النخمين الجديدة التي فتحتها أمامي استنتاجات بوارو. تذكرتُ عجبني من إشارات الغامضة إلى مسكبة الورود وساعة اليد. لقد بدأت ملاحظاته وقتها غير ذات معنى، وها أنا الآن أدرك لأول مرة كيف استطاع -من خلال

مجموعة أحداث بسيطة- أن يكشف ببراعة كثيراً من الغموض الذي يلف القضية. عبثتُ عن إعجابي المتأخر بقدرات صديقي، ثم قلتُ وأنا أفكر: ولكن رغم معرفتنا بالكثير مما لم نكن نعرفه، إلا أننا لم نقرب من حل لغز قاتل السيد رينو.

قال بوارو بمرح: بل نحن في الحقيقة بعيدون كثيراً عن ذلك. بدا أن هذه الحقيقة تمنحه رضى غريباً إلى الحد الذي جعلني أحقق به عجباً، أما هو فنظر إليّ وابتسم.

فجأة أنارت عقلي فكرة فقلت: بوارو.. السيدة رينو! إنني أفهم الأمر الآن. لا بد أنها تستر على أحد.

ومن الهدوء الذي استقبل به بوارو ملاحظتي عرفتُ أن الفكرة قد خطرت له من قبل. قال متأملاً: نعم. تستر على أحد... أو تحمي أحداً، أحد هذين الأمرين.

ثم أوما لي طالباً مني الصمت ونحن ندخل الفندق.

• • •

من ستكون غداً يا ترى؟

- أنت تقول كل ذلك لإغافلتني. الأنسة دوبريه فتاة رائعة الحمال، وأنا معجب بها كثيراً... لا يهمني أن أعترف بذلك. أما الأخرى فلا شأن لها... ولا أحسبني سأراها ثانية أبداً.

- ألا تحفظ لرؤية الفتاة ثانية؟

كانت كلماته الأخيرة أقرب إلى السؤال، وقد أدركتُ تلك الحيلة التي نظر بها إليّ. وانتصب أمام عيني اسم "فندق دو فار" وكأنه كُتب بأحرف كبيرة من نار، وسمعتُ ثانية صوتها وهي تقول: "تعال لزيارتي" وإجابتي لها بحرج قائلاً إنني سآتي. ولكنني أحيثُ بوارو بكثير من عدم الاهتمام: لقد دعيتُ لزيارتها، غير أنني لن أزورها بالطبع.

- ولماذا "بالطبع"؟

- لأنني لا أريد ذلك.

- لقد قلتُ لي إن الأنسة ساندريللا تقيم في فندق دانغليشير، أليس كذلك؟

- كلا، بل في فندق دو فار.

- صحيح، لقد نسيت.

عبرتُ لحظة من الشك ذهني، فمن المؤكد أنني لم أذكر لبوارو أي فندق. نظرتُ إليه عبر الطاولة فشعرت بالاطمئنان؛ فقد

الفصل الثالث عشر

الفتاة ذات العينين المتلهفتين

تناولنا الغداء بشهية رائعة. أكلنا بصمت لفترة، ثم قال بوارو بلوم: حسناً، وماذا عن فضائلك! ألن ترويه لي؟

شعرت بوجهي يحمرّ، وقلت: أوه، أتعني صباح اليوم؟

سعيتُ لتبني نبرة غير مهتمة على الإطلاق، ولكنني لم أكن ندياً لبوارو. فخلال دقائق معدودة استطاع معرفة القصة كلها مني، وكانت عيناها تومضان أثناء ذلك، ثم ما لبث أن قال: حسناً، قصة رومانسية جداً، وما هو اسم تلك الفتاة الغائبة؟

اضطرتُّ للاعتراف بأنني لا أعرف، فقال: وهذا يزيد الأمر رومانسية! أول لقاء في القطار القادم من باريس، والثاني هنا. ألا يقول المثل إن الرحلات تنتهي بتلاقي العشاق؟

- لا تكن لئيماً يا بوارو.

- بالأمس كانت الأنسة دوبريه، واليوم الأنسة... ساندريللا!

كان يقطع عيذه إلى مربعات صغيرة مرتبة وهو مستغرق جداً بذلك.
لا بد أنه تخيل أنني ذكرت له مكان إقامة الفتاة.

شربنا القهوة في الخارج ونحن نواجه البحر. ودخن بوارو
واحدة من لفافاته الصغيرة تلك، ثم سحب ساعته من جيبه وقال: إن
القطار المغادر إلى باريس ينطلق في الساعة الثانية وخمسين وعشرين
دقيقة. يجب أن أذهب.

صحتُ قائلاً: إلى باريس؟

- نعم، هذا ما قلته يا صديقي.

- أنتذهب إلى باريس؟ لماذا؟

أجاب بكل جدية: لأبحث عن قاتل السيد رينو.

- أو تفلته في باريس؟

- بل أنا متأكد أنه ليس هناك، ومع ذلك فهناك ينبغي أن
أبحث عنه. إنك لا تفهمني، ولكنني سأشرح الأمر كله لك في
الوقت المناسب. صديقي، إن هذه الرحلة لباريس ضرورية. لن
أغيب طويلاً. سأعود غداً في أغلب الاحتمالات، ولا أرى ضرورة
لقدموك معي. ابق هنا وراقب لي جيرو، وعزز أيضاً صداقتك مع
السيد رينو الابن.

- لقد ذكرتني. كنت أريد سؤالك كيف عرفت بأمره وأمر
الآنسة دوريه؟

- يا صديقي... إنني أعرف الطبيعة البشرية. ما لك إلا أن

تجمع فتى مثل الشاب رينو مع فتاة جميلة كالآنسة دوريه حتى
تكون النتيجة حتمية تقريباً. ثم لدينا موضوع المشاجرة، وهي إما أن
تكون بسبب المال أو بسبب المرأة، وعندما تذكرت وصف ليونسي
لغضب الفتى قررت أنها المرأة وليس المال. وهكذا رميت تحميني،
وكنت مصيباً.

- أكنت تشك أساماً في أنها تحب الشاب رينو؟

انقسم بوارو وقال: على أية حال فقد رأيت أن لها عيين
قلقتين. هكذا أرى الآنسة دوريه دوماً، باعتبارها الفتاة ذات
العينين القلقتين.

كان صوته حاداً جهماً إلى الحد الذي أثار في شيئاً من عدم
الارتياح، فقلت له: ماذا تعني بذلك يا بوارو؟

- يخيل لي يا صديقي أننا مستعرف ذلك قبل أن يمر وقت
طويل، ولكن يجب أن أنطلق.

قلتُ وقد نهضت: سأتي لتوديعك.

- كلا، لن تفعل شيئاً كهذا، إنني أمنعك.

كان حاسماً إلى حد جعلني أحرق به مندهشاً. ولكنه أضاف
بتأكيد: إنني أعني ما أقول يا صديقي، وداعاً.

شعرت بشيء من الفراغ بعد أن تركني بوارو. تمشيت حتى
شاطئ البحر وراقبت الناس يسبحون دون أن أشعر بحماسة للانضمام
إليهم. خيل إلي أن ساندريلا يمكن أن تكون بينهم ولكنني لم أجد

- كيف كان شكله؟

- كان سيداً ضئيل الجسم، حسن الثياب، شديد التأني، بالغ النظافة، وشاربه منتصب تماماً، وكان ذا رأس غريب الشكل وعينين نحسراوين.

بواروا لذلك إذن رفض أن يسمح لي بمرافقته إلى المحطة. يا لهذه الوقاحة! كان الأولى به ألا يتدخل في شؤوني. أحسب أنني بحاجة إلى من يرعاني؟

غادرتُ بعد أن شكرتُ الرجل وأنا في حيرة من أمري شديد الانزعاج من صديقي الفضولي. من الواضح أنها أعطت في ذكر اسم الفندق من باب الإهمال. ثم خطرت لي فكرة أخرى: أكان ذلك إهمالاً، أم أنها احتفظت عامدة باسمها وأعطتني عنواناً خاطئاً؟

ومع زيادة تفكيري بالأمر كان اقتناعي يزداد بصحة تخميني الأخير هذا. لم تكن الفتاة رغبة - لسبب أو لآخر - جعل تلك المعرفة تتطور إلى صداقة. ومع أن هذه الفكرة تحديداً كانت فكرتي التي قصدتها أنا قبل نصف ساعة فقط، إلا أن تغيير المواقع هذا لم يرق لي. كان الأمر كله غير مُرضٍ أبداً، فذهبتُ إلى فيلا جيتيفيف بعزاج نكد تماماً. لم أدخل البيت نفسه، بل مضيت في العمر إلى ذلك المقعد الخشبي قرب السقيفة وجلست هناك مُعكّر المزاج.

وقد شغلني عن أفكاري أصوات قرية مني. وخلال لحظات أدركت أن تلك الأصوات لم تكن من الحديقة التي أجلس فيها ولكن من الحديقة المجاورة لفيلا مارغريت، وأنها أصوات تقرب

أثراً لها. مشيت على غير هدى فوق الرمل باتجاه الطرف الآخر من البلدة. خطر لي أن من اللباقة أن أسأل عن الفتاة، وأن ذلك سيوفر عليّ المتاعب في نهاية الأمر، فإذا ما زرتها فسيتهي الأمر عند ذلك الحد، ولن تكون بي حاجة لإفلاق نفسي بشأنها من بعد، أما إن لم أذهب بتاتاً فمن الممكن أن تأتي هي وتسال عني في الفيلا.

وهكذا تركت الشاطئ ودخلتُ البلدة. وسرعان ما وجدت فندق دو فار، وكان ذا مبنى متواضع جداً. وقد كان عدم معرفتي لاسم الفتاة مسألة مزعجة جداً، وحفاظاً على كرامتي قررتُ دخول الفندق والبحث هناك، فربما وجدتُها في البهو. دخلتُ ولكنني لم أجد لها أثراً. انتظرتُ بعض الوقت حتى غلبنى نفاذ الصبر فأخذت مولف الاستقبال جانباً ودسستُ في يده خمسة فرنكات وقلت: أريد رؤية شابة تقيم هنا. فتاة إنكليزية صغيرة الجسم سمراء... لست متأكداً من اسمها.

هز الرجل رأسه بالنفي وهذا وكأنه يكتم ضحكة، ثم قال: لا تقيم هنا مثل هذه الفتاة التي تصفها.

- ولكنها قالت لي إنها تقيم هنا.

- لا بد أن سيدي قد أخطأ... أو أن الأرجح أن السيدة هي التي أخطأت، طالما أن سيداً آخر كان يسأل عنها.

صحتُ مندهشاً: ما هذا الذي تقول؟

- نعم يا سيدي. لقد سأل عنها سيد وأعطى نفس الأوصاف التي تقولها.

بسرعة. سمعت صوت فتاة تتحدث وميّزت فيه صوت الجميلة مارتا وهي تقول: يا عزيزي، أهذا صحيح حقاً؟ هل انتهت كل مشكلاتنا؟ أحابها جاك رينو: أنت تعرفين ذلك يا مارتا. لا يمكن لشيء أن يفرقنا الآن يا حبيبي. لقد زالت آخر العقبات أمام اقتراننا... لا يمكن لشيء أن يأخذك مني.

تمنعت الفتاة: ولا أي شيء؟ أوه يا جاك، جاك... أنا خائفة.

كنت قد تحركت بهدف المغادرة، مدركاً أنني كنت أسرق السمع دون قصد مني. وعندما وقفت على قدمي لمحتهما من خلال ثغرة في السياج. كانا يقفان معاً قبالي، وقد أمسك الشاب بيد الفتاة وعيناه مثبتتان في عينيها. وقد بدا الاثنان زوجاً رائعاً، الفتى الأسمر المقتول، والفتاة البيضاء الحسنة. بدا أنهما خلقا لبعضهما البعض وهما يقفان هناك سعيدين رغم المأساة الفظيعة التي خيمت على حياتهما.

ولكن وجه الفتاة كان قلقاً، وبدا أن جاك رينو قد ميّز ذلك وهو يمسك يدها فسالها: ولكن مم أنت خائفة يا حبيبي؟ وما الذي عساه يخيف... الآن؟

ثم رأيتُ في عينيها تلك النظرة التي تحدّث عنها بوارو، وهي تتمتع بصوت منخفض لم أكد أسمعه: إنني خائفة... عليك.

لم أسمع جواب الشاب رينو؛ إذ أن انتباهي قد انصرف إلى شكل غير طبيعي على بعد مسافة على السياج. بدا لي غصن بني اللون هناك، وهو أمر أقل ما يقال عنه أنه غريب في مثل هذا الوقت المبكر من الصيف. تحركت نحوه لأتبين أمره، ولكن الغصن تحرك

مع تقدمي وانسحب بسرعة، وما لبثت أن أدركت أنه جبرو يضع أصبعه على شفتيه طالباً مني الصمت. ثم تقدمني طالباً مني الحذر، واستدار حول السقيفة حتى أصبحنا بعيدين عن مسامع الشابين. سألته: ماذا كنت تفعل هناك؟

- كنتُ أفعل ما كنتُ أنت تفعله بالضبط... الإصغاء.

- ولكنني لم أكن هناك عن عمد!

- آه! أما أنا فكانت متعمداً.

وكعادتي أعجبت بالرجل وأنا أكرهه. نظر إليّ من رأسي حتى أحمص قدمي بشيء من النور المزدري وقال: لقد عقدت المسائل بتدخلك. ربما كان بالإمكان أن أسمع شيئاً مفيداً هناك. ماذا فعل صاحبك المستحاة العجوز؟

أحبته برود: لقد ذهب السيد بوارو إلى باريس.

لنقطع جبرو بأصابعه ازدراء وقال: لقد ذهب إلى باريس إذن، أليس كذلك؟ حسناً، هذا أمر جيد. كلما أطلت المكوث هناك كان ذلك أفضل. ولكن ماذا يقطن أنه مبيحد هناك؟

حسبتُ أنني ميّزت في نبرته أثراً ضئيلاً من عدم الارتياح. شددت جسدي وقلت له بهدوء: هذا ما لا يُسمع لي قوله.

حلق جبرو بي بحدة وقال بوقاحة: ربما كان له من العقل ما يمنعه من إخبارك أنت بذلك. طاب مساؤك، إنني مشغول. ثم استدار وغادر دون حقاوة.

بدأت الأمور ساكنة ثابتة في فيلا جينيفيف. كان من الواضح أن جيرو غير راغب بصحيتي، وبدأ مؤكداً -مما رأيته- أن جاك رينو لا يريد مثل هذه الصحبة أيضاً. عدتُ إلى البلدة واستمتعت بقليل من السباحة، ثم رجعتُ إلى الفندق. وقد نمتُ مبكراً وأنا أتساءل فيما إذا كان الغد سيأتي لنا بشيء جديد هام.

وقد كنت غير مستعد أبداً لما جاء به اليوم التالي. فقد كنتُ أتناول إفطاري في قاعة الطعام عندما عاد إليّ النادل متفعلاً بعد أن كان يتحدث في الخارج مع شخص ما. تردد للحظات وهو يبحث بمندبلة بارتياك ثم قال بسرعة: فليعذرني سيدي، ولكنك يا سيدي على علاقة بقضية فيلا جينيفيف، أليس كذلك؟

قلتُ له بلهفة: نعم، لماذا؟

- ألم يسمع سيدي بالخبر؟

- أي خبر؟

- بأن جريمة قتل أخرى قد وقعت هناك الليلة الماضية!

- ماذا؟

تركْتُ إفطاري وأخذت قبعتي بسرعة وركضت بأسرع ما أستطيع. جريمة قتل أخرى... وبارو بعيد، يا لهذا الشؤم! ولكن من الذي قُتل؟ دخلتُ البوابة مسرعاً، فوجدتُ مجموعة من الخدم على الممشى يتكلمون ويهتفون بأيديهم. أمسكتُ بفرائسوا وقلت: ما الذي حدث؟

- أوه يا سيدي! جريمة أخرى! أمر فظيع! لقد حلت اللعنة

بهذا البيت. نعم، لعنة! لن أقضي ليلة أخرى تحت سقف هذا البيت أبداً. ربما كان الدور القادم عليّ؟ من يدري؟

ثم تمتعت بالدعاء، فصحتُ قائلاً: نعم، ولكن من الذي قُتل؟

- وأنى لي أن أعرف؟ رجل... غريب. وجدوه هناك في السقيفة... حيث لا يبعد متر عن المكان الذي وجدوا فيه سيدي المسكين. وليس هذا فحسب. فقد طُعن طعنًا... طُعن في قلبه بنفس الخنجر!

...

كانت من قماش جيد، ولكنها لم تكن جديدة. كان وجهه منتشجاً بشكل فظيع، وإلى الجانب الأيسر من صدره، فوق القلب تماماً، برزت قبضة عنجر سوداء لامعة. وقد مِيزَتْها، إذ كانت لنفس العنجر الذي رأته في الإناء الزجاجي صباح أمس!

قال جيرو: أتوقع حضور الطبيب في أية لحظة، رغم أننا لا نكاد نحتاجه؛ فلا شك في سبب وفاة الرجل.. لقد طُعن وصولاً إلى القلب، ولا ريب أن الوفاة قد حصلت على الفور.

- متى وقعت؟ ليلة أمس؟

هز جيرو رأسه وقال: أشك في ذلك. إنني لا أعتمد كثيراً على الدليل الطبي، ولكن الرجل قد توفي دون شك منذ أكثر من اثنتي عشرة ساعة. متى قلت إنك رأيت هذا العنجر آخر مرة؟

- في حوالي الساعة العاشرة من صباح أمس.

- إذن فأنا أميل إلى القول إن الجريمة ارتكبت بعد ذلك بوقت قصير.

- ولكن الناس كانوا يروحون ويحيثون من أمام هذه السقيفة.

ضحك جيرو بشكل كرهه وقال: أنت عجيب في توقعاتك! من قال لك إنه قُتل في هذه السقيفة؟

شعرت بارتباك شديد وقلت: إنني... إنني افترضت ذلك.

- أوه، يا لرجل التحري الممتاز! انظر إليه. هل يسقط رجل طُعن حتى قلبه على هذا الشكل... بكل ترتيب وقد اجتمع قدماء

الفصل الرابع عشر

الجثة الأخرى

التفت دون انتظار سماع المزيد وركضت في المعمر إلى السقيفة. تنحى الحارسان هناك جانباً ليسمح لي بالدخول، قدخلت وأنا على درجة عالية من الانفعال. كان الضوء خافتاً، وكانت السقيفة مجرد غرفة خشبية بُنيت كيفما اتفق بغرض وضع الأشياء والأدوات القديمة فيها. كنت قد دخلتُ بحماسة، ولكنني توقفتُ عند العتبة مسحوراً بالمشهد أمامي.

كان جيرو جاثياً على يديه وركبتيه ويده مصباح جيب صغير يستعمله في فحص كل بوصة على الأرض. رفع بصره متجهماً لدى دخولي، ثم ارتحى وجهه قليلاً بشيء من الازدراء المرح وقال وهو يشير بالمصباح إلى الزاوية البعيدة: ها هو هناك.

عبرتُ السقيفة إلى الحثة. كان الميت يتمدد بشكل مستقيم على ظهره، وكان متوسط الطول أسمر البشرة في حوالي الخمسين من عمره. وقد ارتدى بدلة بنية غامقة أنيقة أحسن تفصيلها، وربما

معاً ورُتبت يده إلى جانيه؟ كلا. ثم هل يمكن لرجل أن يتمدد على ظهره ويسمح بأن يُطعن دون أن يرفع يداً للدفاع عن نفسه؟ هذا سخيف، أليس كذلك؟ ولكن انظر هنا... وهنا...

ثم أضاء المصباح على موقعين في الأرض، ورأيتُ آثاراً غريبة شاذة على الثراب الناعم، فيما مضى حيرو قاتلاً: لقد سُحب بعد موته إلى هذا الموضع، وكان ذلك نصف سحب ونصف حمل من قبل شخصين. إن آثارهما لا تظهر على الأرض الصلبة في الخارج، أما هنا فقد حرصا على محوها، ولكن أحد الشخصين كان امرأة يا صديقي الشاب.

- امرأة؟

- نعم.

- ولكن إذا كانت الآثار قد مُحيت، فكيف عرفت؟

- ذلك أن آثار الحذاء النسوي تبقى بارزة رغم كل المحو. وكذلك بسبب هذه.

ثم انحنى وسحب شيئاً عن قبضة الخنجر ورفعته إليّ لأراه. وكان ذلك شعرة سوداء طويلة من شعر النساء شبيهة بتلك التي أخذها بوارو عن الكرسي في المكتبة.

ثم أعاد لفها على قبضة الخنجر من حديد باهتسامة مسخرة وقال: ستترك الأمور كما هي قدر الإمكان؛ فهذا يُفرح قاضي التحقيق. حسناً، هل لاحظت أي شيء آخر؟

اضطربتُ لهزّ رأسي بالنفي، فقال حيرو: انظر إلى يديه.

نظرتُ إليهما. كانت أظافره مكسورة وقد تغير لونهما، وكان جلد يديه ثخيناً قاسياً. ولكنني لم أكّد أفهم من ذلك ما كنتُ أحب فهمه. نظرتُ إلى حيرو فقال محبباً نظرتني: إنهما ليستا يدي سيدي مهذب، وعلى العكس من ذلك فإن ملاسه ملابس رجل غني. وهذا غريب، أليس كذلك؟

وافقته قاتلاً: غريب جداً.

- كما أن أيّاً من ملاسه لا يحمل علامة. ما الذي نستنتجه من ذلك؟ لقد كان هذا الرجل يحاول تمرير نفسه كشخص آخر غير هويته الحقيقية. كان يتظاهر.. لماذا؟ هل كان يخاف من شيء؟ أكان يحاول النجاة عن طريق إخفاء هويته؟ لا نعرف بعد، ولكننا نعرف شيئاً واحداً... وهو أنه كان حريصاً على إخفاء هويته بقدر حرصنا على اكتشافها.

ثم نظر إلى الحثة ثانية وقال: وكما كان الأمر من قبل، فلا توجد بصمات على قبضة الخنجر. لقد لبس القاتل قفازات مرة أخرى.

سألكه بلهفة: أظنّ إذن أن القاتل واحد في كلا الحريمتين؟

أصبح حيرو غامضاً وقال: لا تلقِ بالاً لما أفنّه. سوف نرى... مارشوا!

ظهر شرطي البلدة على الباب وقال: سيدي؟

- لماذا لم تأتِ السيدة رينو؟ لقد أرسلتُ في طلبها منذ أكثر

من ربع ساعة.

- إنها قادمة في العمر يا سيدي، وابنها معها.

- جيد، ولكنني أريد كلاهما على انفراد.

حيّاه مارشو واختفى ثانية. وبعد لحظات عاد للظهور مع السيدة رينو وقال: ها هي السيدة.

تقدم جيرو بالحناءة لبقة وقال وهو يقودها عبر الغرفة: من هنا يا سيدي.

ثم وقف فجأة جانباً وقال: ها هو الرجل. هل تعرفينه؟

وفيما كان يتكلم، كانت عيناه النفاذتان تخترقان وجهها سعياً لقراءة ما في ذهنها وملاحظة أي مؤشر في سلوكها.

ولكن السيدة رينو بقيت هادئة تماماً... بل شعرت أنها كانت هادئة أكثر مما ينبغي. نظرت إلى الحشة دون اهتمام بذكر، وبالتأكيد دون أية إشارة لانفعال أو تعرف. ثم قالت: كلا، لم أره أبداً في حياتي. إنه غريب تماماً بالنسبة لي.

- آنت متأكدة؟

- متأكدة تماماً.

- ألا تميزين فيه واحداً من المحرّمين اللذين قاما بالاعتداء عليكم مثلاً؟

بدا وكأنها تردد، وكان الفكرة قد فاجأتها، ثم قالت: كلا،

لا أظن ذلك. لقد كانت لهما لحيّ بالطبع... ويرى قاضي التحقيق أنها كانت لحيّ زائفة... ولكن مع ذلك، كلا.

بدت الآن وكأنها قد عزمت أمرها بالتأكد إذ أضافت: إنني متأكدة أنه لم يكن أباً من الاثنين.

- حسناً يا سيدي، هذا كل ما هناك.

خرجت منتصبية الرأس والشمس تلمع على الخيوط الفضية في شعرها. جاء بعدها جاك رينو، وقد فشل هو الآخر في التعرف على الرجل بأسلوب طبيعي تماماً.

اكتفى جيرو بالابتسام، ولا أستطيع الحزم إن كان مسروراً أم متألماً. نادى مارشو قائلاً: هل الأخرى هنا؟

- نعم يا سيدي.

- أدخلها إذن.

كانت "الأخرى" هي السيدة دوبريه. دخلت ساخطة تحتج بكل حماسة: إنني أعتز أنها السيدة! هذا تصرف غير مقبول! ما علاقتي أنا بكل هذا؟

قال جيرو بنسوة: سيدي، أنا لا أحقق بحرمة قتل واحدة، بل بحرمتين! وحسب معلوماتي فإنك ربما كنت قد ارتكبت الحرمتين.

صاحت قائلة: كيف تحرّو على قول ذلك؟ كيف تحرّو على إهانتني بمثل هذا الاتهام الاعباطي؟ إنه كلام مقزز!

- مقزز، أليس كذلك؟ وماذا عن هذه؟

اتحنى وأخذ الشعرة ثانية ورفعها قائلاً: هل ترين هذه يا سيدي؟

اقترب منها وقال: هل تسمحين لي أن أرى إن كانت تنسجم مع شعرك؟

قفزت إلى الخلف صارخة وقد ابيضَّ وجهها حتى شفيتها وقالت: أقسم أنها زائفة. لا أعرف شيئاً عن الجريمة... عن أي من الجريمة. وكل من يقول غير ذلك كاذب! آه، يا إلهي، ماذا أفعل؟ قال جيرو بيرود: هدئي من روعك يا سيدي. لم يتهمك أحد بشيء بعد، ولكن من الأفضل أن تحيي عن أسلتي دون مزيد من الضجة.

- سأجيب عما تريده يا سيدي.

- انظري إلى الرجل الميت. هل سبق لك أن رأيته قط؟

تقدّمت وقد أخذ شيء من اللون يعود إلى وجهها، نظرت إلى الحثة بقدر من الاهتمام والفضول، ثم هزّت رأسها وقالت: لا أعرفه.

بدا من المستحيل الشك فيها؛ فقد خرجت الكلمات بكل طليعية. أشار لها جيرو بالانصراف بإيماءة من رأسه، وسألته بصوت خافت: هل ستركها تذهب؟ أهذا إجراء حكيم؟ من المؤكد أن تلك الشعرة من رأسها.

قال جيرو بحفاة: لا أحتاج لمن يعلمني مهنتي... إنها تحت المراقبة، لا رغبة لي باعتقالها بعد.

ثم حدّق في الحثة متحهم الوجه، وفحاة سأل: أنظرن أن هذا

شكل إسباني؟

نظرت إلى الوجه بإمعان ثم قلت: لا، إنه فرنسي بالتأكيد.

ابتسم جيرو بغير افتتاع وقال: نفس الشيء هنا.

وقف هناك دقيقة، ثم تحّاني جانباً بإشارة أمرة منه وعاد مرة أخرى ليحثو على ركبتيه ويمضي في بحثه في أرضية السقيفة. كان رائعاً لا يفوته شيء. مضى يفحص الأرض بوصة بوصة، يقلب الأحواض ويفحص الأكياس القديمة. اتكب على صرة قرب الباب، ولكن اتضح أنها مجرد معطف وبنطال باليين، فرماها ثابتة وهو يزمر. جذب انتباهه زوج من القفايزات القديمة، ولكنه هزّ رأسه في النهاية وألقاها جانباً. ثم عاد إلى الأحواض فقلبها واحداً واحداً بالترتيب. وفي النهاية نهض واقفاً وهزّ رأسه متأملاً. بدا حائراً، وأحسبه نسي وجودي.

ولكن في تلك اللحظة سمعت في الخارج أصوات وحلية، وجاء صاحبنا القديم قاضي التحقيق مسرعاً مع السيد ييكس والطبيب خلفهما. صاح السيد هويته: هذا غريب جداً يا سيد جيرو. جريمة أخرى! إننا لم نصل إلى أصل هذه القضية، إن في هذا الأمر لغزاً عميقاً، ولكن من هو الضحية هذه المرة؟

- هذا بالضبط ما لا يستطيع أحد إخبارنا به يا سيدي؛ لم يتم التعرف إليه.

سأل الطبيب: أين الحثة؟

تحنى جيرو جانباً وقال: هناك في الزاوية. لقد طُعن وصولاً

إلى القلب كما ترى، وبالعنجر الذي سُرق صباح أمس. ويخيل لي أن الجريمة قد ارتكبت بعد وقت قصير من سرقة العنجر... ولكن هذا الأمر من اختصاصك أنت. بوسعك الإمساك بالعنجر كما تشاء... فليس عليه بصمات.

جنا الطبيب فوق الحنة فيما التفت جيرو إلي قاضي التحقيق وقال: مشكلة عويصة، أليس كذلك؟ ولكنني سأحلها.

قال القاضي وهو يفكر: لم يتعرف أحد إلى الحنة إذن. أيمكن أن يكون أحد القائلين؟ ربما كانا قد تشاجرا معاً.

هز جيرو رأسه وقال: إن الرجل فرنسي... بوسعي أن أقسم على ذلك...

ولكن في تلك اللحظة قاطعهما الطبيب الذي كان يقعي على عقيبه وعليه سمات الحيرة: هل قلت إنه قُتل صباح أمس؟

أجابه جيرو: لقد حددت ذلك من سرقة العنجر. ربما كان قد قُتل في وقت لاحق من النهار طبعاً.

- في وقت لاحق؟ هراء! لقد مضى على موت هذا الرجل ما لا يقل عن ثمان وأربعين ساعة، وربما أكثر.

حدثنا ببعضنا البعض وقد صعقتنا الدهشة.

* * *

الفصل الخامس عشر

صورة

كانت كلمات الطبيب مذهشة بحيث فوجئنا بها جميعاً. فهنا رجل طُعن بعنجر نعرف أنه سُرق قبل أربع وعشرين ساعة فقط، ومع ذلك يؤكد الطبيب جازماً أنه قد مات منذ ثمان وأربعين ساعة على الأقل! كان الأمر كله خيالاً إلى أبعد الحدود.

وقد كنا نستفيق من دهشتنا التي سببها إعلان الطبيب عندما جيء إليّ برفيقة، وكانت قد أرسلت من الفندق إلى الفيلا. فتحدثنا فوجدت أنها من يوارو يملقني فيها بعودته في القطار الذي يصل ميرلينفيل في الساعة الثانية عشرة وثمان وعشرين دقيقة.

تفطرتُ إلى ساعتني فوجدت أنه لم يبقَ من الوقت إلا ما يسمح بأن أذهب دون استعجال إلى المحطة لاستقباله هناك، وشعرت أنه من الهام جداً أن يعرف يوارو فوراً بالتطورات الجديدة الملهمة للقضية. وفكرتُ بأن من الواضح أن يوارو لم يجد صعوبة في العثور على ما يبحث عنه في باريس؛ فسرعة عودته تثبت ذلك. لقد كانت

بضع ساعات كافية. وتساءلت كيف سيتلقى بوارو الخبر العثير الذي سأبلغه به.

تأخر القطار بضع دقائق، وأخذتُ أمشي على غير هدى على رصيف المحطة، حتى خطر لي أن أمضي بعض الوقت في طرح بعض الأسئلة حول من غادر ميرلينفيل في آخر قطار ليلة المأساة.

اقتربت من كبير الحمالين، وكان رجلاً يادي الذكاء، ولقيت بعض الصعوبة في إقناعه بالدخول في الموضوع. أكد بحماسة أن الأمر كان عاراً على الشرطة؛ أن يُسمح لمثل هؤلاء القتل أو قطع الطرق بأن يفلتوا من العقاب. ألمحتُ إلى وجود احتمال بأن يكون القتل قد غادروا في قطار منتصف الليل، ولكنه نفى تلك الفكرة بكل جزم قائلاً إنه كان سيلاحظ وجود غريبين، وكان واثقاً من ذلك. وقال إن نحواً من عشرين شخصاً فقط غادروا في ذلك القطار، وما كان ليفشل في ملاحظة وجود غرباء بينهم.

لا أدري ما الذي وضع الفكرة في رأسي - وربما كان السبب هو القلق العميق الذي ميّز نبرات مارتا دوبريه - ولكنني سألته فجأة: ماذا بالنسبة للشاب جاك رينو... ألم يغادر بذلك القطار؟

- أوه، كلا يا سيدي. لن يكون من السهل أن يصل المرء ثم يغادر ثانية خلال ربع ساعة!

حجّعتُ بالرجل وقد كادت تقوّني أهمية كلماته. ثم استوعبتها، فقلت وقلبي ينبض بقوة: أتعني أن السيد جاك رينو وصل مارلينفيل في تلك الليلة؟

- نعم يا سيدي. وصل في آخر قطار قادم من الجهة الأخرى، قطار الساعة الثانية عشرة إلا ثلثاً.

اضطربت الأفكار في رأسي. هذا إذن هو سبب قلق مارتا الحاد؛ لقد كان جاك رينو في ميرلينفيل ليلة وقوع الجريمة. ولكن لماذا لم يقل ذلك؟ لماذا قادنا - على العكس من ذلك - للاعتقاد بأنه بقي في تشيربورغ؟ ولدى تذكري لسحنه الصيانية الصريحة لم أكد أستطيع حمل نفسي على تصديق أية علاقة له بالجريمة. ولكن لماذا هذا التكم على دوره في أمر حيوي كهذا؟ كان شيء واحد مؤكداً، وهو أن مارتا كانت تعلم منذ البداية. ومن هنا كان قلقها، وسؤالها المثلث لبوارو إن كانت الشكوك تحوم حول شخص معين.

قطع وصول القطار تأملاتي، وسرعان ما كنتُ أحيي بوارو. كان الرجل متألّفاً، متهلل الوجه عالي الصوت، وقد نسي تحفظي الإنكليزي فعانقني بحرارة علي الرصيف قائلاً: يا صديقي العزيز، لقد نحتت... نحتت نجاحاً باهراً!

- حقاً؟ يسعدني سماع ذلك. هل سمعتُ آخر الأنباء هنا؟ - وكيف لي أن أسمع شيئاً؟ حصلتُ تطورات إذن، أليس كذلك؟ لا شك أن جيمو الشجاع قد قام باعتقال أحدهم؟ أو باعتقال الكثير منهم؟ سأجعله يسدو مغسلاً! ولكن أين تأخذني يا صديقي؟ أئن نذهب إلى الفندق؟ من الضروري أن أصلح من شأن شاربني فقد تهدلا بشكل مقيت بسبب حرارة السفر، كما لا يوجد شك في وجود غبار على معظفي، وربطني تحتاج إلى تعديل...

قامعتُ احتجاجاته قائلاً: يا عزيزي بوارو... لا تُلقي بالاً لذلك

كله. يجب أن نذهب إلى الفيلا فوراً. لقد وقعت جريمة قتل أخرى!
لم يسبق لي أبداً أن رأيت رجلاً مصعوقاً لهذا الحد؛ فقد فغر
فاه، وتلاشت كل ثفته المرحية، وحذق بي فاتحاً فمه ثم قال: ماذا
تقول؟ جريمة قتل أخرى؟ آه، لقد أخطأتُ تماماً... لقد فشلت.
ويمكن أن يسخر حيرو مني... وستكون له أسباب وجيهة!

- ألم تكن تتوقع ذلك إذن؟

- أنا؟ لم أتوقع شيئاً كهذا أبداً. إنه يدمر نظرتي... يدمر كل

شيء... إنه... آه، كلا!

توقف فجأة وأخذ ينقر بأصبعه على صدره وقال: مستحيل. لا
يمكن أن أكون مخطئاً! إن الحقائق المأخوذة بشكل متعجبي، وبرتيتها
الصحيح، لا تسمح إلا بتفسير واحد. لا بد أن أكون على صواب...
إنني فعلاً على صواب!

- ولكن...

قاطعني قائلاً: انتظر يا صديقي. لا بد أن أكون محقاً، ولذلك
فإن جريمة القتل الجديدة هذه مستحيلة ما لم... ما لم... آه،
انتظر، أرحوك لا تقل كلمة واحدة.

سكت ليضع لحفظات ثم استعاد سمته المعتاد وقال بصوت
هادئ واثق: إن الضحية رجل في أوسط العمر، وقد عُثر على جثته
في السقيفة المقفولة قرب مسرح الجريمة، وقد مضى على وفاته
ثمان وأربعون ساعة على الأقل. والأرجح أنه طعن بطريقة تشبه
طريقة طعن السيد رينو، وإن لم يكن بالضرورة في ظهره.

جاء دوري أنا لأفتح فمي دهشة... وقد فتحت. فطوال معرفتي
بوارو لم يقم بأي شيء بهذا القدر من الإدهاش. وقد انتابني شك
لم أجد منه بُدأ، فصحت: بوارو، أنت تسخر مني. لقد سمعتُ
بالأمر كله من قبل قطعاً.

أدار نظرتي الحدية إلى شيء من التأنيب وقال: هل يمكن أن
أقوم بأمر كهذا؟ أؤكد لك بأنني لم أسمع بشيء أبداً. ألم تلاحظ
الصدمة التي سببها لي خبرك؟

- ولكن كيف عرفت بكل هذا بالله عليك؟

- ما قلته صحيح إذن؟ لقد عرفتُ ذلك. إنها الخلايا الرمادية
الصغيرة يا صديقي، خلايا الدماغ الرمادية! هي التي أخبرتني. فهذه
الطريقة دون غيرها يمكن أن توجد جريمة قتل أخرى. والأنا أخبرني
بكل شيء. لو ذهبنا إلى الشمال من هنا أمكننا أن نأخذ طريقاً
مختصراً إلى الفيلا عبر ملعب الغولف يفضي بنا إلى مؤخرة فيلا
جينييف بشكل أسرع.

وبينما مشينا في الطريق الذي اقترحه رويت له كل ما أعرفه.
وقد استمع بوارو بكل انتباه، ثم قال: أتقول إن الخنجر كان في
الحرح؟ هذا غريب. أأنت واثق أنه نفس الخنجر؟

- واثق تماماً؛ وهذا ما يجعل الأمر مستحيلاً.

- ليس في الأمر مستحيل... ربما كان يوجد خنجران.

رفعتُ حاجبي وقلت: من المؤكد أن ذلك مستبعد جداً،
فستكون تلك مصادفة غريبة جداً ومستحقة.

- أنت تتكلم كالعادة دون تفكير يا هينستغز. إن من شأن
سلاحين متماثلين أن يكونا مُستبعدَيْن في بعض القضايا، ولكن ليس
في هذه القضية. إن هذا السلاح كان هدية حرب صُنعت بطلب من
حاك رينو. ولو فكرت بالأمر جيداً لرأيت أن من المستبعد فعلاً أن
يكون قد طلب صنع خنجر واحد فحسب، بل المحتمل تماماً أن يكون
قد طلب صنع خنجر آخر لاستخدامه هو.

عارضته قائلاً: ولكن أحداً لم يذكر شيئاً كهذا.

- يا صديقي العزيز، عندما يعمل المرء في قضية ما، فإنه لا
يأخذ في حسبانهِ الأشياء التي "ذُكرت" فقط. فليس من سبب للذكر
الكثير من الأمور التي ربما كانت مهمة. وبالمقابل يوجد عادةً سببٌ
وجيه جداً لعدم ذكر مثل هذه الأمور. يمكنك أن تختار واحداً من
هذين الدافعين.

بقيت ساكناً، وقد تأثرت رغباً عني بما قاله. وبعد بضعة دقائق
كنا عند السفينة الشهيرة. وجدنا كل أصدقائنا هناك، وبعد تبادل
عبارات المجاملة بدأ بوارو مهمته. وقد أثارت طريقة بوارو اهتمامي
بعد أن راقبتُ جيرو وهو يؤدي مهمته. ولكن بوارو اكتفى بالقاء
نظرة سريعة على ما يحيط به، وكان الشيء الوحيد الذي تفحصه
هو المعطف والبنطال الباليان قرب الباب. ارتسمت ابتسامة ازدراء
على شفتي جيرو، فقام بوارو برمي الصرة ثانية وكأنه لاحظ ابتسامة
جيرو، ثم سأل: أهى ملابس البستاني القديمة؟

أجابته جيرو: بالضبط.

حنا بوارو قرب الحنطة، وكانت أصابعه سريعة تعرف طريقها.

تفحص نسيج الثياب، وأنتع نفسه بعدم وجود علامات عليها. وقد
أولى عناية خاصة للحناء، وللأظافر المكسورة المتسخة. وبينما هو
يفحص الأظافر نظر إلى جيرو بحدة وقال: هل رأيت هذه؟

أجابته الآخر ووجهه ما يزال غامضاً: نعم، رأيتها.

وفجأة تصلب بوارو ونادى: دكتور ديوران!

تقدم الطبيب قائلاً: نعم؟

- توجد رغبة على الشفتين، هل لاحظتها؟

- أعترف بأنني لم ألاحظ ذلك.

- ولكنك تلاحظها الآن؟

- أوه، بالتأكيد.

نظر بوارو ثانية إلى جيرو وقال: لا شك أنك لاحظتها، أليس
كذلك؟

لم يجبه جيرو، ومضى بوارو في عمله. كان الخنجر قد سُحب
من الحرج ووضع في إناء زجاجي قرب الحنطة. وقد فحصه بوارو،
ثم تفحص الحرج بامعان. وعندما رفع بصره كانت عيناه متفتحتين
تشعان بذلك الريق الأخضر الذي أعرفه جيداً. قال بوارو: إن هذا
لحرج غريب! إنه لم يتزف! فلا توجد على الملابس بقعة دم
واحدة. كل ما في الأمر أن شفرة الخنجر قد تغير لونها قليلاً. ما
رأيت يا سيدي الطبيب؟

- لا أستطيع القول إلا أن ذلك شاذ جداً.

- ولكنه ليس شاذاً أبداً. إنه بسيط تماماً؛ فقد طعن الرجل بعد أن مات.

ثم هذا بوارو الأصوات التي ارتفعت بإشارة من يده وقال: إن السيد جيرو يتفق معي، أليس كذلك يا سيدي؟

ومهما يكن اعتقاد جيرو فإنه تقبل الوضع دون أن يحرك ساكناً. وقد احبب بهدوء وبشيء كاد يرقى إلى الازدراء: أتفق معك بالتأكيد.

سمعت تحتات الدعشة والاهتمام من جديد، وصاح القاضي: ولكن يا لهذه الفكرة؛ أن يطعن رجل بعد موته! إنه تصرف وحشي لم نسمع به من قبل! ربما كان ذلك نتيجة كراهية شديدة.

قال بوارو: كلا، يخيل إليّ أن ذلك قد تم بأعصاب باردة تماماً... لإعطاء انطباع.

- أي انطباع؟

قال بوارو تحميناً: الانطباع الذي كاد يُخلّقه ذلك.

كان السيد ييكس يفكر، ثم سأل: كيف قُتل الرجل إذن؟

- هو لم يُقتل، بل لقد مات. وقد مات - إن لم أكن مخطئاً - من نوبة صرَع!

سبب قول بوارو ضحكة صاحبة من جديد. وجشا الدكتور ديوران قرب الحنة مرة أخرى وقام بفحص دقيق، وأخيراً نهض واقفاً وقال: سيد بوارو، إنني أميل إلى الاعتقاد بأنك على حق في

تأكيدك. لقد انخدعتُ بداية؛ إذ أن الحقيقة التي لا جدال فيها بأن الرجل قد طعن بخنجر حرقتُ انتباهي عن كل المؤشرات الأخرى.

كان بوارو يطل تلك الساعة. وقد هنأ القاضي بفيض من العبارات التي أحاب بوارو عليها بلباقة، ثم اعتذر بحجة أننا لم نتناول غداءنا بعد، وأنه يريد إصلاح ما أفسدته رحلته. وعندما كنا نهم بمغادرة السقيفة اقترب منا جيرو وقال بصوته الهادئ الساحر: شيء واحد آخر يا سيد بوارو. لقد وجدنا هذه ملتفة على مقبض الخنجر... شعرة امرأة.

- آه! شعرة امرأة؟ أية امرأة يا ترى؟

قال جيرو: "هذا ما أتساءل عنه أنا أيضاً"، ثم غادرنا بالاحتجاج.

قال بوارو متأملاً ونحن نسير إلى الفندق: لقد كان جيرو مُصيراً. إنني أتساءل في أي اتجاه يريد تضليلي؟ شعرة امرأة... همم!

أكلنا بشهية، ولكنني وجدتُ بوارو شامداً قليل الانتباه إلى حليّ ما. وبعد ذلك صعدنا إلى غرفة جلوسنا، وهناك رجوتُه أن يخبرني شيئاً عن رحلته الغامضة إلى باريس.

- حباً وكرامة يا صديقي. لقد ذهبتُ إلى باريس لأعثر على

هذه

أخرج من حية قصاصة صغيرة قديمة من صحيفة، وكانت عبارة عن صورة لامرأة. أعطاني إياها، وانطلقت مني آهة تعجب.

- هل ميّزتها يا صديقي؟

أومات برأسي بالإحباب. فمع أن الصورة كانت مأخوذة منذ سنوات طويلة كما هو واضح، ورغم أن الشعر كان ذا تسريحة مختلفة، إلا أن الشبه كان أكبر من أن تحطه العين. قلت بانفعال: السيدة دوريه!

هزّ يوارو رأسه مبتسماً وقال: هذا ليس صحيحاً تماماً يا صديقي. لم تكن تسمي نفسها بهذا الاسم في تلك الأيام. هذه صورة للسيدة الشهيرة بيرولدي!

السيدة بيرولدي! وتذكرت بلمح البصر القصة كلها. تلك المحاكمة بتهمة القتل التي أثارَت اهتماماً عالمياً.

قضية بيرولدي!

قبل نحو عشرين سنة من بدء قصتنا الحالية وصل السيد آر놀د بيرولدي (وهو من مدينة ليون) إلى باريس بصحبة زوجته الحسنة وابنتهما الصغيرة التي كانت محردة طفلة. كان السيد بيرولدي شريكاً ثانوياً في شركة لبيع المرطبات، وهو رجل بدين في أواسط العمر، متعلق بمباهج الحياة، ومحِبٌّ لزوجته الحميلة، وليس فيه إجمالاً ما يميزه على الإطلاق. كانت الشركة التي يسهم فيها الرجل لا تدرُّ على الشريك الثانوي دخلاً كبيراً رغم عملها الجيد. وقد كان لأسرة بيرولدي شقة صغيرة عاشوا فيها حياة متواضعة في البداية.

ولكن بالرغم من عدم وجود ما يميز السيد بيرولدي، إلا أن زوجته كانت مُطْعَمة بمسحة من الرومانسية. ففوق شباهاها وجمالها، وهياها الله سحراً فريداً في شخصيتها. وقد أسارت السيدة بيرولدي فوراً ضحكة في المنطقة التي حُلَّت بها، خاصة عندما بدأ الهمس

الفصل السادس عشر

قضية بيرولدي

يدور بأن لغزاً ما يحيط بمولدها. فقد أفادت الشائعات أنها ابنة غير شرعية لدوق روسي كبير، فيما أكدت شائعات أخرى أنها ابنة نبيل نمساوي، وأن الزواج كان شرعياً، رغم أن الأم كانت مقصورة مما لا يعطي لها أو لابنتها حقاً في وراثته اللقب. ولكن جميع الروايات اتفقت على نقطة واحدة، وهي أن حين بيرولدي موضوع للغر مثير.

وكان من بين أصدقاء عائلة بيرولدي محام شاب اسمه جورج كونو. وسرعان ما بدا واضحاً أن الحسنة حين قد استعبدت قلب هذا الشاب. وقد شجعت السيدة بيرولدي المحامي الشاب في الحفا، ولكنها حرصت دوماً على تأكيد إخلاصها التام لزوجها الكهل. ومع ذلك فإن الكثير من المناكفين لم يترددوا في التصريح بأن كونو الشاب كان عشيقها... وأنه لم يكن العشيق الوحيد!

وبعد أن مضى على إقامة أسرة بيرولدي في باريس ثلاثة أشهر، ظهر في المشهد شخص آخر هو السيد هيرام تراب، وهو مواطن أمريكي بالغ الثراء. وما أن تعرف السيد تراب إلى السيدة بيرولدي الفاتنة الغامضة حتى وقع ضحية غرامها، وكان إعجابه بها واضحاً، رغم محافظته الشديدة على دواعي الاحترام.

في هذه الأثناء أصبحت السيدة بيرولدي أكثر صراحة وإفضاء بأسرارها بحيث تحدثت أمام العديد من الأصدقاء عن قلقها البالغ على زوجها، وشرحت ذلك بأنه قد تورط في العديد من الخطط ذات الطبيعة السياسية، كما أشارت إلى بعض الأوراق الهامة التي أودعت عنده لحفظها، والتي تتعلق "بسر" أوروبي بالغ الأهمية. وقالت إن الأوراق قد أودعت عنده لتضليل من يبحثون عنها، ولكن

السيدة بيرولدي كانت تشع بالكثير من القلق بعد أن لاحظت تحركات للعديد من الأعضاء الهامين في "الدائرة الثورية" في باريس.

وفي الثامن والعشرين من تشرين الثاني وقعت الضربة. فقد ذهبت المرأة التي تأتي يومياً لتتلف وتطبخ لأسرة بيرولدي إذ وجدت باب الشقة مفتوحاً على مصراعيه. وعندما سمعت أنات ضعيفة تصدر من غرفة النوم دخلتها لتجد مشهداً مرعباً. كانت السيدة بيرولدي ممددة على الأرض وقد أوثقت يداها وقدمها وهي تطلق أنات ضعيفة بعد أن تمكنت من نزع الكمامة عن فمها. وعلى السرير كان السيد بيرولدي ممدداً وسط بركة دم وقد انغrustت مكين في قلبه.

كانت رواية السيدة بيرولدي واضحة تماماً. فقد صحت من نومها فجأة لترى رجلين مُتَّعِنَيْن مُتَّكِبَيْن عليها، وقد أوثقاها وكمَّما قعها بعد أن منعها من الصراخ، ثم طلبا من السيد بيرولدي "السر" الشهير. غير أن الرجل الشجاع رفض نهائياً الخضوع لمطالبهما، مما أغضب واحداً منهما فقام بقطعته بشكل هائج في قلبه. ثم أخذ الاثنان مفاتيح القنيل وفتحوا الخزانة في زاوية الغرفة، وأخذوا معها كومة من الأوراق. وقد كان كلا الرجلين بلحية طويلة، ويضعان أفتعة، ولكن السيدة بيرولدي أكدت أنهما روسيان.

وقد أثارت القضية اهتماماً شديداً لدى الجمهور. ومضى الوقت دون أن يتم العثور على أي من الرجلين، وما أن بدأ الاهتمام العام بالقضية يتلاشى حتى حدث تطور مثير: فقد اعتقلت السيدة بيرولدي وأتهمت بقتل زوجها. وعندما بدأت المحاكمة أثارت اهتماماً واسعاً من جديد؛ إذ كان في شباب المتهمه وجمالها وتاريخها الغامض ما يكفي لجعل القضية مدار الألسن.

معه أن تحرر نفسها.

وبعد ذلك، وعند قرب انتهاء المحاكمة جاءت للمدعي العام رسالة وُضعت في بريد باريس من جورج كونو. وزعم أن الرسالة لم تُشر إلى مكان كونو إلا أنها احتوت على اعتراف كامل بالجرمة. فقد اعترف أنه وجّه فعلاً الطعنة القاتلة بناءً على تحريض السيدة بيرولدي، وأن الجرمة قد تم التخطيط لها بينهما. فبعد أن صدّق أن زوجها كان يسيء معاملتها، وبعد أن أفقده حبها صوابه وهو يعتقد أنها تبادلته ذلك الحب، فقد خطط للجرمة وجّه ضربه التي ستحرر المرأة التي يحبها من رباط كرهه. وقد علم الآن لأول مرة بأمر السيد هيرام تراب، وأدرك أن المرأة التي يحبها قد خانت؛ إذ لم تكن تريد التحرر من أجله هو، بل لكي تتزوج الأمريكي الغني! لقد استخدمته كمخيل قط، والآن -في حماة غضبه وغيرته- انقلب وأدانها، معلناً أنه كان يعمل منذ البداية بتحريض منها.

وبعد ذلك برهنت السيدة بيرولدي على أنها المرأة البارزة التي لا شك بإمكاناتها. فقد تخلت دون تردد عن دفاعها السابق واعترفت أن الروسيين كانوا من محض اختراعها وأن القاتل الحقيقي هو جورج كونو الذي أفقده الحب صوابه وارثب الجرمة مهددا إياها إن لم تسكت عن ذلك بالانتقام منها شرّ انتقام. وقد أرغبتها تهديداته فوافقت... بالإضافة إلى خوفها -إن هي قالت الحقيقة- من اتهامها بالرضى الضمني عن الجرمة. ولكنها رفضت بإصرار المضي في العلاقة بعد ذلك مع قاتل زوجها، قائلة إن هذا الموقف من طرفها هو السبب الذي دفعه لكتابة الرسالة لبتهمها بالجرمة. وقد أقسمت بأغلظ الأيمان ألا علاقة لها بالتخطيط للجرمة، وأنها

وقد ثبت بما لا يقبل الشك بأن والذي السيدة بيرولدي كانت زوجين محترمين عاديين من تحار الفواكه يعيشان في ضواحي ليون. أما قصص الدوق الروسي، وعلاقات الغرام، والمؤامرات السياسية، وكل القصص الأخرى المتداولة، فقد تم تتبع جذورها وصولاً إلى السيدة بيرولدي نفسها! وقد عُرضت قصة حياتها كلها على العلأ دون رحمة، ووُجد دافع الجرمة في شخص السيد هيرام تراب. وقد بذل السيد تراب كل ما يمكنه للتستر على الموضوع، ولكنه اضطر -بعد تعرضه لاستجابات مضنية لا ترحم- إلى الاعتراف بأنه أحب السيدة، وأنه كان سيطلب منها الزواج به لو كانت حرة. ولقد جعلت حقيقة كون علاقتهما روحية محضة القضية أكثر صعوبة على المتهمة، فبعد أن حُرمت السيدة بيرولدي من أن تصبح عشيقة للرجل بسبب طبيعته الشريفة أخذت تفكر بمخطط وحشي للتخلص من زوجها الكهل المغموور لتصبح زوجة الأمريكي الغني.

وطوال المحاكمة واجهت السيدة بيرولدي مُتهميها بكل برود ورباطة جأش، ولم تتبدل روايتها أبداً. واستمرت تعلن بعناد أنها من بيت ملكي، وأنها قد استبدلت هابنة بالعني الفاكهة وهي طفلة. ورغم سخافة هذه الادعاءات وتهافتها إلا أن عدداً كبيراً من الناس قد صدّق صحتها دون نقاش. ولكن الادعاء العام كان صارماً؛ فقد أعلن أن قصة "الروسيين" المُقنعين كانت خرافة، وأكد أن الجرمة قد ارتكبت من قبل السيدة بيرولدي وعشيقتها جورج كونو. وقد تم إصدار مذكرة اعتقال بحق جورج كونو، ولكنه كان من الحكمة بحيث اختفى عن الأنظار. وقد أظهرت الأدلة أن الحبال التي كانت توثق السيدة بيرولدي كانت مرتخية إلى الحد الذي كان يوسعها

استيقظت في تلك الليلة المشهودة لتحجج جورج كونو فوق رأسها
والسكين المملوطة بالدم في يده.

كانت القضية مجازفة لا تعرف نتائجها. إذ لا تكاد رواية
السيدة بيرولدي تُصدق. ولكن خطابها لهيئة المحلفين كان خطاباً
فريداً في براعته. فقد تحدثت والدعوى تنهمر من عينيها عن طفلتها،
وعن كرامة المرأة لديها، وعن رغبتها في الحفاظ على سمعتها دون
تلويث من أجل ابنتها. اعترفت أنها ربما كانت مسؤولة أخلاقياً عن
الجريمة باعتبار أن جورج كونو كان عشيقها... ولكنها أفسحت
بالله أن الأمر لا يعدو ذلك! وقالت إنها تعرف أنها ارتكبت غلطة
كبيرة بعدم إدانتها لكونو أمام القانون، ولكنها أعلنت بصوت كبير
بأن ذلك كان شيئاً يصعب على أية امرأة أن تفعله، فقد أحسنه! فهل
كان بوسعها أن تسلمه بيدها للمقصلة؟ قالت إنها مذنبية في الكثير
من الأمور، ولكنها بريئة من الجريمة الفظيعة المنسوبة إليها.

وكائناتاً ما كان الأمر، فقد كسبت بلاغتها وشخصيتها الحولة،
وتعت -وسط مشهد مثير منقطع النظير- تبرئة السيدة بيرولدي.

ورغم كل مساعي الشرطة لم يتم العثور على أثر لحجج
كونو. أما السيدة بيرولدي فلم يعد يُسمع عنها شيء، فقد أخذت
طفلتها وغادرت باريس لتبدأ حياة جديدة.

* * *

الفصل السابع عشر

مزيد من التحريات

لقد رويت قصة قضية بيرولدي بأكملها. وبالطبع فإن ذاكرتي
لا تحتفظ بكل التفاصيل، ومع ذلك فقد تذكرت القضية على نحو
كبير من الدقة؛ فهي قد أثارت الكثير من الاهتمام وقتها، وحظيت
بتغطية كاملة من الصحافة البريطانية، بحيث لا يحتاج الأمر من
ذاكرتي جهداً كبيراً لتذكر التفاصيل البارزة من جديد.

وبدأت لي للحفلة -في غمرة حماسي- أن تلك القضية توضح
الأمر كله. إنني أعترف بتفاني وتسرعي، وبوارو يستكر دائماً
عادتي في القفز إلى استخلاص نتائج قبل الأوان، ولكنني أرى أن
لدي مبرراً قوياً في هذه الحالة. لقد أذهلتني الطريقة الرائعة التي برر
بها هذا الاكتشاف وجهة نظر بوارو في القضية، فقلت له: إنني
أهتلك يا بوارو.. أنا أفهم كل شيء الآن.

أشعل بوارو واحدة من لفافاته الصغيرة بدقته المعهودة، ثم رفع
بصره إليّ وقال: بما أنك تفهم كل شيء الآن يا صديقي، فما هو
بالضبط الذي تفهمه؟

- أن السيدة دوبريه -أو بيرولدي- هي بالطبع التي قتلت السيد رينو. إن تشابه القضيتين يثبت ذلك دون أي شك.

- أنظن إذن أن السيدة بيرولدي قد بُرئت خطأً، وأنها في الواقع كانت راضية عن قتل زوجها؟

فتحت عيني على اتساعهما وقلت: بالطبع! ألا ترى أنت ذلك؟

مشى بوارو إلى نهاية الغرفة، ثم عدل أحد الكراسي وهو شارد الذهن وقال متأملاً: نعم، هذا رأيي. ولكن لا "بالطبع" في المسألة يا صديقي. إن السيدة بيرولدي بريئة من الناحية الفنية.

- وما كانت بريئة من تلك الجريمة، ولكن ليس من هذه.

جلس بوارو ثانية ونظر إليّ وقد بدا عليه التأمل أكثر من أي وقت مضى، ثم قال: إذن فأنت تعتقد جازماً يا هينريز بأن السيدة دوبريه قتلت السيد رينو؟

- نعم.

- لماذا؟

رمى إليّ بذلك السؤال بشكل مفاجئ أدهشني فقلت متلعثماً: لماذا؟ لماذا؟ أوه، لأنها...

ثم توقفت. فأوما بوارو برأسه لي وقال: أترى، لقد وصلت فوراً إلى حائط مسدود. لماذا تقتل السيدة دوبريه (وسأسميها بهذا الاسم للوضوح)... لماذا عساها تقتل السيد رينو؟ لا نستطيع أن نجد أثراً لأي دافع. إنها لا تستفيد من وفاته، ولو نظرنا إليها في

كلا الحالتين كعشيقة أو كمُبتزّة له، فإن في موته خسارة لها. لا يمكنك أن تحد جريمة قتل دون دافع. لقد كانت الجريمة الأولى مختلفة... فقد كان لدينا هناك حبيب غني مستعد للقفز والحلول محل زوجها.

قلت معترضاً: المال ليس الدافع الوحيد للقتل.

وافقني بوارو بهدوء: هذا صحيح. يوجد دافعان آخران، أحدهما الجريمة العاطفية. ودافع نادر ثالث، وهو القتل من أجل فكرة، وهو ما ينطوي على شكل من أشكال الاضطراب العقلي لدى المحرم. إن جنون القتل، وبعض أنواع التعصب الأسود تنتمي إلى هذه الفئة. ويمكننا هنا استبعاد هذا النوع.

- ولكن ماذا عن الجريمة العاطفية؟ أنتستطيع استبعاد ذلك؟ إن كانت السيدة دوبريه عشيقة للسيد رينو، وإن وجدت أن حبه لها يتراجع، أو إن اشتدت غيرتها لأي سبب، ألا يمكن أن تهاجمه في لحظة غضب؟

هز بوارو رأسه وقال: إن -واتتبه لاستخدامي لأداة "إن" - إن كانت السيدة دوبريه عشيقة للسيد رينو فإنه لم يُنح له من الوقت ما يعمل به منها. وفي كل الأحوال فأنت أسأت الحكم على شخصيته. إنها امرأة تستطيع التظاهر بضغط عاطفية عظيمة؛ إنها مثقلة بال... ولكن إذا ما نظرنا إلى حياتها دون الانخداع بالعواطف، لوحدنا أن حياتها تُكذّب مظهرها. فلو درسنا حياتها لرأينا أنها -ت طوال الوقت من النوع البارد الذي يحسب الأمور جيداً لدوائمه وتصرفاته. فهي لم تسكت وتواطأ على قتل زوجها لتربط حياتها بحياة

عشيقها الشاب ذاك، بل كان هدفها الأمريكي الغني الذي ربما لم تكن تأبه له على الإطلاق. فإذا ما ارتكبت جريمة فإنها ستفعل ذلك يوماً من أجل الكسب، وهنا لم يوجد أي كسب. وفوق ذلك، كيف تفسر مسألة حفر القبر؟ لقد كان ذلك من عمل رجل.

قلتُ وأنا غير راغب بالتخلي عن رأيي: ربما كان لديها شريك.

- سأنتقل إلى اعتراض آخر. لقد تحدثت عن التشابه بين الحريمتين، فأين يكمن ذلك التشابه يا صديقي؟

حدثتُ به مندهشاً وقلت: ما هذا يا بوارو؟ أنت الذي تحدثت أساساً عن ذلك! قصة الرجلين المُقنعين، و"السُر"، والأوراق!

ابتسم بوارو قليلاً وقال: لا تسخط هكذا أرجوك. أنا لا أتصل من أي شيء قلته. إن التشابه بين القضيتين يجعلهما مرتبطتين معاً على نحو حتمي، ولكن فكر الآن بشيء غريب جداً: ليست السيدة دوبريه هي التي أخبرتنا بالقصة (ولو كانت هي لكان الأمر كله في غاية البساطة) ولكنها السيدة رينو. فهل هما متفتتان؟

قلتُ ببطء: لا أستطيع تصديق ذلك. وإذا كانت متفتقة معها فإنها تكون أكمل مثلة عرفها العالم.

قال بوارو بصير نافذ: تاء.. تاء.. ها قد عدتُ إلى العاطفة السطحية لا إلى المنطق! إن كان ضرورياً لمجرمة أن تكون مثلة كاملة، فلك أن تعتبرها كذلك. ولكن هل هذا ضروري؟ لا أحسب أن السيدة رينو متفتقة مع السيدة دوبريه لأسباب عديدة، بعضها سبق أن ذكرتها لك، والأسباب الأخرى تتحدث عن نفسها. ولذلك فبعد

أن تستبعد هذه الفرضية نكون قد اقتربنا كثيراً من الحقيقة.

صحتُ قائلاً: بوارو، ماذا تعرف بعد؟

- يا صديقي، يجب أن تقوم أنت باستنتاجاتك الخاصة. لقد تأمن لك "الوصول إلى الحقائق". ركّز خلاياك الرمادية واستخدم عقلك. ليس مثل جيرو، بل مثل هيركيول بوارو!

- ولكن هل أنت متأكد؟

- يا صديقي، لقد كنتُ مغفلاً من عدة نواح، ولكنني أخيراً أرى بوضوح.

- وهل تعرف كل شيء؟

- لقد اكتشفتُ ما أرسل السيد رينو في طلبه لاكتشافه.

- وهل تعرف القاتل؟

- أعرف قاتلاً واحداً.

- ماذا تعني؟

- نحن نتحدث في موضوعين متضاربين. لدينا هنا جريمتان لا جريمة واحدة، وقد حللتُ الأولى منهما، أما الثانية... حسناً، سأعترف بأنني لستُ واثقاً بشأنها!

- ولكن حسبك قلتُ إن الرجل الذي كان في السقيفة قد مات ميتة طبيعية؟

أطلق بوارو أصوات نفاد صبره المعتادة وقال: ما زلت لا تفهم

المقصود. يمكن أن تكون لدى المرء جريمة دون قاتل، ولكن من الضروري لحريمتين أن توجد جثتان.

رأيتُ أن ملاحظته كانت تفتقر تماماً إلى الوضوح فنظرتُ إليه ببعض اللهفة، ولكنه بدا طبعياً تماماً. وفحاشة وقف ومشى نحو النافذة ثم قال: ها هو.

- من؟

- السيد جاك رينو. لقد أرسلت له رسالة إلى الفيلا أطلب منه فيها القدوم إلى هنا.

غير ذلك مجرى أفكارى، وسألتُ بوارو إن كان يعلم بأن جاك رينو قد كان في ميرلينفيل ليلة الجريمة. كنت أأمل أن أمسك بصديقي الضيفال الذكي نائماً، ولكنه كان كالعادة يعرف كل شيء، إذ كان قد سأل هو الآخر في المحطة. وقد علق على ذلك قائلاً: ولا شك أننا لم نتفرد بهذه الفكرة يا هيتنغر، فربما أخرى حيرو المعمّاز تحرياته هو الآخر.

- هل تظن... ولكن كلا، فمن شأن ذلك أن يكون فظيماً جداً!

نظر بوارو إليّ متسائلاً، ولكنني لم أقل المزيد. كانت قد عطرت في ذهني لتوها فكرة مفادها أن سبع نساء على علاقة مباشرة أو غير مباشرة بالقضية (وهن السيدة ريتو والسيدة دوريه وابنتها والزائرة الغريبة المجهولة والخادمات الثلاث)، ولكن بالرغم من ذلك فلا يوجد - باستثناء أوغست العجوز الذي لا يكاد يُحسب -

إلا رجل واحد، وهو جاك رينو. ولا بد أن من حفر القبر كان رجلاً! لم يتح لي من الوقت ما أطوّر به الفكرة الفظيعة التي عطرت لي، ذلك أن جاك رينو دخل الغرفة.

حياء بوارو بأسلوب عملي وقال: تفضل بالحلوس يا سيدي. إنني آسف جداً لإزعاجك، ولكن لعلك تفهم أنني لا أجد الكثير من الترحيب في الفيلا؛ فأنا والسيد جيرو لا نرى الأمور من منظور واحد. هولم يكن بالغ التهذيب معي، ولعلك تفهم أنني لا أريد للاكتشافات الصغيرة التي قد أتوصل إليها أن تقيده بأي شكل.

قال الفتى: تماماً يا سيد بوارو. إن ذلك الرجل حيرو قلبي سيء الخلق، وسيسعدني أن أرى أحداً يتغلب عليه.

- هل لي إذن أن أطلب منك معروفاً صغيراً؟

- بالتأكيد.

- سأطلب منك أن تذهب إلى محطة القطار وتستقل قطاراً إلى المحطة التالية على خط السكة، وهي محطة أبالاك. وهناك اسأل في غرفة الودائع إن كان شخصان أحبيبان قد أودعا حقيبة ليلة الجريمة. إنها محطة صغيرة، ولا شك أنهم سيتذكرون. هل لك أن تقوم بذلك؟

قال الفتى وقد احتار في الأمر رغم استعداداه للمهمة: بالطبع.

- إن لدينا - أنا وصديقي - عملاً في مكان آخر. سينطلق قطاراً بعد ربع ساعة، وسأطلب منك ألا تعود إلى الفيلا، إذ لا أريد لحيرو أن يعرف شيئاً عن مهمتك.

- حسناً، سأذهب مباشرة إلى المحطة.

نهض واقفاً، ولكن صوت بوارو أوقفه: دقيقة يا سيد رينو، توجد قضية واحدة صغيرة تحيرني: لماذا لم تذكر للسيد هوتيه هذا الصباح أنك كنت في ميرلينفيل ليلة ارتكاب الجريمة؟

غدا وجه جاك رينو قرمزياً وبذل جهداً ليسيّط على نفسه، ثم قال: لقد أخطأت يا سيد بوارو، فقد كنتُ في تشيربورغ كما أخبرتُ قاضي التحقيق صباح اليوم.

نظر إليه بوارو وقد ضاقت عيناه حتى غدتا كعيني قطرة ولم تعد تظهر منهما إلا التماعة للون الأخضر، ثم قال: إذن فإن الغلطة التي ارتكبتها في هذا الأمر فريدة من نوعها... ذلك لأن موظفي المحطة يشاركونني فيها حيث يقولون إنك وصلت في قطار الثانية عشرة إلا ثلثاً.

تردد جاك رينو للمحطة، ثم حزم أمره وقال: وماذا لو أنني جئت؟ لا أحسب أنك ستتهمني بالمشاركة في قتل والدي؟

طرح سؤاله بشيء من العجرفة وقد ألقى رأسه إلى الخلف، فقال بوارو: أود لو أسمع منك إيضاحاً للسبب الذي جاء بك هنا.

- هذا أمر بسيط للغاية. فقد أتيت لرؤية خطيئتي، الأنسة دوبريه. إذ كنتُ على وشك السفر في رحلة طويلة لا أعلم متى أعود منها، ورغبتُ في رؤيتها قبل سفري لأؤكد لها حيي الذي لن يتغير.

قال بوارو وعيناه لا تفارقان وجه الفتى: وهل رأيتهما؟

مرت فترة صمت طويلة قبل أن يجيب الفتى: نعم.

- وبعد ذلك؟

- وجدتُ أن آخر قطار قد فاتني، فمشيتُ إلى سانت بوفيه، حيث طرقت على باب موقف لسيارات الأجرة وأخذتُ سيارة أقلتني إلى تشيربورغ.

- سانت بوفيه؟ إنها تبعد خمسة عشر كيلومتراً، إنها مسيرة طويلة يا سيد رينو.

- لقد... لقد شعرتُ برغبة في المشي.

أمال بوارو رأسه علامة على أنه تقبل التفسير. أخذ جاك رينو قبضته وعصاه وغادر، وخلال لحظة قفز بوارو واقفاً وقال: بسرعة يا هيستنز، ستعقبه.

مشينا تاركين مسافة آمنة خلف الفتى، وتبعناه في شوارع ميرلينفيل. ولكن عندما شاهده بوارو يتعطف باتجاه المحطة توقف وقال: الأمر على ما يرام. لقد ابتلع الطعم... سيذهب إلى أبالاك، وسيسأل عن الحقيقة الوهمية التي تركها أجنب وهميون. نعم يا صديقي، كان كل ذلك ابتكاراً صغيراً مني أنا.

هتفتُ قائلاً: هل أردتَ إبعاده عن طريقك؟

- إن نفاذ بصيرتك مدعش يا هيستنز! والآن، إذا سمحت، سنذهب إلى فيلا جينييف.

* * *

- بالتأكيد يا سيد بوارو.

ورغم موافقتها إلا أن عينيها بدتا قلقين خائفين.

- هل تذكرين يا آنسة كيف ركضت خلفي على الطريق يوم أن جئت إلى بيتكم مع قاضي التحقيق؟ لقد سألتني إن كان يوجد شك بارتكاب شخص معين للحرمة.

قالت بصوت لاهت وقد امتدت يدها اليسرى إلى صدرها: وأخبرتني أنهما شخصان من تشيلي.

- هل لك أن تسأليني السؤال مرة أخرى يا آنسة؟

- ماذا تعني؟

- أعني ما يلي: لو سألتني ذلك السؤال ثانية لأعطيتك جواباً مختلفاً. يوجد شخص مشكوك فيه... ولكنه ليس تشيلاً.

خرج السؤال ضعيفاً من بين شفيتها المنفرجتين: من؟

- السيد جاك ريتو.

صاحت: ماذا؟ جاك؟ مستحيل. من يجرؤ على الشك به؟

- جيرو.

شحب وجه الفتاة وقالت: جيرو! إنني خائفة من ذلك الرجل، فهو قاسي. إنه سوف... سوف...

ثم سكنت وقد غمر وجهها مزيج من الشجاعة والتصميم.

الفصل الثامن عشر

جيرو يتصرف

بعد وصولنا إلى الفيلا قادني بوارو إلى السقيفة التي اكتشفت فيها جثة الرجل الآخر. ولكنه لم يدخل السقيفة، بل توقف قرب المقعد الخشبي الذي أشرت سابقاً إلى أنه يعد بضعة أمتار عن السقيفة. وبعد أن تأمله للحظات مشى بحذر منه إلى السياج الذي يشكل الحد الفاصل بين فيلا جينييف وفيلا مارغريت. ثم عاد ثانية وهو يومي برأسه. بعد ذلك عاد إلى السياج وباعد بين أغصانه يديه والتفت إليّ قائلاً: بقليل من الحظ ستجد الآنسة مارتا خارجة إلى الحديقة. إنني أرغب بالتحدث معها، وأفضل ألا أزور فيلا مارغريت رسمياً. آه، جيد جداً، ها هي هناك. بسست... يا آنسة! بسست، لحظة من فضلك.

انضممتُ إليه فيما كانت مارتا دوبريه تأتي راكضة إلى السياج استجابة لدائه وقد بدت عليها المفاجأة.

- عندي حديث صغير معك يا آنسة، إذا سمحت؟

أدركتُ في تلك اللحظة أنها كانت مقاتلة. بوارو أيضاً كان يراقبها
عن كثب، وسألها: لعلك تعلمين طبعاً أنه كان هنا ليلة الجريمة؟

أجابته بشكل آلي: نعم، لقد أخبرني.

قال بوارو محازفاً: لم يكن من الحكمة أن يحاول إخفاء هذه
الحقيقة.

أجابته بنفاد صبر: نعم، نعم. ولكننا لا نستطيع إضاعة الوقت
بالأسف. يجب أن نجد شيئاً لإثباته. إنه بريء طبعاً، ولكن ذلك
كله لن ينفعه بوجود رجل مثل جيرو الذي يحرص على سمعته. لا
بد له من أن يعتقل أحداً، وسيكون ذلك هو حاك.

- ستكون الحقائق ضده، هل تدركين ذلك؟

واجهته بحراة وقالت: أنا لست طفلة يا سيد بوارو. يمكنني
أن أكون شجاعة وأواجه الحقائق. إنه بريء، وينبغي أن ننقذه.

تكلمت بنوع من الحيوية الضاربة، ثم سكنت وعيست وهي
تفكر. قال بوارو وهو يراقبها بتركيز: أليس يوجد، يا آنسة، شيء
تخفينه ويمكنك إخبارنا به؟

أومات برأسها حائرة وقالت: نعم، يوجد شيء، ولكنني لا
أكاد أعرف إن كنت متصدقه... فهو يبدو سخيلاً جداً.

- أخبريني به على أية حال يا آنسة.

- إنه التالي: لقد أرسل السيد جيرو في طلبني - استدراكاً
منه - ليرى إن كان بوسعي التعرف إلى الرجل في السقيفة، ولم

أستطع التعرف إليه، أو أنسي لم أستطع ذلك وقتها على الأقل.
ولكنني كنت أفكر منذ ذلك الحين...

- بماذا؟

- يبدو الأمر غريباً جداً، ومع ذلك فإنني أكاد أكون واثقة!
سأخبرك بالأمر: في صباح اليوم الذي قُتل فيه السيد رينو كنت
أمشي في الحديقة هنا، سمعت أصوات رجلين يتشاجران. نَحِيتُ
الأغصان جانباً ونظرتُ من خلالها. كان أحد الرجلين هو السيد
رينو والآخر مشرداً شقيئاً مخيف الشكل، ذو ملابس رثة قديمة.
وكان يتبادل مع السيد رينو الصياح والتهديد وفهمتُ أنه كان يطلب
مالاً، ولكن في تلك اللحظة ناديتُ أمي من البيت، واضطرتُّ
للذهاب. هذا كل ما في الأمر، باستثناء أنني... أكاد أكون واثقة
أن الشقي الذي رأيته هو نفسه الرجل الميت في السقيفة.

أطلق بوارو صيحة عجب وقال: ولكن لماذا لم تقولي ذلك
وقتها يا آنسة؟

- لأنه لم يخطر لي في البداية إلا أن الوجه مألوف لديّ
بطريقة غامضة ما. لقد كان الرجل بملابس مختلفة يبدو واضحاً أنها
تعود لطبقة أعلى من طبقته.

نادى صوت من البيت فهمست مارتا: "هذه أمي، يجب أن
أذهب". ثم اتسلت من بين الأشجار.

أمسك بوارو بذراعي وقادني باتجاه الفيلا قائلاً: هيا.

سألته بشيء من الفضول: ما رأيك؟ أكانت قصتها صحيحة أم

أنها ابتدعتها لكي تبدد الشكوك عن خطيئها؟

- إنها قصة غريبة، ولكنني أصدق أنها حقيقة تامة. وقد أخبرتنا الأنسة بالحقيقة - في غفلة منها - فيما يخص نقطة أخرى... وكشفت دون أن تقصد زيف ادعاء جاك. هل لاحظت تروده عندما سألته إن كان قد رأى مارتا دوبريه ليلة الجريمة؟ نعم، لقد شككت في أنه يكذب، وكان ضرورياً بالنسبة لي أن أرى الأنسة دوبريه قبل أن يحذرهما. لقد أعطتني كلمتان صغيرتان ما كنت أريده من معلومات؛ فعندما سألتها إن كانت تعرف أن جاك كان هنا ليلة الجريمة أجابت: "لقد أخبرني". والآن يا هيسنغز، ما الذي كان يفعله جاك رينو هنا في تلك الليلة المليئة بالأحداث، وإن لم يكن قد رأى الأنسة دوبريه فمن رأى إذن؟

صحتُ مرعوباً: ولكن لا يمكنك بالتأكيد أن تصدق يا بوارو أن صبياً كهذا يمكن أن يقتل أباه!

- يا صديقي، إنك مستمر في عاطفتك الساذجة التي لا تصدق! لقد رأيتُ نساء يقتلن أطفالهن الصغار من أجل أموال التأمين! وبعد هذا يمكن للمرء أن يصدق كل شيء.

- وما هو الدافع؟

- المال بالطبع. تذكر أن جاك رينو كان يحسب أنه سيرث نصف ثروة أبيه عند وفاته.

- ولكن ماذا عن المشرد الشقي؟ أين هو محله في الأمر؟

رفع بوارو كتفيه حيرة وقال: من شأن جيرو أن يقول إنه كان

شريكاً في الجريمة... محرم شقي ساعد الشاب رينو على ارتكاب الجريمة، ثم تم التخلص منه فيما بعد ضماناً لحسن سير الأمور.

- ولكن ماذا عن الشعرة حول الخنجر... شعرة المرأة؟

قال بوارو وهو يتسم ابتسامة عريضة: أه! هذا أهم ما في نكتة جيرو. فبالنسبة له ليست الشعرة شعرة امرأة أبداً. تذكر أن شباب اليوم يمشطون شعرهم إلى الخلف بدءاً من جبينهم مباشرة ويستخدمون لذلك مرهماً أو دهناً لكي يبقى شعرهم ممسوداً. وبالتيجة فإن بعض شعرهم يكون طويلاً تماماً.

- وهل تصدق ذلك أنت أيضاً؟

قال بوارو ابتسامة غريبة: كلا، لأنني أعرف أنها شعرة امرأة... وفوق ذلك فإنني أعرف المرأة!

قلت بتأكيد: السيدة دوبريه.

قال بوارو وهو ينظر إليّ نظرة غريبة: ربما.

لم أسمح لنفسي بأن أنزعج من مناكفته. سألته ونحن ندخل صالة القفلا: ماذا سنفعل الآن؟

- إنني أرغب بتفتيش أغراض السيد جاك رينو، ولذلك اضطررتُ لإبعاده عن الطريق ليضع ساعات.

بدأ بوارو بشكل مرتب ومنهجي بفتح الأدراج واحداً بعد الآخر ليتفحص محتوياته ثم يعيدها كما كانت تماماً، وقد كان ذلك إجراء معيلاً إلى أبعد الحدود. وقد مضى بوارو يبحث في الياقات

وملابس النوم والحوارب. ثم سمعتُ صوتاً في الخارج جعلني أذهب إلى النافذة. وفجأة دبت في الحياة وصحت: بوارو! لقد وصلت سيارة، وفيها جيرو وحاك رينو وشرطيان.

زمر بوارو قائلاً: يا إلهي! ألم يستطع ذلك الحيوان جيرو أن ينتظر؟ لن أستطيع إعادة الأشياء إلى هذا الدرج الأخير بطريقة مرتبة. لنسرع.

الفصل التاسع عشر

إنني أستخدم عقلي

صُغتُ لذلك، فحتى آخر لحظة لم أستطع حمل نفسي على التصديق بأن حاك رينو مذنب. لقد توقعتُ منه إعلاناً ملوياً لبراءته عندما تحداه بوارو، ولكن لم تعد لدي الآن أية شكوك وأنا أراقبه يقف هناك شاحباً مرتعياً على الحائط، وأستمع إلى الإعراف يخرج من بين شفثيه. ولكن بوارو كان قد التفت إلى جيرو وقال: ما هي أسباب اعتقالك له؟

- هل تتوقع مني تقديم تلك الأسباب لك أنت؟

- من باب اللباقة، نعم.

نظر إليه جيرو بارتباب. كان حائراً بين رغبته بالرفض بوقاحة وبين سعادة الانتصار على غريمه. قال أخيراً: لا أحسبك تفلتني ارتكبتُ خطأ؟

قال بوارو بقليل من العكس: ما كان ذلك ليدهشتي.

ثم قام بعدم احتفاء بتفريغ الأغراض على الأرض، وكانت في غالبيتها ربطات عنق ومناديل. وفجأة انقض بوارو بصيحة انتصار على قطعة مربعة من الورق المقوى يبدو أنها كانت صورة. وبعد أن دسها في جيبه أعاد الأشياء كيفما اتفق إلى الدرج، ثم أمسك بئراعي وسحبني خارج الغرفة لتنزل الدرج. وفي الصالة كان يقف جيرو وهو يتأمل سجينه. قال بوارو: مساء الخير يا سيد جيرو. ماذا لدينا هنا؟

أوما جيرو باتحاه حاك وقال: كان يحاول الهرب، ولكنني كنت أذكى من ألعبيه. وقد اعتقل بتهمة قتل والده السيد بول رينو.

استدار بوارو ليوامحه الفتى الذي كان يتكئ مرتعياً على الباب وقد غدا وجهه شاحباً جداً. قال له بوارو: ماذا تقول في ذلك أيها الفتى؟

حلق به حاك رينو بشدة وقال: لا شيء.

• • •

احمر وجهه جيرو أكثر من ذي قبل وقال: حسناً، تعال إلى هنا. سوف تحكم على ذلك بنفسك.

فتح باب الصالة ودخلنا تاركين جاك في عهدة الشرطيين الآخرين. قال جيرو وهو يضع قبعة على الطاولة ويتحدث بكل سخرية: والآن يا سيد بوارو سأدعوك إلى محاضرة صغيرة عن عمل التحري، وسأريك كيف تعمل نحن العصريون.

قال بوارو وهو يهيئ نفسه للاستماع: حسناً، وأنا سأريك الطريقة الرائعة التي يمكن للحرس القديم أن يصغوا بها!

استند إلى ظهر كرسيه وأغمض عينيه، ثم عاد ففتحهما للحظة ليقول: لا تخف من أن أنا، سأصغي بكل جوارحي.

بدأ جيرو يقول: لم يخدعني طبعاً منذ البداية ذلك الهراء عن تشيلي. كان رجلان متورطين في الجريمة... ولكنهما لم يكونا أجنبيين مجهولين! كان كل ذلك تمويهاً.

تمتم بوارو: كلام رائع تماماً حتى الآن يا عزيزي جيرو، خاصة بعد حيلتهما الذكية تلك بعود الثقاب وعقب اللغافة.

حدق به جيرو ثم أكمل قائلاً: لا بد أن رجلاً كان على علاقة بالقضية حتى يحفر القبر. ولا يوجد رجل يستفيد عملياً من الجريمة، ولكن يوجد رجل كان يظن أنه يستفيد. لقد سمعت بمشاجرة جاك رينو مع والده وبالتهديدات التي استخدمها، فقد ثبت الدافع إذن. أما بالنسبة للوسيلة والإمكانية، فقد كان جاك رينو في ميرلينفيل في تلك الليلة، وقد أخفى هذه الحقيقة... مما قلب الشك إلى يقين. ثم

وجدنا قبلاً آخر... وقد طعن بنفس الخنجر. نحن نعرف متى تمت سرقة ذلك الخنجر وبوسع الكاشف هيسنغز هنا أن يحدد الوقت، وذاك رينو الواصل من تشيربورغ هو الوحيد الذي كان بوسعه أن يأخذه، فقد وجدت ما من شأنه استبعاد جميع الآخرين من أهل البيت في عملية سرقة الخنجر.

قال بوارو: أنت مخطئ؛ فشخص آخر كان بوسعه أن يأخذه.

- هل تعني السيد ستونور؟ لقد وصل إلى الباب الأمامي راكباً سيارة ألقته مباشرة من كاليه. آه! صدقتي، لقد بحث في كل الظروف والملاسات. لقد وصل السيد جاك رينو بالقطار، وقد مرت ساعة بين موعد وصول القطار ووقت ظهوره هنا في البيت. لا شك أنه رأى الكاشف هيسنغز وصديقه يغادران السقيفة، فنسل إليها وأخذ الخنجر، وطعن شريكه في الجريمة في السقيفة...

- شريكه الذي كان أصلاً ميتاً

رفع جيرو كتفيه لامبالاة وقال: ربما لم يلاحظ ذلك. ربما ظن أنه نائم فقط. لا شك أنهما كانا على موعد، وقد عرف على أية حال أن هذه الجريمة الثانية ستعقد علينا الموقوف. وقد عقدته بالفعل.

تمتم بوارو: ولكن ذلك لا يمكن أن يخدع السيد جيرو.

- أنهزأ بي! ولكنني سأعطيك إثباتاً أخيراً لا يمكن دحضه. لقد كانت قصة السيدة رينو زائفة... مجرد تلفيق من أولها لآخرها. إننا نتعتقد بأن السيدة رينو كانت تحب زوجها... ومع ذلك فقد كذبت للتستر على قاتله. فمن أجل من يمكن أن تكذب المرأة؟

يمكن أن تكذب أحياناً من أجل نفسها، وعادة ما تكذب من أجل الرجل الذي تحبه، ولكنها دائماً تكذب من أجل أطفالها. هذا هو البرهان الأخير الذي لا يُدحض! لا يمكنك أن تحاولي على ذلك.

سكت جيرو وقد احمر وجهه بنشوة النصر، ونظر إليه بوارو ببات، فقال: هذه هي القضية كما أراها، فماذا تقول فيها؟

- أقول فقط إنك فشلت في أخذ شيء واحد بعين الاعتبار.

- وما هو؟

- يُفترض أن يكون جاك رينو ملماً بكيفية تخطيط ملعب الغولف، وكان من شأنه أن يعرف أن الحصة ستُكشف فوراً عندما يبدأ العمال بالحفر لإقامة تلك الحفرة الاصطناعية في الملعب.

ضحك جيرو بصوت عال وقال: ولكن ما نقوله هنا سخيف! لقد أراد للحنة أن تُكشف! إذ ما كان بمقدوره إعلان الوفاة واستلام نصيبه من التركة إلى أن يتم اكتشاف الحنة.

رأيت التماعه اضطراب سريعة في عيني بوارو وهو يتنهد ليسأل بكل هدوء: إذن لماذا يدفنها؟ فكر يا جيرو. لقد كان من مصلحة جاك أن يتم العثور على الحنة دون تأخير، فلماذا حفر القبر أساساً؟

لم يُجب جيرو، فقد أخذه السؤال على حين غرة. رفع كتفيه كمن يقول إن ذلك لا أهمية له. تحرك بوارو نحو الباب وأنا أتبعه وقال وهو يلتفت إلى صاحبه: أمر آخر فشلت في أخذه باعتبارك.

- وما هو؟

قال بوارو: "قطعة أبواب الرصاص"، ثم غادر الغرفة.

كان جاك رينو ما يزال واقفاً في الصالة بوجهه الشاحب الحائر، ولكنه رفع بصره بحدة عند خروجنا من الغرفة، وفي نفس الوقت سُمع صوت خطوات على الدرج. كانت السيدة رينو تستزل الدرج، وعند رؤيتها لابنها واقفاً بين اثنين من الشرطة الأشداء توقفت كمن شله الرعب وقالت بصوت مُرتعد: جاك، جاك... ما هذا؟

نظر ابنها إليها بوجه عابس وقال: لقد اعتقلوني يا أمي.

- ماذا؟

أطلقت صيحة مدوية وترنحت وسقطت بقوة قبل أن يتمكن أحد من اللحاق بها. ركضنا نحسن الاتنين إليها ورفعناها، وخلال لحظة عاد بوارو للنهوض قائلاً: لقد أصيبت في رأسها إصابة بالغة على حافة الدرج، وأتصور أن غيبوبة خفيفة أصابتها أيضاً. وستعين على جيرو أن ينتظر إن هو أراد سماع أقوالها، فربما بقيت في غيبوبة لفترة أسبوع على الأقل.

فُرعت دينيس وفرانسوا إلى سيدتهما، فتركها بوارو في عهديهما وغادر المنزل. مشى مُطرق الرأس عابساً يفكر، ولم أتكلم لبعض الوقت، ولكنني جازفتُ في النهاية بطرح سؤال عليه: هل تظن إذن -حلقاً لكل المظاهر- أن جاك رينو ربما لا يكون مذنباً؟

لم يحني بوارو فوراً، ولكنه قال بتحهم بعد انتظار طويل: لا أعرف يا هيسستغز... توجد إمكانية لذلك. إن جيرو مخطف تماماً بالطبع، مخطف من البداية للنهاية. وإن كان جاك رينو مذنباً، فسيكون ذلك بالرغم من منطق جيرو، وليس وفقاً لمنطقه. وإن أكبر جرم يدين جاك لا يعرفه أحد غيري.

سألت وقد أثار ذلك اهتمامي: وما هو؟

- لو استخدمت خلايا دماغك الرمادية، ورأيت القضية كلها بوضوح كما أراها، لفهمت ذلك أيضاً يا صديقي.

كان هذا واحداً مما أسميه إجابات بوارو المزعجة. وقد مضى ليقول: دعنا نمشي في هذا الطريق إلى البحر. سوف نجلس على ذلك المرتفع هناك ونراجع القضية. ستعرف كل ما أعرفه، ولكنني أفضل أن تصل إلى الحقيقة بجهودك الخاصة، وليس باقتيادي لك من يدك.

جلسنا على تلك التلة الصغيرة المكسوة بالعشب كما اقترح بوارو في مواجهة البحر، وهناك قال بصوت مُشْتَع: فَكَّرْ يا صديقي، ورتب أفكارك. كن منهجياً مُنظِّماً؛ فهنا يكمن سر النجاح.

سمعتُ لطاعته مستعرضاً في عقلي كل تفاصيل القضية. وفجأةً جفلتُ إذ عطلت للذهني فكرة رهيبة فيما تلقبه من أضواء على القضية، وقد بنيت فرضيتي وأنا أرتعد. قال بوارو: أرى أن لديك فكرة صغيرة يا صديقي! عظيم، إننا نتقدم.

اعتدلت في جلستي وأشعلتُ غلبوني وقلت: يبدو لي يا بوارو أننا كنا مُهمَلين إلى حدٍ غريب، وإنني أقول كنا رغم أن من الأدق أن أقول كنتُ، ولكن ينبغي عليك أن تدفع ثمن تكتملك العبد. ولذلك أقول إننا كنا مُهمَلين جداً. لقد نسيتنا شخصاً مهماً.

قال بوارو بعينين تومضان: ومن هو ذلك الشخص؟

- جورج كونو.

* * *

الفصل العشرون

فرضية مذهشة

انقضى عليّ بوارو مهتأ وقال: أخيراً! لقد وصلت، وبجهدك الخاص فقط. هذا رائع! استمر في محاكمتك العقلية، فأنت على صواب. لقد أخطأنا بالتأكيد إذ نسينا جورج كونو.

وقد بلغ تأثري بإطراء صديقي الضئيل حداً جعلني لا أكاد أستطيع العضي في التركيز. ولكنني استجملتُ أخيراً أفكارني ومضيتُ قائلاً: لقد احتفى جورج كونو منذ عشرين عاماً، ولكن ما من سبب يجعلنا نظن أنه مات.

واقفتي بوارو قائلاً: ما من سبب على الإطلاق... استمر.

- ولذلك فإننا ستفترض أنه على قيد الحياة.

- بالضبط.

- أو أنه كان على قيد الحياة حتى وقت قريب.

- إنك تتقدم من حسن إلى أحسن!

مضيت قاتلاً وقد زادت حماسي: منفترض أنه قد مرّ بأيام عصبية، وأنه أصبح محرماً، شقياً، مشرفاً... سمّه ما شئت. وقد صدف أن جاء إلى ميرلينغيل. وهناك وجد المرأة التي لم يتوقف عن حبها.

حذرني بوارو قاتلاً: إيه، إيه! عدنا إلى العواطف الساذجة.

قلتُ وأنا أقتطف عبارة لا أدري إن كنتُ قد اقتطفتها بالشكل الصحيح: "حيث يكره المرء فإنه يحب أيضاً". وعلى أية حال فقد وجدنا في هذه البلدة تعيش تحت اسم مُستعار. ولكن كان لديها حبيب حديد هو الإنكليزي رينو. وقد تذكر كُونُو ما تعرض له من مظالم في الماضي فذهب وتشاجر مع السيد رينو، ثم كَمَنَ ينتظر غريمه عندما يخرج لزيارتها فطعنه في ظهره. ولما أُرعبه ما فعله بدأ بحفر القبر. ويخيل إليّ أن من الممكن أن تكون السيدة دوبريه قد خرجت لتبحث عن صاحبها، فوجدت كُونُو وتشاجرا بشدة. وقد سحبها إلى السقيفة، وهناك وقع فجأة في نوبة الصرع. والآن لنفترض أن حاك رينو قد ظهر وقتها. وقد أخبرته السيدة دوبريه بالأمر، وبُيَّهته للعواقب الوخيمة على ابنتها إن تم إحياء هذه القضية القديمة. إن قاتل أبيه ميت... فليعملوا ما يوسعهم على إخفاء الموضوع وقلّبه. وقد وافق حاك رينو... فذهب إلى البيت وقابل والدته وكسب موافقتها على وجهة نظره. وبعد أن تسلّحت بالقصة التي أوحى بها السيدة دوبريه، سمحت السيدة رينو بأن تُقَيّد ويُكَمَّم فمها. ما رأيك بهذه الفرضية؟

التكأتُ إلى الخلف وأنا فخور بنجاحي في إعادة بناء القضية،

ولكن بوارو نظر إليّ متأملاً وقال أخيراً: أظن يا صديقي أنك يجب أن تكذب للسنيما.

- ماذا تعني؟

- هذه القصة التي قصتها عليّ تصلح موضوعاً لفيلم سينمائي جيد... ولكنها لا تحمل شيئاً بالحياة الواقعية.

- أعترف بأنني لم أورد كل التفاصيل، ولكن...

- بل لقد ذهبت أبعد من ذلك... لقد تجاهلت التفاصيل على نحو فظيع. ماذا عن شكل ملابس كلا الرجلين؟ هل تقترح أن كُونُو قام -بعد طعن الرجل- بترزع ملابسه وارثداها بنفسه، ثم أعاد الحنجر إلى مكانه؟

قلت بشيء من الحرج: لا أرى أن ذلك مهم كثيراً. ربما كان قد حصل على الملابس والمال من السيدة دوبريه عن طريق التهديد في وقت مبكر من ذلك اليوم.

- بالتهديد...؟ أتطرح هذا الاقتراح جاداً؟

- بالتأكيد. كان يوسعها أن يهددها بكشف هويتها الحقيقية لأسرة رينو، وربما كان من شأن ذلك أن يضع نهاية لكل الآمال بزواج ابنتها.

- أنت مخطئ يا هيسغز. ما كان بمقدوره أن يترها، لأنها هي صاحبة اليد العليا. تذكر أن جورج كُونُو كان ما يزال مطلوباً للشرطة بتهمة القتل، ومن شأن كلمة منها أن تضعه تحت خطر المقتلة.

وحدثني مجبراً على أن أقبل -بردد- صحة هذا الأمر، ولكنني قلتُ بشيء من الحرارة: ونظريتك أنت صحيحة فيما يخص كل تلك التفاصيل، أليس كذلك؟

- إن نظريتي هي الحقيقة، والحقيقة صحيحة بالضرورة. لقد ارتكبت خطأ جوهرياً في نظريتك؛ فقد سمحت لخيالك بأن ينحرف بك لتسهيل لقاءات سرية في وسط الليل ومشاهد حب لاهية. ولكننا -ونحن نحقق في قضية- ينبغي أن نقف على أرض صلبة من الواقع العادي. هل أعرض عليك أمالي؟

- أوه، بالتأكيد. دعنا نسمع عرضك!

انتصب بوارو في جلسته وبدأ مشيراً بسبائه ليؤكد على بعض النقاط: سأبدأ -كما بدأت أنت- من الحقائق الأساسية لجورج كونو. إن القصة التي طرحها السيد بيرولدي في المحكمة بخصوص "الروسيين" كانت تلفيقاً باعترافها. فإذا كانت بريئة من تهمة الموافقة الضمنية على الجريمة، فهذا يعني أنها هي التي لفتت القصة. وبالمقابل إذا لم تكن بريئة فربما تم تلفيق القصة إما من قبلها هي أو من قبل جورج كونو. والآن فإننا نواجه في هذه القضية الشيء نحقق فيها نفس القصة. وكما قلتُ لك، فإن الحقائق تستبعد أن تكون السيدة دوبريه هي التي حرّضت على الجريمة. وهكذا فإننا نعود إلى الفرضية القائلة إن حدوث القصة تكمن في عقل جورج كونو.

عظيم، لقد عطلت جورج كونو للجريمة إذن بوجود السيدة رينو شريكة له. إنها تقف تحت الأضواء، وخلفها شخصية غامضة لا نعرف هويتها الحالية.

والآن دعنا نستعرض بحرص ودقة قضية رينو من البداية، واضعين كل نقطة هامة في تسلسلها الزمني. هل لديك قلم ودفتر ملاحظات؟ جيد. والآن ما هي أول نقطة يمكن تدوينها؟

- الرسالة التي أُرسلت إليك؟

- كانت تلك أول معرفتنا بالقضية، ولكنها ليست البداية الصحيحة للقضية. أظن أن أول نقطة هامة هي التغيير الذي طرأ على السيد رينو بعد وقت قصير من وصوله إلى ميرلنيل، والذي أكدته الكثير من الشهود. كما أن علينا أن نأخذ في الاعتبار صداقته مع السيدة دوبريه، والمبالغ الكبيرة من المال التي دُفعت لها. ومن هناك يمكن لنا أن نأتي مباشرة إلى يوم ٢٣ أيار.

توقف بوارو قليلاً، ثم تحنّح وأشار لي أن أكتب:

٢٣ أيار: السيد رينو يتشاجر مع ابنه حول رغبة الأخير بالزواج بمارتا دوبريه، ويقادر الابن إلى باريس.

٢٤ أيار: يغير السيد رينو وصيته، تاركاً السيطرة الكاملة على ثروته بيد زوجته.

٧ حزيران: مشاجرة مع شقي في الحديقة، بشهادة مارتا دوبريه.

رسالة تُكتب إلى هيركيول بوارو تطلب المساعدة.

برقية تُرسل إلى حاك رينو تطلب منه التوجه إلى بيونوس آميس على متن أنزورا.

يتم إرسال السائق ماسترز في إحاطة.

زيارة لسيدة في تلك الليلة، يقول السيد رينو لدى

توديعها "نعم، نعم... ولكن بالله عليك انزعبي الآن...".

توقف بوارو قليلاً ثم قال: والآن يا هيستغز،خذ كل واحدة من هذه الحقائق على انفراد، وفكر في هذه الحقائق كما هي بحد ذاتها وفي علاقتها بالكل، وانظر إذا ما كان بوسعك الحصول على ضوء جديد على القضية.

سمعتُ جاهدًا أن أفعل كما قال. وبعد لحظات قلت بشيء من الارتباب: بالنسبة للنقاط الأولى يبدو أن السؤال هو ما إذا كنا مستبني نظرية الابتزاز أو نظرية التعلق الشديد بهذه المرأة.

- إنه الابتزاز بالتأكيد. لقد سمعتُ ما قاله ستونور بشأن شخصية السيد رينو وعاداته.

- ولكن السيدة رينو لم تؤكد وجهة نظره.

- لقد رأينا -أصلاً- أن شهادة السيدة رينو لا يمكن الاعتماد عليها بأي شكل. يجب أن ننق بكلام ستونور في هذه النقطة.

- ومع ذلك، إذا كان للسيد رينو علاقة مع امرأة تدعى بيلا، فلا يمكن استبعاد إقامته لعلاقة أخرى مع السيدة دوبريه.

- أؤكد لك يا هيستغز أن الرجل لم تكن له أية علاقة.

- ولكن الرسالة يا بوارو... أنت تنسى الرسالة.

- كلا، إنني لا أنساها. ولكن ما الذي يجعلك تفكر بأن الرسالة قد كُتبت للسيد رينو؟

- ما هذا السؤال؟ لقد وجدت في جيب معطفه، و... و...

- وهذا كل ما في الأمر! لم يُذكر أي اسم ليشير إلى من أرسلت الرسالة، وقد افترضنا أنها أرسلت للفتيل لأنها كانت في جيب معطفه. والآن يا صديقي، لقد لفت انتباهي شيء غريب في ذلك المعطف، وقد قسسته وعلقتُ قائلاً إنه ليس معطفاً طويلاً جداً. كان ينبغي لتلك الملاحظة أن تجعلك تفكر.

اعترفتُ قائلاً: ظننتك تقول ذلك لمجرد قول شيء.

- آه، يا لهذه الفكرة! وقد لاحظتُ فيما بعد وأنا أقيس معطف السيد جاك رينو. إن جاك رينو ليس معطفاً قصيراً جداً. ضِع هاتين الملاحظتين مع الملاحظة الثالثة، وهي أن السيد جاك رينو قد انطلق إلى المحطة بسرعة كبيرة لدى مغادرته إلى باريس، وقبل لي ما الذي تستنتجه من ذلك!

قلت ببطء فيما كان المعنى الذي أراده بوارو يتضح لي: أفهم من هذا أن تلك الرسالة كانت قد كُتبت لجاك رينو... وليس لأبيه. وقد أخذ المعطف الخطأ في غمرة عقله وانفعاله.

أوماً بوارو موافقاً وقال: بالضبط! يمكننا أن نعود لهذه النقطة لاحقاً. يكفينا الآن أن نفتتح بأن الرسالة لا علاقة لها بالسيد رينو الأب، ولنتنقل إلى الحدث التالي في التسلسل الزمني.

قرأتُ من دفتر ملاحظاتي:

- "٢٣ أيار: السيد رينو يتشاجر مع ابنه حول رغبة الأخير بالزواج بعارثا دوبريه. ويغادر الابن إلى باريس". ولا أرى هنا ما

يمكن التعليق عليه، ويبدو تغيير الوصية في اليوم التالي إجراء عادياً.
فقد كان نتيجة مباشرة للمشاجرة.

- نحن متفقان يا صديقي.. بالنسبة للسبب على الأقل. ولكن
ما هو الدافع الدقيق الذي كان خلف تصرف السيد رينو هذا؟
فتحتُ عيني دهشة وقلت: الغضب من ابنه طبعاً.

- ومع ذلك فهو يكتب له رسائل تنضح بالحب إلى باريس.
- هذا ما يقوله جاك رينو، ولكنه لم يستطع إبراز تلك الرسائل.
- حسناً، دعنا نتجاوز هذه النقطة.

- نأتي الآن إلى يوم وقوع المأساة. وقد وضعت أحداث ذلك
الصباح وفق تسلسل معين. هل لديك أي تبرير لذلك؟

- لقد أكدت أن الرسالة التي أرسلت إليّ قد وضعت في
البريد في نفس وقت إرسال البرقية. وقد تم إبلاغ ماسترز بعد ذلك
مباشرة بأن بوسعه أخذ إجازة. وبرأيي أن المشاجرة مع المشرد
الشرقي قد حدثت قبل وقوع هذه الأحداث.

- لا أرى أن بإمكانك أن تحدد ذلك بدقة ما لم تحقق مع
السيدة دوبريه ثانية.

- لا حاجة لذلك، فأنا متأكد من الأمر. وإن كنت لا ترى
ذلك فأنت لا ترى شيئاً يا هيستغرا!

تفطرتُ إليه لحظة ثم قلت: بالطبع! يا لي من مغفل. إذا كان

المشرد هو جورج كونو، فإن السيد رينو لم يشعر بشدة الخطر إلا
بعد مقابلته معه. وقد أهد السائق ماسترز الذي كان يشك أنه يتلقى
رشاوى من كونو، ثم أبرق لابنه وأرسل الرسالة لك.

ارتسعت ابتسامة خافتة على شفتي بوارو وقال: ألا ترى غرابة
في أن تستخدم السيدة رينو نفس كلماته بالضبط في نهاية قصتها؟
إن كان ذكر سانتياغو مجرد غطاء للتمويه فلماذا يتحدث عنه رينو،
بل ولماذا يُرسل ابنه إلى هناك؟

- أعترف أن ذلك أمر محير، ولكن ربما وجدنا تفسيراً لذلك
لاحقاً. والآن نأتي إلى المساء وزيارة تلك السيدة الغامضة. إنني
أعترف بأن ذلك يثيرني فعلاً، إلا إذا كانت تلك السيدة هي السيدة
دوبريه كما أصرت فرائسوا على القول طوال الوقت.

هز بوارو رأسه بالنفي وقال: يا صديقي، يا صديقي... أين
تسبح ملكاتك الذهنية؟ تذكر قصاصة الشيك تلك، وحقيقة أن اسم
بيلا دوفين كان مألوفاً نوعاً ما بالنسبة إلى مستونور، وأحسب أن
إمكاناتنا أن نُسلم بأن بيلا دوفين هو الاسم الكامل لصديقة جاك
رينو التي أرسلت له تلك الرسالة، وأنها هي التي أتت إلى الفيلا في
تلك الليلة. ولا نستطيع الحزم فيما إذا كانت قد جاءت لرؤية جاك،
أو أنها قصدت أسماً اللجوء إلى والده. ولكنني أحسب أن بوسعنا
الاقتراض بأن هذا هو ما حدث. وقد أبرزت للسيد رينو مطالبها من
جاك، وربما أرتته الرسائل التي بعثها إليها، فحاول الرجل شراء
سكوتهما بكتابة شيك لها. وقد قامت بتزويق ذلك الشيك بغضب،
إذ أن عبارات رسالتها تدل على امرأة تحب بصدق، ومن شأنها أن
تسخط أشد السخط إذا ما عُرض عليها المال. وفي النهاية تخلص

السيد ريتو منها، وهنا فإن الكلمات التي استخدمها مهمة.

كررتُ قائلاً: "نعم، نعم... ولكن بالله عليك اذهبي الآن".
يبدو لي كلمات متفعلة مُلحّة، هذا كل ما في الأمر.

- وهذا يكفي. لقد كان حريصاً أشد الحرص على ذهاب الفتاة. لماذا؟ ليس لأن اللقاء كان كريهاً. كلا، ولكن الوقت كان بحري، وليسب من الأسباب كان الوقت ثميناً.

سألت مندهشاً: ولماذا يكون ثميناً؟

- هذا ما نسأل أنفسنا عنه: لماذا يكون ثميناً؟ ولكن لدينا لاحقاً مسألة الساعة المشهمة... وهي تظهر أيضاً أن الوقت يلعب دوراً هاماً في الجريمة. إننا نقرب الآن بسرعة من الدراما الفعلية. كانت الساعة العاشرة والنصف عندما غادرت بيلا دوفين، ونحن نعرف من خلال دليل الساعة المحطمة بأن الجريمة قد ارتكبت - أو تم تمثيلها على أية حال - قبل الساعة الثانية عشرة. لقد استعرضنا كل الأحداث التي سبقت الجريمة، وبقي حدث واحد لم يوضع في موضعه الصحيح. تقول شهادة الطبيب إن المشرّد الشقي عندما عُثر عليه كانت قد مضت على وفاته ثمان وأربعون ساعة على الأقل... مع إمكانية إضافة أربع وعشرين ساعة أخرى فوق ذلك. والآن، مع عدم وجود حقائق أخرى تساعدني غير التي ناقشناها فإنني أزعم بأن الوفاة قد حدثت صباح يوم السابع من حزيران.

حدثتُ به مصعوقاً وقلت: ولكن كيف؟ لماذا؟ كيف لك أن تعرف؟

- لأن تسلسل الأحداث لا يمكن أن يُفسّر منطقياً إلا بهذا

الشكل. يا صديقي، لقد أخذتك خطوة خطوة على هذا الطريق. ألا ترى ما هو واضح بفقاً العين؟

- يا عزيزي بوارو، إنني لا أرى ما يفقاً العين في هذا الأمر. لقد ظننتُ فعلاً أنني بدأت رؤية طريقي من قبل، ولكنني الآن في أشد الحيرة. استمر بالله عليك وقل لي من الذي قتل السيد ريتو.

- هذا بالضبط ما لستُ واثقاً منه بعد.

- ولكنك قلت إنه واضح بفقاً العين!

- إننا نتحدث عن أمرين مختلفين يا صديقي. تذكرُ أننا نحقق في جريمتين نملك لهما - كما أشرتُ من قبل - الحتين الضروريين. لا تفقد صبرك يا صديقي، سأشرح كل شيء. بداية دعنا نستخدم علم النفس: لقد وجدنا ثلاث نقاط أظهر فيها السيد ريتو تغيراً واضحاً في وجهات نظره وتصرفاته... ولذلك فإن لدينا ثلاث نقاط سيكولوجية. وقعت الأولى بعد وصوله إلى ميرلينغيل مباشرة، والثانية بعد مشاجرته مع ابنه حول موضوع معين، والثالثة في صباح يوم ٧ حزيران. والآن لنذكر الأسباب الثلاثة لذلك. يمكن لنا أن نعرّف التغير رقم ١ إلى لقائه بالسيدة دوريه. والتغير رقم ٢ مرتبط بها أيضاً بشكل غير مباشر، إذ أنه يخص زواجاً بين ابن السيد ريتو وابنتها. ولكن سيب رقم ٣ مخفي عنا.. علينا أن نستنتج. والآن يا صديقي، دعني أسألك سؤالاً: من الذي نعتقد أنه قد خطط لهذه الجريمة؟

قلت بارتباب وأنا أنظر إلى بوارو باحتراس: جورج كونو.

- بالضبط. والآن فإن جبرو قد طرح مبدأ عاماً يقول إن المرأة

تكذب أولاً لإنقاذ نفسها، وثانياً لإنقاذ الرجل الذي تحبه، وثالثاً لإنقاذ ابنها. وطالما أننا مقتنعان بأن جورج كونو هو الذي لقنها الكذبة، وطالما أن جورج كونو ليس ابنها، فبوسعنا استبعاد الحالة الثالثة. ومع ذلك فإذا ما عرّونا الجريمة لجورج كونو فإن الحالة الأولى أيضاً لا معنى لها. وهكذا فإننا مضطرون للعودة إلى الحالة الثانية، وهي أن السيدة رينو قد كذبت من أجل الرجل الذي تحبه... أو بكلمة أخرى من أجل جورج كونو. هل توافقني على ذلك؟ اعترفت قائلاً: نعم، يبدو هذا منطقياً تماماً.

- حسناً! السيدة رينو تحب إذن جورج كونو. من هو جورج كونو؟

- المشرّد الشقي.

- هل لدينا أي دليل يثبت أن السيدة رينو أحبت المشرّد؟

- كلا، ولكن...

- حسناً إذن. دعك من النظريات التي لا تدعمها الحقائق، وبدلاً من ذلك اسأل نفسك من الذي أحبه السيدة رينو فعلاً؟

هزئت رأسي حيرة، فقال بوارو: نعم، هيا. إنك تعرف ذلك تمام المعرفة. من الذي أحبه السيدة رينو إلى الحد الذي جعلها تسقط مغشياً عليها عندما رأت حثته؟

حدقتُ به مصعوقاً وقلتُ لاهناً: زوجها؟

أوما بوارو وقال: زوجها، أو جورج كونو، كيفما أردت تسميته.

استجمعتُ قواي وقلت: ولكن ذلك مستحيل.

- لماذا "مستحيل"؟ ألم تتفق لتونا على أن السيدة دوبريه في موقع يسمح لها بانتزاز السيد جورج كونو؟

- نعم، ولكن...

- ألم تقم بانتزاز السيد رينو بكل نجاح؟

- ربما كان ذلك صحيحاً، ولكن...

- أليس حقيقة أننا لا نعرف شيئاً عن شباب ونشأة السيد رينو؟ وأنه ظهر فجأةً للوجود باعتباره من فرنسي كندي قبل عشرين عاماً بالضبط؟

قلتُ بمزيد من الثبات: كل هذا صحيح، ولكن يبدو أنك تتجاوز نقطة بارزة واحدة.

- وما هي يا صديقي؟

- لقد اتفقنا على أن جورج كونو قد خططت للحريمة. وهذا يقودنا إلى فرضية سخيفة، هي أنه قد خطط لمقتله الخاص!

قال بوارو بهدوء: حسناً يا صديقي، هذا بالضبط ما فعله!

• • •

الفصل الحادي والعشرون

بوارو يتحدث عن القضية

وبصوت محسوب بدأ بوارو عرضه:

- أبدو لك غريباً يا صديقي أن يخطط رجل لمقننه؟ وهل ترى ذلك غريباً إلى الحد الذي يجعلك ترفض الفكرة باعتبارها خيالية، وتلجأ إلى قصة هي في الحقيقة أكثر استحالة بعشر مرات. نعم، لقد خطط السيد رينو لموته، ولكن يبدو أن نقطة صغيرة واحدة قد فانتك... فهو لم يقصد أن يموت.

هزئت رأسي مشدوهاً فقال بوارو بلطف: نعم يا صديقي، الأمر كله في غاية البساطة. ذلك أن الجريمة التي خطط لها السيد رينو لم تكن بحاجة إلى قاتل، كما قلت لك، ولكن كانت بحاجة إلى جثة. دعنا نبدأ ببناء القضية برؤية الأحداث من زاوية مختلفة هذه المرة.

لقد هرب جورج كونو من العدالة... إلى كندا. وهناك تزوج تحت اسم مستعار، وحصل في النهاية على ثروة ضخمة في أمريكا

الجنوبية، ولكنه كان يشعر بالحنين إلى وطنه. لقد مرت عشرين سنة، وقد تغير شكله تغيراً كبيراً، إلى جانب كونه رجلاً بارزاً إلى الحد الذي لا يجعل أحداً يشك في أنه هارب قديم من وجه العدالة. وقد قدر أن عودته ستكون آمنة تماماً، ولذلك فقد جعل مقره في إنكلترا، على أن يقضي مواسم الصيف في فرنسا. وقد قادته حفته العائر إلى ميرلينيل، أو لنقل أن ما قاده إليها هو تلك العدالة الإلهية التي تصوغ مقادير البشر ولا تسمح لهم بتفادي عواقب أفعالهم. وهناك في ميرلينيل -من بين كل المدن والمناطق الفرنسية- كان الشخص الوحيد الذي يستطيع التعرف إليه. وقد كان ذلك طبعاً بمثابة الدجاجة التي تبيض ذهباً بالنسبة للسيدة دوريه، وهي فرصة لا يمكن للسيدة أن تتلصقاً في اغتنامها. وبذلك أصبح الرجل بالساء، واقعاً تحت سيطرتها تماماً. وقد ابتزته إلى أبعد الحدود.

بعد ذلك حدث المصنوم. فقد وقع جاك رينو في حب الفتاة الجميلة التي يكاد يراها يومياً، ورغب في الزواج منها. وتعين على السيد رينو أن يمنع ابنه من الزواج بابتنة هذه المرأة الشريرة مهما كلف الأمر. ولم يكن جاك رينو يعلم شيئاً عن ماضي أبيه، ولكن السيدة رينو تعلم كل شيء. وهي امرأة ذات شخصية قوية جداً، وهي مخلصه لزوجها أشد الإخلاص. وهكذا فقد تشاورا معاً، ورأى رينو طريقة واحدة للنجاح: الموت. يحب أن يظهر بأنه مات، بينما يهرب في الحقيقة إلى بلد آخر حيث سيبدأ حياة جديدة تحت اسم مستعار، حيث يمكن للسيدة رينو -بعد أن تلعب دور الأرملة لفترة ما- أن تلحق به. ولذلك فمن الضروري جداً أن يكون المال تحت سيطرتها هي، ولذلك غير وصيته. لا أدري كيف خطط لتدبير أمر

الحنة في بادئ الأمر... ربما عن طريق هيكمل عظمي من تلك الهياكل التي يترن علىها طلبة الفن أو الطب، مع إشعال حريق... شيء من هذا القبيل، ولكن قبل أن تنضج خطتهما بوقت طويل وقع حادث جاء لفائدتهما. فقد دخل الحديقة مشرداً شقي جلف يتصف بالعنف. وقد حدث شجار، وأراد رينو طرده، وفحاة وقع الشقي المصاب بالصرع في واحدة من توباته، فمات بها. وقد استدعى رينو زوجته، وسحياه معاً إلى السقيفة - ونحن نعرف أن الأمر وقع على هذا النحو من الآثار خارج السقيفة - وأدرك الاثنان الفرصة الفريدة التي منحت لهما. لم يكن الرجل يشبه رينو، ولكنه كان في أوسط عمره وذا سمع فرنسي، وهذا كافٍ.

إنني أكاد أتخيل أنهما جلسا على ذلك المقعد الخشبي هناك، بعيداً عن آذان من في البيت يناقشان الأمور، وتم وضع خطتهما بسرعة. يجب أن يتم التعرف إلى الحنة من قبل السيدة رينو وحدها، ولذلك ينبغي إبعاد جاك رينو والسائق (الذي قضى مع السيد رينو ستين). لم يكن من المحتمل أن تقترب الخادومات الفرنسيات من الحنة، وعلى أية حال فقد أراد رينو اتخاذ إجراءات تكفل خداع أي امرئ لا ينتبه كثيراً للتفاصيل. وهكذا تم إرسال السائق ماسترز، وإرسال برقية إلى جاك تحدد له يونس أيريس هدفاً لرحلته، وذلك لتعطي مصداقية للقصة التي أراد رينو ترويجه. وبما أنه كان قد سمع بي باعتباري رجل تحرر عجزاً غامضاً بعض الشيء، فقد كتب إلي طالباً المساعدة، وهو يعرف أن إظهاره للرسالة عندما أصل سيكون له تأثير عميق على قاضي التحقيق... وهو ما حدث بالفعل.

قام الاثنان بتليس حنة الشقي بدلة من بدلات رينو، وتركنا

معطفه وبنطاله الباليين في صرة عند باب السقيفة إذ لم يجرؤا على أخذهما إلى البيت. ثم قاما بغرس الخنجر في قلبه لإعطاء مصداقية للقصة التي سترويها السيدة رينو لاحقاً. وكان مقرر أن يقوم السيد رينو في تلك الليلة بتقييد زوجته أولاً، ثم بأخذ رفش والتزول لحفر قبر في تلك البقعة بعينها التي يعرف السيد رينو أن حفرة اصطناعية ستحفر فيها لأغراض ملعب الغولف. ذلك أن من الضروري العثور على الحنة... إذ لا ينبغي أن تراود السيدة دوبريه أية شكوك. ومن ناحية أخرى، فإذا ما تم مرور بعض الوقت فإن مخاطر التعرف إلى الحنة ستكون أقل. بعد ذلك سيعمد رينو إلى ارتداء ملابس الشقي البالية والإسراع إلى المحطة، حيث يغادر في قطار الثانية عشرة وعشر دقائق دون أن يلاحظه أحد. وبما أن الجريمة سيُفترض أنها حدثت بعد ساعتين من ذلك، فلا يمكن أن تحوم أية شكوك حوله.

وبذلك يمكنك أن تفهم سبب انزعاجه للزيارة غير المناسبة لتلك الفتاة بلاء؛ فقد كانت أية دقيقة تأخير شديدة الخطورة على خططه. لقد تخلص منها بأسرع ما يستطيع. وبعد ذلك، إلى العمل! ترك الباب الأمامي مفتوحاً قليلاً ليرك انطباعاً بأن القتل فروعاً من ذلك الباب، ثم أوثق وكمم السيدة رينو، مُصححاً الخطأ الذي ارتكبه قبل اثنتين وعشرين سنة عندما أثار ارتعاش الجبال الشكوك في شريكته بالحريمة، ولكنه أعطاها نفس القصة التي ابتكرها قبل عشرين عاماً، ليثبت بذلك الارتداد اللا شعوري للعقل إلى النمطية وانقاره إلى الإبداع. كانت الليلة باردة، وقد ارتدى على عجل معطفاً فوق ملابسه الداخلية بهدف إلقائه لاحقاً في القبر مع الحنة. ثم خرج من النافذة، وحرص على تسوية التربة خلفه، مقدماً بذلك

أقوى دليل ضده. ثم خرج إلى ملعب الغولف الموحش، وبدأ الحفر... وعندها...

- نعم؟

قال بوارو بتجهم: وعندها داهمت العدالة التي هرب منها كل هذه السنين؛ فقد طعته يد مجهولة في ظهره... والآن فإنك تفهم يا هيتز ما الذي أعنيه عندما أتحدث عن جريمتين. إن الجريمة الأولى، الجريمة التي طلب منا السيد ريتو بتعنيته أن نحقق فيها قد حُلَّت. ولكن يكمن خلفها لغز أشد عمقاً، وسيكون من الصعب حل ذلك اللغز... ذلك أن المحرم -بحكمته- قد اكتفى بالاستفادة من الوسائل التي أعدها ريتو. لقد كان حل هذا اللغز أمراً محيراً معقداً إلى أبعد الحدود.

قلتُ بإعجاب: إنك رائع يا بوارو... رائع جداً! ما كان لأحد غيرك أبداً أن يحل هذا اللغز!

أظن أن إطرأتي قد سره، فقد بدا مُرحباً لأول مرة في حياته. ثم قال محاولاً -دون نجاح- إظهار التواضع: يا لذلك المسكين حيروا! لا شك أن الأمر لم يكن غباء كله، فقد أصابه سوء الحظ مرة أو اثنتين. تلك الشعرة الملتفة على قبضة الخنجر مثلاً. أقلُّ ما يقال عنها إنها كانت مضللة.

قلتُ بتمهل: الحقيقة يا بوارو أنني حتى الآن لا أستطيع أن أفهم... لمن كانت تلك الشعرة؟

- للسيدة ريتو بالطبع، وهنا جاء دور سوء الحظ. إن شعرها

الأسود أساساً قد غدا فضيّاً بمعظمه من الشيب، وكان الأرجح كثيراً أن تكون الشعرة رمادية... وعندها ما كان حيرو ليذل كل هذا الجهد ليقنع نفسه بأنها جاءت من رأس جاك ريتو! ولكنها نفس الغلظة دائماً. إذ تُقلب دوماً أعناق الحقائق حتى تناسب النظرية المُسبقة! لا شك أن السيدة ريتو مستكلم عندما تعود إلى وعيها. إن مسألة اتهام ابنها بالحريمة احتمال لم يخطر في بالها أبداً. وكيف يخطر لها ذلك وهي التي ظنت أنه مُبحر بأمان على متن السفينة أنزورا؟ آه، يا لها من امرأة يا هيتز! يا لقوتها ورباطة جأشها! لم تصدر عنها سوى زلة لسان واحدة، فعند عودة ابنها غير المتوقعه قالت: "لا بهم ذلك... الآن". ولم يلاحظ أحد... لم يلاحظ أحد أهمية تلك الكلمات. يا للدور الفظيع الذي كان عليها أن تلعبه المسكينة. تخيل مقدار الصدمة عندما ذهبت للتعرف إلى الحثة، وبذل أن ترى ما كانت تتوقعه رأت الحثة الفعلية لزوجها الذي ظنت أنه على بعد أميال وقتها. لا عجب أن يغنى عليها! ولكن منذ ذلك الحين لعبت دورها بكل تصميم، رغم ألمها وبأسها، ورغم العذاب الذي يعصر قلبها دون شك. إنها لا تستطيع قول كلمة واحد تضعنا على الطريق الصحيح لاكتشاف القتل؛ فمن أجل ابنها يحب ألا يعلم أحد أن بول ريتو كان هو المحرم جورج كونو. وكانت الضربة الأخيرة والأقسى هي اعترافها على الملأ بأن السيدة دوبريه كانت عشيقته زوجها... ذلك أن أية إشارة إلى مسألة ابتزاز من شأنها أن تدمر سرها كله. انظر كيف تعاملت بذكاء بالغ مع قاضي التحقيق عندما سألها إن كان في حياة زوجها الماضية أي لغز، فقد قالت: "إنني وثقة من عدم وجود شيء رومانسي كهذا يا سيدي". كانت جملة في غاية المبراعة، بنيرتها الحنونة، ومسحة

السخرية الحزينة فيها. وقد شعر السيد موتيه فوراً بأنه أحمق يميل إلى الميلودرامية. نعم، إنها امرأة عظيمة! إذا ما أحببت محرماً أحبته بإخلاص!

ثم غرق بوارو في تأملاته، فقلت: بقي أمر واحد فقط بها بوارو، ما شأن قطعة أنبوب الرصاص؟

- ألم تفهمها؟ كان القصد أن تُستخدم في تشويه وجه الضحية بحيث يصعب التعرف إلى هويته. كانت تلك القطعة هي التي وضعتني على بداية الطريق الصحيح، وذلك الأحمق جيري، يزحف ويحوم حولها بحثاً عن بقايا أعواد الثقاب! ألم أقل لك أن الأهمية لا تتعلق بكبر حجم الدليل أو صغره؟ أترى يا هينستز، ينبغي أن تبدأ الآن من جديد: من الذي قتل السيد رينو؟ إنه شخص كان قريباً من الفيلا قبل الساعة الثانية عشرة من تلك الليلة، وهو شخص من شأنه الاستفادة من موته... وهذا الوصف ينطبق على جاك رينو كثيراً، وليس بالضرورة أن تكون الجريمة عن سابق تصور وإعداد. ولدينا الخنجر أيضاً!

حدثتُ به، إذ لم أكن قد فطنتُ لتلك النقطة، ولذلك قلت: بالطبع، لقد كان خنجر السيدة رينو هو الخنجر الثاني الذي وجدناه في حنة المتشرد. أ يوجد إذن خنجران بالفعل؟

- بالتأكيد. وبما أنهما كانا نسختين متطابقتين فمن المنطقي أن يكون جاك رينو هو مالكهما. ولكن ذلك لا يحيرني كثيراً، والحقيقة أن لدي فكرة صغيرة بالنسبة لهذا الأمر. كلا، إن أسوأ إدانة ضد جاك رينو هي بالأسلحة ذات منحنى سيكولوجي... إنها

الورثة يا صديقي، الورثة! ألا يُقال إن من شابه أباه فما ظلم؟ إن جاك رينو هو -في نهاية المطاف- ابن جورج كونو.

كانت تيرته حذبة متجهمة، وقد تأثرتُ بها رغماً عني. سألتُه: ما تلك الفكرة الصغيرة التي أشرتُ إليها قبل قليل؟

وبدلاً من الإجابة أخرج بوارو ساعته الضخمة فنظر إليها ثم سألتني: متى ينطلق قارب بعد الظهر من كاليه؟

- أحسبه يغادر في حوالي الخامسة.

- سيكون ذلك مناسباً تماماً... سيكون لدينا وقت كافٍ.

- آمنت ذاهب إلى إنكلترا؟

- نعم يا صديقي.

- لماذا؟

- لأعثر على... شاهدٍ مُحتمَل.

- من؟

أجاب بوارو بإبتسامة غريبة ترسم على وجهه: الآنسة ييلا دوفين.

- ولكن كيف ستجدها... ماذا تعرف عنها؟

- لا أعرف شيئاً عنها... ولكنني أستطيع تخمين الكثير. يمكننا أن نُسلمَ حدلاً بأن اسمها هو ييلا دوفين بالفعل، وبما أن ذلك الاسم كان مألوفاً لبعض الشيء للسيد ستونور -رغم أن

الواضح أنه لم يكن مألوفاً باعتباره ذا صلة بأسرة رينو- فإن من المحتمل أن تكون الفتاة من العاملات في المسرح. لقد كان جاك رينو شاباً في العشرين من عمره وتحت تصرفه الكثير من المال. من المؤكد أن المسرح هو مجال حياته الأولى، وهذا ينسجم أيضاً مع محاولة السيد رينو تهدئتها بكتابة شيك لها. أفلتني سأجدها بالتأكيد... خاصة بمساعدة هذه.

ثم أخرج الصورة التي كنت قد رأيته بأعلىها من درج جاك رينو، وكان مكتوباً في زاويتها: "مع الحب من بيلا"، ولكن ذلك لم يكن الأمر الذي جعل عيني تتعلقان بالصورة كالمسحور. لم يكن الشبه كبيراً فحسب... بل لم يكن للخطأ فيه مجال. شعرت ببرودة تسري في جسمي وأحسست كأن صاعقة قد نزلت بي.

كان ذلك وجه سندريلا.

الفصل الثاني والعشرون

لقد وجدت الحب

جلست لدقيقة أو اثنتين كما لو كنت متحمداً، والصورة ما تزال في يدي، ثم استجمعت كل قواي لكي أبدو غير متأثر وأعدت الصورة لبوارو. وفي نفس الوقت استرقت نظرة عجلي عليه... هل لاحظت أي شيء؟ استرحت إذ بدا لي أنه لا يراقبني! لقد فاته بالتأكيد أي مؤشر غير طبعي في سلوكي.

نهضت وفقاً بخفة وقال: ليس لدينا وقت نضيقه، يجب أن نغادر بكل سرعة. كل شيء على ما يرام... سيكون البحر هادئاً!

وفي غمرة استعجالنا في المغادرة لم يتبع لي الوقت للتفكير، ولكن ما أن أصبحت على متن المركب بعيداً عن ملاحظة بوارو حتى استجمعت شتات نفسي وبدأت أدرس الحقائق بكل تجرد. إلى أي مدى كان بوارو يعرف؟ ولماذا هو حريص على العثور على هذه الفتاة؟ هل يشك بأنها شاهدت جاك رينو وهو يرتكب الجريمة؟ أم أنه يشك... ولكن ذلك مستحيل! فلم تكن لدى الفتاة

ضغينة على رينو الأب، وما من دافع ممكن يجعلها تمنى له الموت. ما الذي جعلها تعود إلى مسرح الجريمة؟ استرجعت الحقائق بدقة. لا بد أنها تركت القطار في كاليه عندما افترقنا في ذلك اليوم، ولا عجب - إذن - أنني لم أستطع العثور عليها في المركب. فإذ كانت قد تغدّت في كاليه ثم استقلت القطار إلى ميرلينفيل، لكان من شأنها أن تصل إلى فيلا جينيفيف في نفس الوقت الذي ذكرته فرانسوا تقريباً موعداً لحضور الزائرة للسيد رينو. ما الذي فعلته بعد مغادرتها المنزل بعد الساعة العاشرة؟ إنّا أنها ذهبت إلى فندق أو أنها عادت إلى كاليه. وبعدها؟ لقد ارتكبت الجريمة ليلة الثلاثاء، وفي صباح الخميس كانت قد عادت مجدداً إلى ميرلينفيل. هل غادرت فرنسا قط؟ شككتُ في ذلك كثيراً. ما الذي أبقاها هناك... أهو الأمل برؤية جاك رينو؟ كنتُ قد قلتُ لها (كما كنا نظن وقتها) إن جاك رينو موجود في أعالي البحار في طريقه إلى بيونوس أيريس. ربما كانت تعرف أن السفينة أنزورا لم تبحر، ولكن حتى تعرف ذلك لا بد أنها رأت جاك رينو. أكان ذلك ما يسمى إليه بوارو؟ هل حصل لجاك رينو العائد لرؤية مارتا دوبريه أن وجد نفسه بدل ذلك وجهاً لوجه مع بيلا دوفين، الفتاة التي رماها دون رحمة؟

بدأت الحقائق تتضح لي. إن كانت القضية فعلاً على ذلك النحو فإن ذلك يزود جاك رينو بحجة الغياب عن مسرح الجريمة، تلك الحجة التي يحتاجها كثيراً. ومع ذلك فقد بدا من الصعب في ظل تلك الظروف تفسير صمته. لماذا لم يتكلم بحجراً؟ هل عشي أن تصل أنباء علاقته السابقة تلك إلى أسماع مارتا دوبريه؟ هزرتُ رأسي غير مقتنع بذلك؛ إذ لم تبدُ تلك العلاقة مسألة بالغة الخطورة،

بل هي مجرد عبث شاب وفتاة، وفكرتُ - مُشككاً بالطبيعة البشرية - بأن فتاة فرنسية مقلسة ليس من شأنها أن ترمي بابتليونير تحبه دون وجود سبب أخطر بكثير.

عاد بوارو إلى الظهور لدى وصولنا ميناء دوفر وهو نشيط متسم، ومرت رحلتنا إلى لندن دون أحداث تُذكر، وكانت الساعة قد تجاوزت التاسعة ليلاً عندما وصلنا، وافترضتُ أننا ستعود مباشرة إلى بيتا ولا تفعل شيئاً حتى الصباح. ولكن كانت لبوارو خطط أخرى.

- يجب ألا نضيع وقتاً يا صديقي. إن خير الاعتقال لن يُنشر في الصحف البريطانية حتى بعد غد، ولكن مع ذلك علينا ألا نضيع وقتاً.

لم أستطع فهم طريقة تفكيره تماماً، ولكنني اكتفيت بأن سأله عن الكيفية التي ينوي من خلالها العثور على الفتاة فقال: أتذكر الوكيل المسرحي جوزيف أهارون؟ كلا؟ لقد ساعدته في قضية صغيرة تخص مصارعاً يابانياً. كانت قضية صغيرة ممتعة، لا بد أن أقصها عليك ذات يوم. سيكون بمقدوره - دون شك - أن يساعدنا في العثور على ما نبتغيه.

وقد تطلب منا العثور على السيد أهارون الكثير من الوقت، بحيث كان الليل قد انتصف عندما استطعنا أخيراً رؤيته. وقد حيا بوارو بكل حرارة، وأعلن كامل استعداده لخدمتنا بأية طريقة. قال وهو يتشم بمودة: ليس يوجد الكثير في هذه المهنة مما لا أعرفه.

- حسناً يا سيد أهارون، إنني أرغب بالعثور على فتاة تُدعى بيلا دوفين.

- بيلا دوفين؟ أعرف الاسم، ولكنني لا أستطيع تذكر صاحبه الآن. ما هي طبيعة عملها؟

- هذا ما لا أعرفه... ولكن ها هي صورتها.

درس السيد أهارون الصورة للحفظات، ثم تهلل وجهه وضرب على فخذه بيده قائلاً: عرفتُها! إنها من فرقة "أطفال دولتشيبلا" دون شك.

- "أطفال دولتشيبلا"؟

- نعم، إنهما شقيقتان.. ترقصان وتغنيان وتقومان بالألعاب بهلوانية. لقد قدمتا فقرات ناجحة تماماً. أظن أنهما في مكان ما في المحافظات إن لم تكونا في فترة راحة. لقد كانتا تقدمان عروضهما في باريس في الأسابيع الأخيرة.

- هل تستطيع أن تحد لي مكانهما بالضبط؟

- هذا سهل جداً. اذهب أنت إلى بيتك، وسأرسل لك الخبر صباحاً.

بهذا الوعد غادرناه. وقد أثبت أنه عند كلمته، ففي حوالي الحادية عشرة من صباح اليوم التالي وصلتنا رسالة مكتوبة على عجل: "الأختان دولتشيبلا تقدمان عروضهما في القصر في كوفتري. حفلاً سعيداً لكما".

انطلقنا قاصدين كوفتري دون إضاعة وقت. ولم يبق بوارو بأية استفسارات في المسرح، بل اكتفى بحجز مقصورتين لمشاهدة

استعراض المنوعات في تلك الليلة.

كان العرض مملاً بشكل لا يوصف... أو ربما كان مزاحياً هو الذي جعله يبدو كذلك؛ فقد تضمن فرقة يابانية يحاول أفرادها موازنة أنفسهم دون كبير نجاح، ورجلاً يرتدون بدلات مبهرة خضراء اللون ويهذبون بكلام المجتمع الراقي بسرعة لدى تقديم فقراتهم، وكبيرة المغنيات السمينة تغني بأعلى نبرة يمكن لإنسان إطلاقها، وممثلاً كوميدياً يسعى لتمثيل دور السيد جورج روبي ويفشل في ذلك فشلاً ذريعاً.

وأخيراً أعلن عن فرقة أطفال دولتشيبلا. وقد خفق قلبي سألماً؛ فهذا هو هناك... بل ها هما الشقيقتان كلاهما، إحداهما ذات شعر أشقر باهت والأخرى سمراء، وكانتا ينقص الطول. بدتتا طفلتين رائعتين، وعندما بدتتا بالغناء كان صوتهما نظراً صادقاً جميلاً.

كانت فرقة جميلة حقاً. رقصنا بشكل رائع، وقامت بعض الحركات الأكروباتية الطريفة، وكانت كلمات أغانيهما جديدة سهلة الإيقاع. وعندما أسلكت الستارة شُعب الكثير من التصفيق، وبدا واضحاً أن الفرقة تحظى بنجاح كبير.

فحاة أحسست بأنني لا أستطيع البقاء وأنني محتاج للخروج إلى الهواء الطلق. وقد قلت لبوارو إنني أفكر بالمغادرة فقال: اذهب يا صديقي، كما يحلو لك. إنني أمتع نفسي.. سأبقى حتى نهاية الاستعراض، وسألتحق بك فيما بعد.

كانت المسافة بضع خطوات فقط من المسرح إلى الفندق. توجهتُ إلى صالة الجلوس وطلبتُ فنجاناً من الشاي جلستُ أشربه

وأنا أحنق متأملاً بالموقد الفارغ أمامي. وسمعت الباب يُفتح
فالتفتُ وأنا أظنه بوارو، ثم قفزتُ واقفاً، فقد كانت مستريلاً هي
التي تقف في مدخل الباب. تكلمتُ بتردد، وأنفاسها تحسج بشهقات
صغيرة: لقد رأيتك في المقدمة. أنت وصدقك. وعندما نهضتُ
لتذهب كنت أنتظر في الخارج وتبعك. لماذا أنتما هنا... في
كوفتري؟ ما الذي كنتما تفعلانه هناك الليلة؟ هل الرجل الذي معك
هو... رجل التحري؟

وقفتُ هناك وقد بدا بياض وجهيها تحت الأصباغ الحمراء،
وسمعت نبرة الرعب في صوتها. وفي تلك اللحظة فهمتُ كل
شيء... فهمتُ لماذا كان بوارو يبحث عنها، وما الذي تخشاه،
وفهمتُ - في النهاية - قلبي...

قلت بلطف: نعم.

قالت بما يشبه الهمس: هل يبحث... عني؟

وعندما لم أحب للحظات جلستُ قرب الكرسي الكبير وانفجرت
تبيكي بحرقة ومرارة.

جلستُ بجانبها محاولاً التخفيف عنها وقلت: لا تبكي يا
طفلي، لا تبكي بالله عليك. أنت في مأمن هنا، وسوف أعتني بك.
إنني أعرف... أعرف كل شيء.

- أوه، أنت لا تعرف!

- أغلطني أعرف.

ثم قلت بعد لحظات عندما هدأ نحيبها قليلاً: لقد كنتِ أنتِ

من أخذ الخنجر، أليس كذلك؟

- نعم.

- ولذلك أردتِ أن أصبحك في حولة أريك فيها الأمور؟
ولذلك تصنعت الإغماء؟

أومات برأسها بالإيجاب فسألتها: لماذا أخذتِ الخنجر؟

أجابت ببساطة طفل: كنتُ خائفة من أن تكون عليه بصمات
أصابع.

- ولكن ألم تذكرتي أنك ارتديت قفازات؟

هزتُ رأسها بحيرة ثم قالت ببطء: هل متسلمني... للشرطة؟

- يا إلهي! كلا.

ركزت عينيها في عيني طويلاً ثم سألت بصوت هادئ ضعيف
كأنه يخالف من نفسه: لماذا؟

بدا مكاناً غريباً ووقتاً غريباً للبوح بالحب... وبعلم الله أنني
لم أتصور في كل عيالاتي أن يأتي الحب على هذه الهيئة. ولكنني
أحبت بكل بساطة وطبيعة: لأنني أحبك يا مستريلاً.

طأطأت رأسها وكأنها محملة وتمتمت بصوت كسير: لا
يمكنك ذلك... لا يمكنك... وخاصة إذا عرفت...

ثم عادت فواجهتني مباشرة وكأنها تستجمع قوتها وسألت:
ما الذي تعرفه إذن؟

- أعرف أنك جئت لرؤية السيد رينو في تلك الليلة، وأنه عرض عليك شيكاً، وأنت مزقته بغضب، ثم غادرت المنزل...

توقفت قليلاً، فقالت: استمر... وماذا بعد ذلك؟

- لا أدري إن كنت تعلمين أن جاك رينو كان قادمًا في تلك الليلة أم أنك انتظرت في الحوار على أمل رؤيته فقط، ولكنك انتظرت هناك. ربما كنت تشعرين بالتعاسة فمشيت على غير هدى... ولكنك على أية حال كنت ما تزالين هناك في حوالي الساعة الثانية عشرة، ورأيت رجلًا في ملعب الغولف...

توقفت مرة أخرى. كنت قد قفزت لرؤية الحقيقة بلمحة بصر عندما دخلت الفتاة إلى الصالة، ولكن الصورة انتصبت أمامي الآن بشكل أكثر إقناعاً. رأيت بصورة حية النقشة الفريدة للمعطف الذي كان يغطي جثة السيد رينو، وتذكرت الشبه المدهش الذي أحفظني بحيث ظننت للحظة أن القتل قد نهض من موته عندما اندفع ابنه إلى اجتماعنا في الصالة. كررت الفتاة بإصرار: استمر.

- يحيل لسي أن ظهره كان باتجاهك... ولكنك ميزته، أو حسب أنك ميزته؛ فقد كان أسلوب حركته وهيبته مألوفين لديك، بالإضافة إلى نقشة معطفه.

سكت قليلاً ثم قلت: لقد لجأت إلى التهديد في إحدى رسائلك لجاك رينو. وعندما رأيته هناك جعلك الغضب والغيرة تفقدين صوابك... فضربت ضربتك! لا أصدق للحظة واحدة أنك قصدت قتله، ولكنك قتلته بالفعل يا سندريللا.

كانت قد رفعت يديها لتغطي وجهها، وقالت بصوت مختنق:

أنت على صواب... أنت على صواب... أستطيع رؤية الأمر كله كما تقوله.

ثم التفتت إليّ بشكل أقرب إلى الوحشية وقالت: وأنت تحبني؟ كيف تستطيع أن تحبني وأنت تعلم ما تعلم؟

قلتُ بشيء من التعب: لا أدري. أظن أن الحب كذلك... شيء لا يملك المرء دفعه. لقد حاولت، وكنت أعرف... منذ أن رأيتك أول مرة.

ثم انهارت فجأة مرة أخرى في وقت لم أكن أتوقعه أبداً. رمت نفسها على الأرض وأخذت تنتحب بشدة وهي تصيح: أوه، لا أستطيع! لا أدري ماذا أفعل. لا أدري في أي اتجاه أذهب. أوه، فليرحمني أحد ويقول لي ماذا أفعل!

جلستُ ثانية بقرعها أهدلها قدر استطاعتي: لا تخافي مني يا بيلا، بالله عليك لا تخافي مني. صحيح أنني أحبك، ولكنني لا أريد شيئاً مقابل ذلك. دعيني فقط أساعدك، واستمري في حبه إذا كنت تريدين ذلك، ولكن دعيني أساعدك إن لم يكن باستطاعته هو أن يساعدك.

بدا وكأنها قد تحولت إلى حجر بفعل كلماتي. رفعت وجهها من بين يديها وحلقت بي ثم همست: أنت تظن ذلك؟ أظن أنني أحب جاك رينو؟ أبداً... ليس كما أحبك، ليس كما أحبك أبداً!

كانت تلك بالنسبة لي لحظات لا يمكن أن أنساها ما حييت! وفجأة سمعنا صوتاً عند الباب جعلنا نرفع نافرنا، وكان يوارو واقفاً

هناك ينظر إلينا. لم أتردد، وبقفزة واحد كنتُ عنده فأحطته بالمراسي
مثنياً يديه إلى جنبه وقلتُ للفتاة: بسرعة، اخرجي من هنا... بأسرع
ما يمكنك... سامسك.

نظرت إليّ نظرة خاطفة ثم هزعت فعبرتنا وهي خارجة من
الغرفة. كنت أمسك بوارو بقبضة من حديد، ولكنه قال لي بهدوء:
يا صديقي، إنك تقن مثل هذا الأمر تماماً. يمسكني الرجل الصوي
بين ذراعيه فأغدو طقلاً لا حول له. ولكن هذا كله مؤلم وسخيف
بعض الشيء... دعنا نحلس هادئين.

- أكن تلحق بها؟

- يا إلهي! كلا بالطبع، وهل أنا حيرو؟ أطلقني يا صديقي.

أرचित قبضتي عنه وأنا أنظر إليه بارتياح، فأنا أعترف لبوارو
بأنه يعلم أنني لا أدانيه في سعة الحيلة. جلس عليّ كرسى وهو
يتحسس ذراعيه برفق وقال: إن لك قوة ثور يا هاستغز عندما
تتفعل! حسناً، هل تظن أنك أحسنت التصرف مع صديقك القديم؟
لقد أربكت صورة الفتاة وعرفتُها، ولكنت لم تقل كلمة واحدة.

قلتُ بشيء من العاراة: لم تكن بي حاجة إلى الكلام إن كنت
تعرف أنني مَيزَتها.

لقد كان بوارو يعلم منذ البداية إذن! لم أبدعه للحظة واحدة.
وأخيراً قال: آه! أنت لم تعرف أنني أعرف ذلك، وقد ساعدت
الفتاة في الهروب الليلة بعد أن عائبنا كل انت انت المتعاقب للعثور
عليها. حسناً! لقد أصبح السؤال الآن هو التالي: هل ستعمل معي أم

ضدي يا هاستغز؟

لم أجه للحظات؛ فقد كان يؤلني كثيراً أن أنفصل عن صديقي
القديم. ومع ذلك كان عليّ -بال تأكيد- أن أضع نفسي في مواجهته.
وتساءلت: هل سيقدر لي قط؟ لقد كان هادئاً على نحو غريب حتى
الآن، ولكنني أعرف أنه يمتلك رباطة جأش رائعة. قلتُ له: إنني
أسف يا بوارو. أعترف بأنني أسأت التصرف معك في هذا الأمر،
ولكن لا يكون أمام المرء خيار أحياناً، ويجب عليّ في المستقبل أن
أحتط لنفسي طريقاً خاصاً.

أوما بوارو برأسه عدة مرات وقال: أفهم.

كانت التماعة السخربة قد تلاشت تماماً من عيني، وتحدث
بصدق ولطف أدهشاني: الأمر هكذا إذن يا صديقي، أليس كذلك؟
إنه الحب الذي أتى... ليس كما تصورته أنت، لم يأتك منشياً فخوراً
ناقشاً ريشه، بل حزناً دامي القديم. حسناً، حسناً... لقد حذرتك.
حذرتك عندما أدركتُ أن هذه الفتاة هي التي أخذت الخنجر، وربما
تذكر ذلك، ولكن كان الوقت قد فات حتى في ذلك الحين. ولكن
قل لي، ما هو مدى ما تعرفه أنت؟

واجهتُ عيني بقوة وقلت: لا يمكن لأي شيء تقوله لي أن
يفاجئني يا بوارو... بحسن أن تفهم ذلك. ولكن إذا ما كنت تريد
استئناف بحثك عن الأنسة دوفين فإني أحب أن تعلم شيئاً واحداً
بوضوح. إن كانت لديك أية فكرة تقول إن لها أية علاقة بالجريمة،
أو أنها كانت الفتاة الغامضة التي زارت السيد رينو في تلك الليلة
فأنت مخطئ. لقد عدتُ معها من فرنسا إلى إنكلترا في ذلك اليوم،

وافترقت عنها في محطة فيكتوريا هنا في تلك الليلة، ولذلك فمن الواضح أنه يستحيل عليها أن تكون في ميرلينيل.

نظر بوارو إليّ بتأمل وقال: وهل تقسم على ذلك في المحكمة؟
- من شأني أن أقسم بالتاكيد.

وقف بوارو وانحنى لي قائلاً: يا صديقي... عاش الحب! فهو يأتي بالمعجزات. إنه يهزم حتى هيركيول بوارو!

الفصل الثالث والعشرون

مصاعب في انتظارنا

بعد دقائق من التوتر كهذه التي وصفتها لا بد لرد الفعل أن يحدث. أويتُ إلى غرفتي للراحة في تلك الليلة وأنا أشعر بشيء من الانتصار، ولكنني استيقظت لأدرك أنني لم أخرج من المعصية بعد. والحقيقة أنني لم أرَ عيباً في عذر الغياب الذي ابتكرته فجأة للفناء. ما كان عليّ إلا أن أتمسك بروايتي، ولم أستطع رؤية طريقة يمكن من خلالها إدانة بيلا. ولكنني شعرت بالحاجة إلى السير بحذر؛ فبوارو لن يتقبل الهزيمة مكتوف اليدين، وسيسعى -بطريقة أو بأخرى- إلى قلب الموائد في وجهي في الحفلة والطريقة اللتين لا أتوقعهما أبداً.

تقابلنا على الإفطار في صباح اليوم التالي وكان شيئاً لم يحدث. كان مزاج بوارو اللطيف بالغ الهدوء، ومع ذلك ظننتُ أنني لمحت أثراً للتحفظ كان جديداً في سلوكه. وبعد الإفطار أعلنت عن رغبتني في الخروج للمشي. التمتعت ومضة خيئة في عيني بوارو وقال: إن كان ما تسعى إليه هو المعلومات فلا حاجة لأن تتعب نفسك؛ إذ

أنني أستطيع إخبارك بكل ما تريد. لقد ألغيت الشقيقتان دولتشيللا عقدتهما وغادرتا كوفتري إلى جهة مجهولة.

- أهذا صحيح فعلاً يا بوارو؟

- يمكنك الاعتماد على ما أقوله يا هيستغز. لقد تحررت عن ذلك منذ صباح اليوم الباكر، وإلا فما الذي تتوقعه مني؟

صحيح تماماً، لا يمكن توقع أي إجراء آخر في مثل هذه الظروف. لقد استفادت سندريللا من الفرصة البسيطة التي استطعت منحها لها، ومن المؤكد أنها ما كانت لتضيع دقيقة واحدة قبل الابتعاد عمن يتعقبها، وكان ذلك هو ما قصده وحفظت له.

ومع ذلك كنت أحس وكأني وقعت في شبكة من المضاعب الحديدية؛ فليست لدي -على الإطلاق- أية وسائل للاتصال بالفتاة، وكان من الحيوي أن تعرف خط الدفاع الذي خطر لي اعتماده لحمايتها والذي كنت مصراً على المضي فيه. كان ممكناً بالطبع أن ترسل لي عبراً بطريقة أو بأخرى، ولكنني لم أكد أرجح ذلك، فمن شأنها أن تعرف المحازقة التي يمكن أن تتعرض لها إذا ما وقعت رسالتها بين يدي بوارو، مما يجعله يسعى خلفها من جديد. ومن الواضح أن الطريق الوحيد أمامها كان الاختفاء تماماً في الوقت الحاضر.

ولكن ما الذي كان بوارو يفعله في غضون ذلك؟ حدثت به أدرسه بإمعان: كان يبدو بأكثر أشكاله براءة ويحقد متآملاً في الأفق البعيد. بدا -إجمالاً- أهدأ وأكسل من أن أطمئن له؛ فقد تعلمت في بوارو أنه كلما بدا أقل خطراً كان في الحقيقة في أشد حالات خطورته، وقد أخافتني سكينته. اتسم بلطف وهو يلاحظ

شيئاً من القلق في نظرتي وقال: أنت متحير يا هيستغز؟ إنك تسأل نفسك لماذا لم أندفع للمطاردة؟

- شيء من هذا القبيل.

- كان هذا ما شغلته لو كنت في مكاني... أنهم ذلك. أما أنا فلست من أولئك الذين يجدون متعة في قطع البلاد طولاً وعرضاً بحثاً عن إبرة في كومة قش (كما يقولون معشر الإنكليز). كلا، دع الآنسة بيلا دوفاين تذهب. لا شك أنني سأستطيع العثور عليها عندما يأتي الوقت، وحتى ذلك الحين فإنني مقتنع بالانتظار.

حدثت به بارتياح. هل يسعى إلى تضليلي؟ كان لسدي شعور مزعج بأنه سيد الموقف حتى في هذا الوقت. كان شعوري بالتفوق بدوي تدريجياً. لقد ابتكرت صيغة هروب الفتاة، وطلورت خطة ذكية لإنقاذها من عواقب تصرفها المنفرد... ولكنني لم أستطع أن أجلس مراقب البال. إن هدوء بوارو الكامل يشير مشات المخاوف. قلتُ بشيء من الخجل: لا أحسب يا بوارو أن يوسعي سؤالك عن خططك؛ إذ أنني فقدت الحق في ذلك.

- أبدأ، أبدأ، ليس في خططي أية أسرار. سنعود إلى فرنسا دون تأخير.

- نعود؟

- نعم، بالضبط... "نعود" أنت تعرف تمام المعرفة أنك لا تستطيع ترك "بابا بوارو" بعيداً عن ناظريك. أليس الأمر كذلك يا صديقي؟ ولكن ابقَ في إنكلترا إن كنت ترغب بذلك..

هزئتُ رأسي بالنفي. كان قد أصاب كبد الحقيقة؛ فأنا لا أستطيع تركه بعيداً عن عيني. ومع أنني لا يمكن أن أتوقع منه الثقة بعد كل ما حدث، إلا أنني ما زلت أستطيع مراقبة تصرفاته. إن الخطر الوحيد على بيلا يكمن فيه هو؛ إذ لم يكن جيرو ولا الشرطة الفرنسية مهتمين بها، ولذلك ينبغي أن أبقى قرب بوارو مهما كلفني ذلك.

راقبني بوارو بانتباه فيما كانت هذه الأفكار تحول في خاطري، ثم أوما لي برضى وقال: أنا على صواب، ليس كذلك؟ وطالما أنك قادر على محاولة اللحاق بي متكرراً بشيء سخيف، من قبيل لحية مزيفة يمكن للجميع كشفها، فإني أفضل كثيراً أن أسافر معاً؛ إذ يرعجني كثيراً أن يتناولك الناس بالسخرية.

- حسناً إذن. ولكن من الإنصاف أن أحذرك...

- أعرف... أعرف كل شيء. أنت خصمي! فلنكن خصمي، فذلك لا يقلقني أبداً.

- حسناً، طالما أن الأمر كله واضح ومكتشف فلا مانع عندي.

- إن لديك كل ذلك التعلق الإنكليزي بما يُسمى: "اللعب النظيف" وما دام كل وازع لديك تم إرضاءه الآن، فلنغادر على الفور. لا وقت لدينا لنضيقه. لقد كانت إقامتنا في إنكلترا قصيرة ولكنها كافية، فقد عرفت... ما أردتُ معرفته.

كانت تيرته خفيفة عرضية، ولكنني أحسستُ في الكلمات بحظر كامن خفي. بدأت أقول: ومع ذلك...

ولكنني توقفت، فقال بوارو: ومع ذلك... على حد قولك! لا

شك أنك مقتنع بالدور الذي تلعبه، أما أنا فأشغل نفسي بحاك رينو.

حاك رينو! أحفَلتني كلماته. كنت قد نسيت تماماً ذلك الجانب من القضية، فحاك رينو في السجن وظل المصلحة يحوم حوله. رأيت الدور الذي ألعبه بمنظار أكثر شراً. صحيح أن بوسعي إنقاذ بيلا... ولكنني حين أنقذها أحازف بإرسال رجل بريء إلى حظه.

دفعت الفكرة عن رأسي مرتعاً. لا يمكن لذلك أن يحدث، فسوف تتم تيرته. ستم تيرته بالتأكيد. ولكن الخوف عاودني مرة أخرى: ماذا لو لم يُبرأ؟ ما الذي يحدث عندها؟ هل يستطيع ضميري تحمل ذلك... فكرة مرعبة! هل سيصل الأمر إلى هذا الحد في النهاية؟ إلى ضرورة اتخاذ قرار: بيلا أم حاك رينو؟ لقد كانت دوافع قلبي تخشني على إنقاذها مهما كلفني ذلك، ولكن إن كانت الكلفة ستقع على شخص آخر فذلك مشكلة مختلفة.

ما الذي يمكن للفتاة نفسها أن تقوله؟ تذكرتُ أنني لم أقل لها شيئاً عن اعتقال حاك رينو. لقد كانت حتى الآن جاهلة تماماً بحقيقة أن صاحبها السابق في السجن بتهمة ارتكاب جريمة زهية لم يرتكبها. كيف ستتصرف عندما تعلم؟ هل ستسمح بأن يتم إنقاذ حياتها على حساب حياته؟ من المؤكد أن عليها ألا تقدم على أي تصرف متسرع، فربما تمت تيرته حاك رينو دون أي تدخل منها، بل هناك احتمال لا بأس به في ذلك. فإذا ما تمت تيرته كان ذلك جيداً. ولكن ماذا لو لم يُبرأ! كان ذلك هو السؤال الفطري الذي لا إجابة له. تخيلتُ أنها لن تتعرض عندئذ للعقوبة القصوى، فظروف الجريمة مختلفة تماماً في حالتها. يمكنها أن تطرح مسألة الغيرة والاستغزاز الشديد، وسيشفع لها شبابها وجمالها بعض الشيء. ولن تغير من دافع الجريمة شيئاً

حقيقة أن ذلك العطاء المأساوي قد جعل السيد رينو هو الذي يدفع الثمن، وليس ابنه. ولكن في كل الأحوال، ومهما كان الحكم رحيمًا، فلا بد أن ينطوي على قضاء فترة طويلة في السجن.

كلا، ينبغي أن تتم حماية بيلا. وفي نفس الوقت يجب إنقاذ جاك رينو. لم أرَ بوضوح كيفية تحقيق ذلك، ولكنني وضعتُ نفسي بوارو. فقد عرف، ومهما حصل فسيكون بمقدوره إنقاذ رجل بريء. يحب عليه أن يجد عُذراً ما غير العذر الحقيقي. قد يكون ذلك صعباً، ولكنه سيتدبر الأمر بطريقة ما. وبإبقاء الشكوك بعيدة عن بيلا، وبثيرة جاك رينو، يكون كل شيء قد انتهى على نحو مرضي.

هكذا كنتُ أقول لنفسي مراراً وتكراراً، ولكن الخوف بقي مستقراً في قرارة نفسي.

...

الفصل الرابع والعشرون

"أنقذه!"

عبرنا القنال من إنكلترا في مركب المساء، وفي صباح اليوم التالي كنا في سانت أومير حيث تم أخذ جاك رينو. ولم يضيع بوارو وقتاً قبل أن يعمد إلى زيارة السيد هوتيه. وبما أنه لم يُسَدَّ في مزاجٍ يشير فيه أي اعتراض على مصاحبتني له، فقد قعمتُ بمرافقته. وبعد الكثير من الرسميات والمقدمات جاء من قادنا إلى غرفة قاضي التحقيق. وقد حيانا الرجل بكل ود ثم قال: قبل لي إنك عدتَ إلى إنكلترا يا سيد بوارو، ويسعدني أن الأمر لم يكن كذلك.

- بل لقد ذهبتُ إلى هناك بالفعل يا سيدي، ولكنها كانت زيارة قصيرة جداً... مجرد مسألة جانبية تحيلت أنها قد تستحق التحقيق فيها.

- وهل وحدثها كذلك؟

رفع بوارو كتفيه، فيما أوما القاضي برأسه ونهده قائلاً: أحشى

أن علينا أن نستسلم يا سيد بوارو. إن ذلك الحيوان حيرو ذو أعلاق
كربهة جداً، ولكنه ذكي دون شك! ليست الفرصة كبيرة في أن
يكون محطناً.

- أنظرن ذلك؟

جاء دور قاضي التحقيق ليرفع كتفيه حيرة ويقول: حسنًا،
لتحدث بصراحة (والأمر يتنا بالطبع): هل تستطيع التوصل إلى أية
نتائج أخرى؟

- بصراحة، يبدو لي أنه توجد كثير من النقاط الغامضة.

- مثل...؟

ولكن لم يكن بوارو ليحتر إلى الحديث، فقد قال: لم أنظمها
بعد، كان ما قلته مجرد انطباع عام. لقد أعجبني ذلك الشاب،
وسوف يؤسفني أن أصدق أنه مذنب في مثل هذه الجريمة المروعة.
وبالمناسبة، ماذا يقول الفنى دفاعاً عن نفسه؟

عيس القاضي وقال: لا أستطيع فهمه؛ إنه يبدو غير قادر على
صياغة أي دفاع عن نفسه. كان من الصعب جداً انتزاع إجابات منه،
فقد اكتفى بالإلكار العام، وفيما عدا ذلك كان يلجأ إلى الصمت
العنيد. سوف أحقق معه ثانية غداً إن كنت تحب الحضور.

قبلنا دعوته بحماسة فيما قال وهو يتهدد: يا لها من قضية
مؤلمة! إن تعاطفي كبير مع السيدة رينو.

- وكيف هي السيدة رينو؟

- لم تعد إلى وعيها بعد. وفي ذلك شيء من النعمة على
المرأة المسكينة، فقد وفّر عليها ذلك الكثير من المعاناة. يقول
الأطباء إنه لا خطر عليها، وإنها عندما تستيق يجب أن تبقى في
هدوء تام. وقد فهمت أن تأثير الصدمة على حالتها الراهنة لم يكن
بأقل من تأثير وقوعها عن الدرج. سيكون أمراً فظيعاً إن أصاب
عقلها شيء، ولكنني لن أستغرب ذلك... كلا، لن أستغربه أبداً.

استند السيد هوتيه إلى ظهر كرسيه بهمز رأسه بشيء من
الأسف وهو يتخيل ذلك المصير، ثم ما لبث أن اعتدل في جلسته
وقال بشكل مفاجئ: لقد تذكرت. لديّ هنا رسالة لك يا سيد
بوارو. دعني أرى، أين وضعتها؟

بحث بين أوراقه حتى وجدها أخيراً فسلمها لبوارو قائلاً: لقد
أرسلت إليّ بشكل سري لأسلمها لك، ولكنني لم أستطع ذلك
لأنك لم تترك عنوانك.

فحص بوارو الرسالة بامعان. كان عنوانه مكتوباً بخط طويل
مائل أحني الشكل، وكان خط امرأة بالتأكيد. ولكن بوارو لم
يفتحها، بل وضعها في جيبه ونهض واقفاً وقال: نراك غداً إذن.
شكراً جزيلاً على لطفك وكرمك.

- عفواً يا سيدي، إنني تحت تصرفك دائماً.

كما تغادر المبنى عندما تقابلنا وجهاً لوجه مع جيرو، وقد بدا
مُهتدماً أكثر من أي وقت مضى، مسروراً بنفسه كثيراً. صاح بشكل
مصطنع: مرحباً! لقد عدت من إنكلترا إذن؟

- كما ترى.

- يحيل لي أن نهاية القضية لم تعد بعيدة.

- أنا أتفق معك يا سيد جيرو.

كان بوارو يتكلم بنبرة ضعيفة، ويبدو أن سمته الذاهل قد سرَّ جيرو الذي قال: من بين كل المحرمين المتأففين يأتيها هذا الفتى! ليس لديه أية فكرة يدافع بها عن نفسه.

قال بوارو بهدوء: هذا غريب جداً إلى حدِّ جعل المرء يفكر، أليس كذلك؟

ولكن جيرو لم يكن مستعداً للإسغاء؛ فقد أدار عصاه بشيء من المرح وقال: حسناً، طاب يومك يا سيد بوارو. يسرني أنك مقتنع أخيراً بذنوب الشاب رينو.

- عفواً، ولكني لست مقتنعاً أبداً بذلك. إن جاك رينو بريء.

حدق به جيرو للحظة... ثم انفجر ضاحكاً ونقر على رأسه بشكل ذي مغزى وقال باقتضاب: مُختَل!

انتصب بوارو فحاةً والتمع في عينيهِ بريقٍ خطير وقال: سيد جيرو، طوال القضية كان سلوكك معي مُهيناً بشكل متعمد، وأنت بحاجة إلى من يعلمك درساً. إنني مستعد لمراحتك بخمسة عشر قرناً على أنني سأجد قاتل السيد رينو قبل أن تحده أنت. هل توافق على ذلك؟

حدق به جيرو يائساً، ثم تعثم ثانية: مختل!

حَتَّ بوارو قائلاً: هيا الآن، هل أنت موافق؟

- لا أَرُغب بأخذ أموالك منك.

- فليطمن بالكَ... أنت لن تأخذها!

- حسناً إذن، موافق! لقد تحدثت عن سلوكي المهين معك، ولكن كان سلوكك أنت مزعجاً لي في مرة أو مرتين.

- يطيب لي أن أسمع ذلك. طاب صباحك يا سيد جيرو. هيا

يا هيستغز.

لم أقل كلمة واحدة ونحن نسير في الشارع. كان قلبي مثقلاً بالهموم؛ فقد أظهر بوارو نواياه بكل وضوح. وشككتُ أكثر من أي وقت مضى في قدرتي على إنقاذ بيلا من عواقب تصرفها. لقد أثارت بوارو هذه المقابلة المؤسفة مع جيرو وجعلته يُستغز بحيث يبدل كل ما في وسعه.

فحاةً شعرتُ بيد تستقر على كتفي، والتفتُ فإذا به غابريل ستونور. توقفنا وسَلَّمنا عليه، واقترح علينا أن يمشي معنا حتى الفندق الذي نقيم فيه. سأله بوارو: وماذا تفعل هنا يا سيد ستونور؟

أجاب الرجل ببرود: على المرء أن يقف إلى جانب أصدقائه، خاصة عندما يُتهمون ظلماً.

سألتُه بلهفة: أنت لا تصدق إذن أن جاك رينو ارتكب الجريمة؟

- لا أصدق ذلك بالتأكيد؛ فأنا أعرف الفتى. أنا أعترف بأن

في هذه القضية أمراً أو اثنين قد حيراني أشد الحيرة، ولكن مع

ذلك، ورغم طريفته الحمقاء في التصرف، فإني لن أصدق أبداً أن
جاك رينو قاتل.

امتلاً قلبي إعجاباً بالسكربتير، وبدا أن كلماته قد أزاحت عن
قلبي عبأً سرياً ثقيلاً، فهتفتُ قائلاً: لا شك لديّ بأن كثيراً من الناس
يشعرون كما تشعر. إن الأدلة ضده ضعيفة إلى حد السُخف، ولا
أظن أن في تبرئته شكاً... لا شك في ذلك أبداً.

ولكن جواب ستونور لم يكن كما تمنيتُه أن يكون، فقد قال
بتحهم: إني مستعد لهذا الكثير حتى أفكر كما تفكر أنت.

ثم التفت إلى بوارو وقال: ما رأيك يا سيدي؟

قال بوارو بهدوء: أظن أن الأمور تبدو سيئة جداً بالنسبة له.

قال ستونور بحدة: أترى أنه مذنب؟

- لا، ولكي أحسب أنه سيحد صعوبة في إثبات براءته.

دمدم ستونور قائلاً: إنه يتصرف بشكل غريب تعيس. أنا أدرك
طبعاً أن في هذه القضية أشياء أعمق بكثير مما تراه عين المرأة. جبرو
لا يدرك ذلك لأنه غريب، ولكن الأمر كله كان في غاية الغرابة.
وبالنسبة لهذا الأمر فإن من قلّ كلامه سهلُ إصلاح خطئه. إن كانت
السيدة رينو تريد طليّ أي موضوع وإخفاءه فإنني سأخذ أوامري
منها. القضية قضيتها، وأنا أكبرُ احتراماً بالغاً لأحكامها بحيث لا
أُتدخل في الأمر، ولكنني لا أستطيع فهم موقف جاك. من شأن أي
امرئ أن يظن أنه يريد أن يظهر بمظهر المذنب.

تدخلتُ صائحاً: ولكن هذا سخيف؛ فلدينا أولاً الخنجر...

توقفتُ غيرَ واثقٍ من المدى الذي يرغب بوارو بكشفه، ثم
أكملتُ وأنا أختار كلماتي بعناية: نحن نعرف أن الخنجر ما كان
بالإمكان أن يكون بحوزة جاك رينو في تلك الليلة، والسيدة رينو
تعرف ذلك.

قال ستونور: صحيح، وعندما تصحوا فلا شك أنها ستقول
كل ذلك وأكثر. حسناً، يحب أن أغادر الآن.

استوقفه بوارو قائلاً: لحظة. هل يمكنك أن ترتب لي الأمر
بحيث يأتي الخبر فور استرداد السيدة رينو لوعيتها؟

- بالتأكيد، هذا أمر سهل.

قلتُ وأنا أصعد الدرج مع بوارو: إن تلك النقطة بخصوص
الخنجر جيدة يا بوارو. لم أستطع الكلام بصراحة أمام ستونور.

- كان ذلك تصرفاً صحيحاً منك؛ من الأفضل أن نحتفظ بما
نعرفه لأنفسنا أطول فترة ممكنة. أما بالنسبة للخنجر فإن تقطعك لا
تكاد تفيد جاك رينو. هل تذكر أنني تغيبت لمدة ساعة هذا الصباح
قبل أن نتطلق من لندن؟

- نعم.

- لقد حاولتُ العثور على الشركة التي استخدمها جاك رينو
لتصنع له تلك الهدية، ولم يكن الأمر سهلاً. حسناً يا هيبستغر، أعلم
أنهم صنعوا له ثلاث سكاكين لفتح المغلفات، وليس الثنتين؟

- وذلك يعني...

- وذلك يعني أنه أعطى واحدة لأمه وواحدة لبيلا دوفين ولا شك أنه احتفظ بالثالثة لاستخدامه الخاص. كلا يا هيستغز، أخشى ألا تساعدنا قصة الخنجر تلك في إنقاذه من المعضلة.

صحتُ وقد صُغت: ولكن لن يصل الأمر إلى المعضلة.

هزُّ بوارو رأسه بشيء من عدم اليقين، فقلت له مؤكداً: "أنت متأكد"، ولكنه نظر إليَّ ببرود وقال: أستم اعتبر ذلك مستحيلاً يا صديقي؟

- لا بد من وجود طريقة أخرى.

- آه، أنت تطلب مني القيام بالمعجزات. كلا... لا تقل المزيد. دعنا -بدل ذلك- ننظر ماذا في هذه الرسالة.

أخرج المغلف من حجب صدره. تشنَّج وجهه وهو يقرأ، ثم أعطاني الورقة قائلاً: في هذا العالم نساء أخريات يتعذبن يا هيستغز.

كانت الكتابة غير واضحة، وبدا جلياً أن الرسالة قد كُتبت في حالة انفعال شديد:

عزيزي السيد بوارو،

إذا استلمت هذه الرسالة فإني أرجو أن تأتي لمساعدتي. ليس لديَّ مَنْ ألجأ إليه، ويبغي إنقاذ جاك مهما كانت الشكائيف. إنني أتوسل إليك راكمة على ركبتيَّ أن تساعدنا. مارتا دوبريه

أعدتُ الرسالة متأثراً وقلت: هل ستذهب؟

- على الفور. سوف نطلب سيارة أجرة.

بعد نصف ساعة كنا في فيلا مارغريت. كانت مارتا تقف على الباب لاستقبالنا، وقد دخلت مع بوارو وهي تتعلق بيده بكلتا يديها. قالت: آه، لقد أتيت... هذا لطف منك. لقد كنت بالسة لا أعرف ماذا أفعل. إنهم لا يسمحون لي حتى بزيارته في السجن، وأنا أعاني معاناة رهيبة، بل أكاد أجن. هل صحيح ما يقولونه من أنه لا ينكر الجريمة؟ ولكن هذا جنون. من المستحيل أن يكون ارتكيبها.. لن أصدق ذلك لحظة واحدة!

قال بوارو بلطف: وأنا أيضاً لا أصدق ذلك يا آنسة.

- ولكن لماذا لا يتكلم إذن؟ لا أفهم ذلك.

قال بوارو وهو يراقبها: ربما لأنه يتستر على أحد.

عبست مارتا وقالت: يتستر على أحد؟ أتعني أمه؟ آه، لقد ارتبْتُ بها منذ البداية. من الذي يرث كل تلك الثروة الهائلة؟ هي التي ترثها. من السهل ارتداء ثياب الأرامل ولعب دور المتناقضين. ويقولون إنها قد سقطت عندما اعتقلوه هكذا!

ثم قامت بحركة تقليد مشيرة، وأضافت: ولا شك أن السيد ستونور قد ساعدها؛ فبين هذين الاثنين علاقة وطيدة. صحيح أنها أكبر منه، ولكن ما يهم الرجال من ذلك إذا كانت المرأة غنية!

كان في نبرتها أثر للمرارة. وتدخلتُ قائلاً: لقد كان ستونور في إنكثترا.

- هو يقول ذلك، ولكن من يدري؟

قال يوارو بهدوء: يا آنسة، إن كان لنا أن نعمل معاً أنا وأنت فيجب أن نوضح الأمور، وسأسألك في البداية سؤالاً.

- ما هو يا سيدي؟

- هل تعرفين الاسم الحقيقي لأملك؟

حدثت به مارتا لدقيقة، ثم دفنت رأسها بين يديها وانفجرت باكية. قال يوارو وهو يربت على كتفها: هيا، هيا، هذي من روعك يا صغيرتي، أرى أنك تعرفين. بقي الآن سؤال آخر: هل تعرفين من كان السيد رينو؟

رفعت رأسها وحدثت به متسائلة: السيد رينو؟

- آه، أرى أنك لا تعرفين ذلك. حسناً، استمعني إليّ جيداً.

استعرض أمامها القضية خطوة خطوة، تماماً كما فعل معي في اليوم الذي سبق مغادرتنا إلى إنكلترا، وقد أصغت مارتا مسحورة. وعندما انتهت سحبت نفساً عميقاً وقالت: أنت رائع... هائل! أنت أعظم رجل تحرّ في العالم.

وبحركة سريعة انزلت عن كرسيها وركعت أمامه بتلقائية فرنسية بحتة، وصاحت: أنقله يا سيدي. إنني أحبه كثيراً، أوه، أنقله، أنقله... أنقله!

• • •

الفصل الخامس والعشرون

كشف غير متوقع

كنا حاضرين في صباح اليوم التالي للتحقيق مع جاك رينو. ورغم أن الوقت الذي انقضى على اعتقاله كان قصيراً، إلا أنني صُدمتُ للتغير الذي طرأ على السجين الشاب. كانت وجهته قد انكمشتا وظهرت حول عينيه دوائر سوداء عميقة، وبدا مضني شاردًا، كما لو أنه حاول النوم ولم يستطعه لعدة أيام، ولم يُبدِ أي عواطف لدى رؤيته. بدأ القاضي تحقيقه قائلاً: رينو، هل تنكر أنك كنت في ميرلينيل ليلة الجريمة؟

لم يُحب جاك على الفور، ثم قال بتردد يشير الشفقة: لقد... لقد... قلت لكم إنني كنت في تشربورغ.

التفت القاضي بحدة وقال: أدخلوا شهود المحطة.

وما هي إلا لحظات حتى انفتح الباب وأدخل رجلٌ عرفْتُ فيه الحمال في محطة ميرلينيل. سأله القاضي: أكنت في عملك ليلة السابع من حزيران؟

- نعم يا سيدي.

- وهل شهدت وصول قطار الساعة الثانية عشرة إلا ثلثاً؟

- نعم يا سيدي.

- انظر إلى السجين هنا. هل تميزه كواحد من الذين نزلوا من

القطار وقتها؟

- نعم يا سيدي.

- ألا يوجد احتمال في أن تكون مخطئاً؟

- لا يا سيدي، فأنا أعرف السيد جاك رينو جيداً.

- ألا يوجد احتمال في أن تكون مخطئاً في التاريخ؟

- لا يا سيدي؛ لأن سمعنا بالحريمة كان في اليوم التالي،

الثامن من حزيران.

تم إدخال موقوف آخر يعمل في محطة القطارات، وقد أكد

شهادة صاحبه. نظر القاضي إلى جاك رينو وقال: لقد أكد هذان

الرجلان تعرفهما إليك، فما تقول في ذلك؟

رفع جاك كفيه وقال: لا شيء.

- رينو، هل تعرف هذا؟

أخذ القاضي شيئاً عن الطاولة إلى جانبه ورفع أمام السجين،

وقد ارتعدت إذ رأيت أنه الخنجر المصنوع من بقايا الطائرات.

صاح مستشار جاك، المحامي غروسيه، قائلاً: عفواً. إنني أطلب
الحديث مع موكلي قبل أن يحيب عن هذا السؤال.

ولكن لم يكن لدى جاك رينو اعتبار لمشاعر غروسيه التعيس،
فقد نحاه جانباً بإشارة من يده وأجاب بهدوء: أعرفه بالتأكيد؛ إنه
هدية أعطيتها لأمي كذكرى من أيام الحرب.

- هل توجد - حسب معلوماتك - أية نسخ لهذا الخنجر؟

انفجر المحامي غروسيه مرة أخرى، ومرة أخرى تجاهله جاك
وقال: لا أعرف وجود نسخ له؛ لقد كان من تصميمي أنا.

وحتى القاضي كاد يشفق لحرارة الحوار. بدا جاك فعلاً وكأنه
يندفع إلى حتفه، وقد أدركت طبعاً ما كان يحس به من ضرورة
قصوى لإخفاء حقيقة وجود نسخة أخرى من الخنجر في القضية،
وذلك من أجل بيلا. إذ طالما أن الافتراض السائد هو وجود سلاح
واحد، فلن تحوم الشكوك حول الفتاة التي تحتفظ بالنسخة الثانية
للخنجر. لقد كان يشتر بشهامة على المرأة التي سبق له أن أحبها،
ولكن كم كان ذلك سيكلفه! بدأت أدرك عظمة المهمة التي
أسندتها إلى يوارو بكثير من الاستخفاف؛ إذ لن يكون سهلاً ضمان
تبرئة جاك رينو بأي تبرير سوى قول الحقيقة.

تكلم السيد هوتيه ثانية بنبرة لاسعة جداً: لقد أخبرتنا السيدة
رينو بأن هذا الخنجر كان على طاولة زينتها ليلة الحريمة، ولكن
السيدة رينو أم! سيدهشك الأمر بلا شك يا سيد رينو، ولكنني أعتبر
أن من المحتمل كثيراً أن تكون السيدة رينو مخطئة، وأن تكون أنت
- ربما من باب عدم الإلتباه - قد أخذت الخنجر معك إلى باريس.

لا شك أنك ستعارضني...

رأيت قبضتي الفتى الموتقتين تتكوران بشدة، وتغرق جيبته، وقاطع السيد هوته بصوت أحش وكأنه يقوم بذلك بعد جهد كبير: لن أعارضك، فهذا ممكن.

كانت لحظات مذهلة، ونهض المحامي غروسييه واقفاً يفتح: لقد تعرض موكلي لضغط وإجهاد عصبي هائلين، وأنا أرغب في أن تسجلوا أنني أعتبره غير مسؤول عما يقوله.

قمعه القاضي بغضب، وبدأ للحظة أن شيئاً من الشك قد بدأ برأوده؛ فلقد بالغ جاك رينو في أداء دوره. اتحنى إلى الأمام وحقق في السجين متفحصاً وقال: هل تدرك يا رينو أنني - بهذه الإجابات التي قتلتها - لن يكون أمامي خيار سوى تقديمك للمحاكمة؟

تورد وجه جاك الشاحب، ونظر إلى القاضي بشتات قائلاً: سيد هوته، أقسم أنني لم أقتل والدي.

ولكن لحظة الشك القصيرة لدى القاضي انتهت. ضحك ضحكة قصيرة وقال: لا شك في ذلك، لا شك في ذلك... إن سجنائنا أبرياء دائماً! لقد أدنت نفسك بعمل فيك. لا تستطيع تقديم أي دفاع، ولا حجة غياب... مجرد تأكيد بأنك لست مذنباً، وهو تأكيد لا يمكن أن يحدد طفلاً! لقد قتلت أباك يا رينو - وهي جريمة وحشية حيانه - من أجل المال الذي ظننت أنه سيؤول إليك بموته. وقد كانت أمك مساعدة لك بعد الجريمة. وما من شك في أن حقيقة أنها تصرفت كأم متجمل المحاكم تحدل لها من العذر والرحمة ما لا تحده لك أنت. وستكون محقة في ذلك، فقد كانت

حريمتك رهية... يحقها الله والعباد!

ولكن القاضي انزعج أشد الانزعاج بسبب المقاطعة التي ووجه بها عندما فُتح الباب فحاة وقال الحارس متلعثماً: سيدي القاضي، سيدي القاضي. توجد هنا سيدة تقول... تقول...

صاح القاضي الذي كان لغضبه ما يبرره: متناً يقول وماذا؟ هذا تصرف شاذ جداً. هذا ممنوع... ممنوع بنائاً.

ولكن امرأة ذات حسد تحيل دفعت الحارس المتلعثم جانباً ودخلت، ثم تقدمت في الغرفة وهي ترتدي ملابس سوداء وخماراً طويلاً يغطي وجهها. ودق قلبي دقة ألم. ها قد جاءت إذن! كل جهودتي كانت هباء. ومع ذلك لم أملك إلا الإعجاب بالشجاعة التي جعلتها تتخذ هذه الخطوة دون تردد.

رفعت خمارها... وشبهت. ذلك أن هذه الفتاة لم تكن سندريلا، رغم أنها كانت تشبهها كحبة فول قُسمت لصفين! وفوق ذلك أدركت الآن - في غياب الباروكة الشفراء التي كانت تضعها على المسرح - بأنها كانت الفتاة التي عثر بوارو على صورتها في غرفة جاك رينو. سألت الفتاة: أنت قاضي التحقيق يا سيد هوته؟

- نعم، ولكنني أمتنع تماماً...

- إن اسمي هو بيلا دوفين، وأرغب بتسليم نفسي بتهمة قتل السيد رينو.

* * *

رسالة تأتيني

"يا صديقي،

ستعرف كل شيء عندما تستلم هذه الرسالة. ما كان لشيء أقوله أن يؤثر على بيلا. لقد ذهبت لتسلم نفسها، وقد تعبت كثيراً من مقاومتها.

ستعرف الآن أنني خدعتك، وأنتك إذ متحتني الثقة فقد كافأتك بالكذب. وربما بدا لك ذلك تصرفاً لا يفتقر، ولكنني أود قبل أن أعرج من حياتك إلى الأبد- أن أشرح لك تماماً كيف حدث الأمر كله، فإن عرفت أنك قد غفرت لي فإن ذلك سيجعل الحياة أسهل عليّ. لم أفعل ما فعلتُ من أجل نفسي... هذا هو الأمر الوحيد الذي أستطيع بسطه دفاعاً عن نفسي.

سأبدأ من اليوم الذي التقيتُك فيه في القطار القادم من باريس. كنت قلقة وقتها على بيلا. كانت تحب حاك رينو بشكل يائس، وكان من شأنها أن تكون أمة له. وعندما بدأ يتغير وقلتُ رسائله بدأت هي تصاب بحالة من الذهول والاكتئاب. وقد اقتنعت بأنه أصبح بحسب فتاة أخرى... وبالطبع فقد اتضح لاحقاً أنها كانت محقة تماماً في ذلك. كانت قد عزمت أمرها على الذهاب إلى بيته في ميرلينيل ومحاولة رؤية حاك، وكانت تعرف أنني ضد هذه الفكرة،

فحاولت التملص مني. وحدث أنها لم تكن على متن القطار في كاليه، وقررت ألا أستمُر في الرحلة إلى بريطانيا من دونها. كان لدي شعورٌ قَلْبُ بأن شيئاً فظيماً سيحدث إن لم أمتعها.

انتظرتُ القطار التالي القادم من باريس، فوجدتها قادمة على متنه. وكانت مصممة على الذهاب وقتها مباشرة إلى ميرلينيل. تحاورتُ معها بكل ما أوتيت من قدرة، ولكن ذلك لم يُحدِ شيئاً؛ فقد كانت مصممة تماماً وعازمة على تنفيذ ما تريد. وهكذا غسَلْتُ يدي من الأمر، فقد بذلتُ كل ما أستطيعه، وكان الوقت قد تأخر، فلعبتُ إلى فندقٍ وانطلقت بيلا إلى ميرلينيل، وكنتُ ما أزال غير قادرة على أن أبعد عني ذلك الشعور بذلك الشيء الذي تسميه الروايات "كارثة وشيكة".

جاء اليوم التالي... ولكن بيلا لم تأتِ. كانت قد حددت موعداً لتلاقيني في في الفندق، ولكنها لم تأتِ فيه، ولم يظهر لها أثر طوال النهار. وبدأت أقلق أكثر فأكثر، ثم جاءت صحيفة المساء تحمل معها الخبر.

لقد كان ذلك فظيماً! لم أستطع التأكد بالطبع... ولكنني خفتُ خوفاً شديداً. حُيِّلَ إليّ أن بيلا قد قابلت رينو الأب وأخبرته عن شأنها مع حاك، وأنه أعانها أو تصرف معها بشكل مسيء ما. ونحن كلانا لدينا مزاج سريع الغضب. ثم شاعت قصة الأحبيين المُقنعين، وبدأتُ أشعر بشيء من الارتياح، ولكني بقيت قلقة من عدم محبة بيلا إلى موعدنا معي.

ومع محي صباح اليوم التالي كان قلبي قد تقاسم بحيث شعرت أن عليّ الذهاب لأرى ما يمكنني رؤيته. وكان أول شيء صادفني هو أنني قابلتك. وأنت تعرف ما حصل بعد ذلك... وعندما رأيت جثة الرجل، والشبه الشديد بينه وبين جاك، وارتدائه لمعطف جاك المنقوش، عرفت ما حصل! ثم كانت هناك مكين قسح الرسائل نفسها التي أعطها جاك ليلاً... وبها لها من سكن كريمة! وشعرت أن من المؤكد أن بصماتها ستكون عليها. لا أستطيع أن أشرح لك هول تلك اللحظات المحيطة. ورأيت بوضوح أمراً واحداً فقط، وهو أنني يجب أن أأخذ ذلك الخنجر وأن أهرب به قبل أن يكشفوا أنه مفقود. تظاهرت بالإغماء، وبينما كنت بعيداً تحضر الماء أخذت الخنجر وخبأته بين ثيابي.

لقد أخبرتك أنني كنت أقيم في فندق دو فار، ولكنني عدت بالطبع بأسرع ما يكون إلى كاليه، ومن هناك إلى إنكلترا على متن أول قارب. وعندما أصبحت في وسط القنال الإنكليزي رميت ذلك الخنجر النعس في البحر، وعندما شعرت أن بمقدوري التنفس ثانية.

كانت بيلا في محل سكانا في لندن، وقد بدت في حال لا تشبهها أية حال. أخبرتها بما فعلته وأنها صارت في مأمن في الوقت الحاضر فحدقت بي، ثم بدأت تضحك، وتضحك، وتضحك... كان من الفظيع سماعها! شعرت أن أفضل شيء هو أن تنعمرط في العمل! فمن شأنها أن تُحن إذا ما توفر لها الوقت للتفكير فيما فعلته. ولحسن الحظ أننا وجدنا عملاً على الفور.

ثم رأيتك أنت وصديقك تشاهدانا في تلك الليلة... وقد أرعيتي ذلك! فلا بد أنك تشك، وإلا ما كنت لتتعبنا. وقد كان عليّ أن أعرف أسوأ ما في الأمر، ولذلك فقد لحقت بك. كنت بالسة. وبعدها، وقبل أن يتاح لي الوقت لقول أي شيء أدركت أنني أنا موضع شبهتك، وليس بيلا أو أنك -على الأقل- ظننت أنني أنا بيلا، طالما أنني سرقت الخنجر.

أتمنى -يا عزيزي- أن تستطيع تحيل ما كان بحري في رأسي في تلك اللحظة، فلعلك تغفر لي. لقد كنت مرعوبة جداً ومرتبكة وبالسة. كان كل ما فهمته بوضوح هو أنك ستحاول إنقاذي، ولم أكن أدري ما إذا كنت مستعداً لإنقاذها هي... ورأيت أنك لن تكون مستعداً لذلك على الأغلب... فهذا أمر مختلف! ولم يكن يوسعي المحازقة، فيلا شقيقتي التوأم، وعليّ أن أبذل كل ما يوسعي من أجلها! ولذلك مضيت في الكذب. شعرت بالوضاعة... وما زلت أشعر بها. هذا كل شيء، وأحسبك تقول أن في هذا ما يكفي أيضاً. كان عليّ أن أتق بك... ولو أنني وثقت... وبمجرد أن نشرت الصحف بدأ اعتقال جاك رينو انتهى كل شيء. لم تقبل بيلا حتى الانتظار لترى كيف ستسير الأمور...

إنني متعبة جداً. ولا أستطيع كتابة المزيد.

كانت قد بدأت التوقيع باسم سندريلا، ولكنها شطبت ذلك وكتبت بدله "دولتشي دوفين".

كنتُ لأبقيك طويلاً على عطفك.

أومات برأسي؛ فقد كانت نيرته أكثر رقة من أن تتحمل رداً
ساحطاً مني. نظرتُ إلى أوراق الرسالة التي سقطت مني، ثم رفعتها
فحاة عن الأرض وأعطيها لبوارو وقلت: اقرأ هذه، أريدك أن
تقرأها.

قرأها بوارو كلها بصمت، ثم رفع بصره إلي وقال: ما الذي
يقلقك يا هيستغز؟

كان هذا مزاجاً جديداً تماماً من بوارو. بدا أنه ترك جانباً
أسلوبه الساحر، واستطعتُ أن أقول ما أريد قوله دون صعوبة: إنها
لا تقول... إنها لا تقول، أعني إن كانت تهتم بي أم لا؟

ملوى بوارو الأوراق وقال: أنت مخطئ يا هيستغز.

صحتُ وأنا أحتي جسمي إلى الأمام بلهفة: أين؟

- إنها تقول لك ذلك في كل سطر من رسائلها يا صديقي.

- ولكن أين عساني أحدها؟ ليس على الرسالة عنوان؛ فقط

طابع بريد فرنسي، هذا كل شيء.

- لا تبتس يا صديقي! دع الأمر "لبايا بوارو". أستطيع أن

أعثر لك عليها بمجرد أن تتوفر لي خمس دقائق فراغ!

* * *

كانت رسالة ذات كتابة سببة لا تكاد تُقرأ.. ولكنني احتفظتُ
بها حتى يومنا هذا. وكان بوارو معي عندما قرأتها. وقد وقعت
الأوراق من يدي، فظننتُ إليه وقلت: هل كنت تعرف طوال الوقت
أنها كانت... الأخرى؟

- نعم يا صديقي.

- لماذا لم تخبرني؟

- بداية لم أكن لأصدق أنك يمكن أن ترتكب هذا الخطأ؛
فقد رأيت الصورة. صحيح أن الأختين متشابهتان، ولكن من غير
المتعذر أبداً التفريق بينهما.

- ولكن ماذا عن الشعر الأشقر؟

- إنها باروكة، توضع من أجل إظهار تساين لطيف على
المسرح. وإلا هل يُعقل أن تحد شقيقتين نوأمين متماثلتين إحداهما
شعراء والأخرى سوداء الشعر؟

- لماذا لم تخبرني في تلك الليلة في فندق كوفنتري؟

قال بوارو ببرود: لقد كنتُ جلفاً بعض الشيء في أساليبك يا
صديقي... لم تعطيني فرصة لذلك.

- ولكن فيما بعد؟

- آه، فيما بعد! لقد جرحنتي بداية قلّة ثقتك بي. وبعد ذلك
أردتُ أن أرى إن كانت مشاعرك ستصمد أمام اختبار الزمن... إن
كان ما تحس به حياً حقيقياً أم مجرد شعور عابر لديك. وإلا ما

قال جاك: أحسب أنه كان حسن النوايا. ولكن، يا إلهي! ما الذي سيحدث ليلاً؟

قال بوارو بصراحة: لو كنت مكانك لما ألعت نفسي أكثر مما ينبغي. إن المحاكم الفرنسية رحمة جداً أمام الشباب والعمال، وأمام الحرائم العاطفية! إن من شأن محام عظيم أن ينكر العديد من الظروف المُحَقَّقة. لن يكون من المحيب بالنسبة إليك أن...

- إنني لا آبه لذلك. الحقيقة - يا سيد بوارو - أنني أشعر فعلاً بالذنب لمقتل والدي؛ فلولاى ولولا علاقتي بهذه الفتاة لكان حياً برزق اليوم. ثم إنني أهملت إذ أخذتُ المعطف الخطأ. لا أملك إلا أن أشعر بالمسؤولية عن وفاته، وسوف يؤرقني ذلك إلى الأبد!

قلتُ له مهدئاً: كلا، كلا.

مضى جاك قائلاً: رهيب بالنسبة لي طبعاً أن أفكر بأن بيلا قتلت والدي. ولكنني عاملتها معاملة مخزية، فبعدما قابلتُ مارتا وأدركتُ أنني أخطأت كان عليّ أن أكتب لها وأشرح الأمر بصدق. ولكنني كنتُ خائفاً جداً من حدوث مشاجرة تصل إلى مسامع مارتا، فظنن أن الأمر أعظم بكثير مما هو حقيقة... نعم، لقد كنتُ جباناً، ورحتُ أمل أن يتلاشى الأمر من تلقاء نفسه. اكتفيتُ بالابتعاد غير مُدركٍ أنني بذلك كنتُ أجعل المسكينة مخلوقة بالسهة. ولو أنها طعنتني حقاً كما كانت تنوي لما كان ذلك إلا جزءاً وفقاً لأستحقته. يا للطريقة التي تقدمتُ بها لتعترف بالأمر، كم كانت جريئة. وقد كان من شأني أن أستمِر فيما قلته... حتى النهاية.

بقي صامتاً للحظات، ثم انطلق فحاةً في موضوع آخر: إن ما

الفصل السابع والعشرون

قصة جاك رينو

قال بوارو وهو يشد بحرارة على يد الفتى: تهايتنا يا سيد جاك.

كان جاك قد جاء لرؤيتنا فور إطلاق سراحه قبل أن يتوجه إلى ميرلينفيل للانضمام إلى مارتا وأمه، وكان ستونور يرفقته. وكان مرح ستونور يتناقض تماماً مع مظهر الفتى، إذ بدا واضحاً أن جاك كان على شفا انهيار عصبي. ابتسم باكتساب لبوارو وقال بصوت خافت: لقد تحملتُ كل ذلك لأحبيها، والآن لم تبق فائدة.

قال ستونور ببرود: لا أحسبك تتوقع من الفتاة أن تقبل أن تكون حياتك هي الثمن. كان لا بد أن تتقدم للاعتراف عندما رأتك تتوجه مباشرة إلى المقصلة.

أكمل بوارو وعينه نظرفان قليلاً: وحقاً، لقد كنت تنجّه إليها بالتأكيد! ولو أنك مضيت في منهجك ذاك لمات المحامي غروسيه غضباً من تصرفك أيضاً!

يحيرني هو السبب الذي جعل والدي يخرج لي شمع بملايه الداعية وهو يرتدي معطفي في ذلك الوقت من الليل. أحسب أنه كان قد تخلص لثوه من ذئب الأحيين، ولا بد أن أمي قد أعطت في قولها إن الساعة كانت الثانية عندما قديماً، أو... أو، أكان الأمر كله خدعة؟ أعني أن أمي لم تحسب... لا يمكنها أن تحسب أنني كنت أنا القتال؟

طمأنه بوارو بسرعة قائلاً: لا، لا يا سيد جاك. لا تراودك مخاوف من هذه النقطة. أما فيما يخص الأمور الأخرى فسأشرحها لك ذات يوم. إنه أمر غريب بعض الشيء، ولكن هل لك أن تحكي لنا ما الذي حصل لك بالضبط في تلك الليلة المشؤومة؟

- لا يوجد الكثير مما يمكن قوله. فقد حدث من تشيربورغ - كما قلت لكم - كي أرى مارتا قبل أن أسافر إلى الحاناب الآخر من العالم. وقد تأخر القطار، وقررت أن أخذ الطريق المختصر عبر ملعب الغولف. كان بوسعي أن أدخل حديقة فيلا مارغريت بسهولة من ذلك الملعب، وكنت قد وصلت تقريباً عندما...

تف قليلاً وابتلع ريقه.

أم؟

- سمعت صرخة فظيعة. لم تكن صرخة عالية، بل كانت أقرب لصوت احتناق أو شهقة... ولكنها أزعجتني. وقتت للحظات كأنما زُرعت في مكاني، ثم درت حول زاوية غصن هناك. كانت الليلة مقمرة، ورأيت القبر، كما رأيت جسداً ممدداً ووجهه للأسفل وقد انغمس بجنون في ظهره. وعندها... وعندها... رفعت نظري

ورأيتها. كانت تنظر إليّ وكأنها رأته شيئاً... ولا بد أنها حسبتني كذلك في البداية؛ فقد تلاشى كل تعبير من وجهها من الرعب. ثم أطلقت صيحة وركضت مولية.

توقف وهو يحاول السيطرة على عواطفه، فسأله بوارو بلطف: وبعد ذلك؟

- إنني حقاً لا أدري. بقيت هناك لبعض الوقت مذهولاً، ثم أدركت أن من الأفضل أن أهرب بأسرع ما يمكنني. لم يخطر لي أنهم سيشتكون بي، ولكنني خفت من أن يتم استدعائي لتقديم شهادة ضدها. مشيت حتى سالت بوفيه كما قلت لكم، وأخذت سيارة من هناك إلى تشيربورغ.

سمعنا طرقاتاً على الباب، ودخل خادمٌ حاملاً رسالة أعطاها للسيد ستونور الذي فتحها ثم نهض عن كرسيه وقال: لقد استعادت السيدة رينو وعيها.

نهض بوارو وقال: آه! دعونا نذهب جميعاً إلى ميرلينفيل على الفور!

وهكذا تم الترتيب لمغادرة سريعة. وقد وافق ستونور - بناءً على طلب من جاك - على البقاء والقيام بكل ما يمكن فعله من أجل بيلا دوقين، أما بوارو وجاك وأنا فقد انطلقنا في سيارة رينو.

استغرق طريقنا نحواً من أربعين دقيقة، وعندما اقتربنا من باب فيلا مارغريت نظر جاك رينو إلى بوارو نظرة تساؤل وقال: ما رأيك في أن تدخل أنت أولاً ونخبر أمي بأنني حرّ...

أكمل عنه بوارو الحملة وهو يطرف بعينه: فيما تذهب أنت
لتخبر مارتا بنفسك، أليس كذلك؟ نعم، لا مانع، بل إنني كنتُ على
وشك اقتراح مثل هذا الترتيب بنفسي.

لم يتفطر جاك رينو المزيد، فقد أوقف السيارة وقتل منها
وركض عبر المعبر إلى الباب الأمامي، ومضيتنا نحن بالسيارة إلى
فيلا جينييف.

قلت لبوارو: بوارو، هل تذكر أول يوم جئنا فيه إلى هنا؟
وكيف قولنا نبأ مقتل السيد رينو؟

- نعم، حقاً. ولم يمضي على ذلك وقتٌ طویل أيضاً. ولكن ما
أكثر الأمور التي حصلت منذ ذلك الحين... وخاصة بالنسبة لك
أنت يا صديقي!

تنهدتُ قائلاً: نعم، بالفعل.

- أنت تنظر إلى الأمر من الزاوية العاطفية يا هينستغز، لم يكن
هذا ما قصدته. سوف نأمل بأن يتم التعامل مع الأنسة بيلا برحمة،
كما أن جاك رينو ليس في مقدوره الزواج من كلا الفئتين في نهاية
الأمر! إنني أتكلم من الناحية المهنية؛ فهذه ليست حريصة نظامية
حيدة الترتيب كذلك التي يستمتع بها رجل التحري. لقد كان إعداد
المسرح من قبل جورج كورنو ممتازاً حقاً، ولكن الكشف عن
العقدة الأخيرة في المسرحية لم يكن كذلك! رجل قتل خطأ في
نوبة غضب لفتاة... ها، أين النظام والمنهجية في ذلك؟

ووسط نوبة ضحك انتابتي على نرات بوارو الغريبة فتحت

فرانسوا الباب. شرح لها بوارو بأنه يجب أن يرى السيدة رينو في
الحال، فقادته المرأة إلى الطابق العلوي، فيما بقيتُ أنا في الصالة.
وقد مر الكثير من الوقت قبل أن يظهر بوارو من جديد وهو متجهم
الوجه.

- أنت هنا يا هينستغز! يا إلهي، ستكون أماننا متاعب قادمة!

صحتُ به: ماذا تقصد؟

قال بوارو متأملاً: ما كنتُ لأصدق ذلك، ولكن يصعب التنبؤ
بأمركة النساء.

هتفتُ وأنا أنظر من النافذة: ها هو جاك ومارتا دوبريه.

أسرع بوارو خارج الغرفة والتقى الشابين على الدرج في الخارج
وقال: لا تدخل. من الأفضل ألا تدخل، إن أمك متزعجة جداً.

- أعرف، أعرف. يجب أن أصعد إليها على الفور.

- أقول لك لا تصعد، فهذا أفضل.

- ولكني أنا ومارتا قد...

- على أية حال لا تأخذ الأنسة معك. اصعد إليها إن كنت
تريد ذلك، ولكن من الحكمة أن تدعني أرافقك.

جاء صوتٌ من أعلى الدرج ليفاجئنا جميعاً: أشكرك على
مساعدتك الحيرة يا سيد بوارو، ولكني سأفصح عن رغباتي بكل وضوح.

حدقنا مندهشين، فقد كانت تلك السيدة رينو تنزل الدرج

معتمدة على ذراع ليوني ورأسها ما زال مضطرباً، وكانت الفتاة الفرنسية تبكي وتتوسل إلى سيدتها كي تعود إلى فراشها.

- ستقتل سيدتي نفسها؛ إن هذا مناقض لكل أوامر الأطباء.

ولكن السيدة تقدمت، فصاح جاك وهو يحدق بها: أماء.

غير أنها نَحَتْه جانباً بإشارة منها وقالت: لستُ أمأ لك، ولستُ أبناً لي! إنني أتبرأ منك من هذا اليوم وهذه الساعة.

صاح الفتى وقد ذهل: أماء!

بدت للحظة وكأنها تتردد أو تتلصق أمام الأكم الواضح في صوته. قام بوارو بإشارة توسط، ولكنها سرعان ما استعادت سيطرتها على نفسها وقالت: إن دم أبيك في رقبتك... أنت مسؤول أخلاقياً عن موته؛ فقد أخطت وتحدثت بشأن هذه الفتاة، وبسبب تعاملك القاسي مع فتاة أخرى تسببت في موته... اخرج من هذا البيت! سأتخذ من غداً الخطوات التي تكفل عدم لمسك لقرص واحد من أمواله. شقّ طريقك في هذه الدنيا بأفضل ما تستطيع بمساعدة الفتاة التي هي ابنة ألد أعداء أبيك!

ثم عادت أخرجها ببطء وألم إلى الطابق العلوي، فيما وقفنا جميعاً مشدوهين إذ لم تكن مستعدين أبداً لمثل هذا المشهد. وقد ترتج جاك رينو - المتعجب أساساً من كل ما مر به - وكاد أن يسقط. وهرعنا أنا وبوارو لمساعدته.

نعم بوارو قائلاً لمارتا: إنه منتهك تماماً، أين نستطيع أخذه؟

- إلى البيت! إلى فيلا مارغريت. سوف نسير أنا وأمي -
رغابته. يا لحاكي المسكين!

أخذنا الفتى إلى الفيلا حيث رمى نفسه بترهل على أحد الكراسي بحال من الذهول والدوار. وتلمس بوارو جبينه ويديه ثم قال: لديه حمى. لقد بدأ أثر الضغط الطويل يظهر عليه، وجاءت هذه الصدمة لتتوَّج ذلك كله. خذيه إلى السرير يا مارتا، وسأذهب أنا وهيستغز لاستدعاء طبيب.

وصل الطبيب بسرعة، وبعد فحصه أعلن أنه يرى أن المسألة مجرد ضغط وإجهاد عصبي، ومع وجود راحة وهدوء تامين يمكن أن يعود إلى حالته الطبيعية تقريباً في اليوم التالي، ولكن من شأن المزيد من الانفعالات أن يسبب له حمى دماغية. وأعلن الطبيب أن من المستحسن أن يسهّر أحد على راحته طوال الليل.

وأخيراً وبعد أن فعلنا كل ما في وسعنا، تركناه في عهدة مارتا وأمها وانطلقنا إلى البلدة. كان الوقت قد تجاوز موعد عشاءنا، وكنا في حالة جوع شديد، فدخلنا إلى أقرب مطعم حيث دفعنا عن أنفسنا غائلة الجوع بطبق ممتاز من العجّة تبعه طبق لا يقل عنه تميزاً من شرائح اللحم. وبعدما تَوَّجنا ذلك كله بالقهوة قال بوارو: والآن إلى معقل النوم. هل لنا أن نحاول فندقنا القديم؟

عدنا إلى الفندق دون تردد، وهناك قال موظف الاستقبال إن بإمكانه استضافتنا فعلاً في غرفتين رائعتين تطلان على البحر. وعندنا سأل بوارو سؤالاً أدهشني: هل وصلت سيدة إنكليزية تدعى السيدة روبنس؟

- نعم يا سيدي، إنها في الصالة الصغيرة.

- آه!

صحت وأنا امشي بسرعة خلفه في الممر: بوارو، من هي
بريك السيدة روبنس؟

- لقد رتبْتُ لك زواجاً يا هيستغز.

- ولكن...

قال بوارو وهو يدفعني بمحبة عند عتبة الصالة: صه! أتحسني
أريد أن أعلن في مكبرات ميرلينفيل اسم دوفين؟

وقد كانت سندريلا -بالفعل- هي التي نهضت لتحيتها.
أخذتُ يدها بكتلتا يدي، وتولت عيناى قول الباقي.

تنحى بوارو وقال: اسمع يا طفلي، لا وقت لدينا الآن للعواطف؛
فالعامل ينتظرنا. هل استطعتِ يا آنسة أن تفعلي ما طلبته منك؟

وجواباً على ذلك أخرجت سندريلا من حقيبتها شيئاً ملفوفاً
بالورق وأعطته لبوارو بصمت. فتحه بوارو فأجفلتُ إذ رأيته... فقد
كان الخنجر المصنوع من حطام الطائرات، والذي فهمتُ أنها كانت
قد رمته في البحر. غريب كم تتردد النساء دوماً في التخلص من أكثر
الأشياء والوثائق إثارة للفضائح!

قال بوارو: جيد جداً يا طفلي؛ أنا مسرور منك. اذهبي الآن
وخذي قسطاً من الراحة، فلدينا -أنا وهيستغز- عمل لنحزه.

سألت الفتاة وقد اتسعت عيناها: إلى أين تذهبان؟

- مستمعين كل شيء غداً.

- بل سأتي معكما أينما ذهبتما.

- ولكن يا آنستي...

- أقول لك إنني قادمة معكما.

أدرك بوارو أن من العيث أن يحادلها فاستسلم قائلاً: تعالي إذن
يا آنسة. ولكن الأمر لن يكون مسلياً، ومن المرجح ألا يحدث شيء.

لم تحبه الفتاة، وانطلقنا بعد نحو ثلث ساعة. كان الظلام قد
عيم تماماً الآن، وكانت ليلة ثقيلة تسبب الاكتئاب. تقدّمنا بوارو
خروجاً من البلدة باتجاه فيلا جينيفيف، ولكنه توقف عندما وصل
إلى فيلا مارغريت وقال: أود التأكيد من تحسن حالة جاك رينو.
نعال معي يا هيستغز، وسنبقى الآنسة في الخارج، فربما قالت
السيدة دوبريه شيئاً يحرر مشاعرها.

فتحنا البوابة وتقدمنا في ممشى الحديقة، وعندما انعطفنا إلى
جانب البيت، لفّتُ نظر بوارو إلى إحدى النوافذ في الطابق الأول،
فقد كان خيال مارتا دوبريه يعكس واضحاً على النافذة. قال بوارو:
آه! لقد تخيلتُ أن هذه هي الغرفة التي ستجد جاك رينو فيها.

فتحت السيدة دوبريه لنا الباب. وقد أوضحتُ أن جاك رينو
على حاله تقريباً، ولكن يُستحسن أن نرى بأنفسنا. قادتنا إلى الطابق
العُلوي، ثم إلى غرفة النوم. كانت مارتا دوبريه جالسة تطرز شيئاً
قرب طاولة عليها مصباح، ووضعت أصبعاً على شفيتها عند دخولنا
مطالبة الهدوء.

كان جاك رينو نائماً نوماً قلقاً مضطرباً يتقلب رأسه من جانب إلى جانب، ووجهه ما يزال شديد الإحمرار.

سأل بوارو هامساً: هل سيعود الطبيب؟

- لن يعود ما لم ترسل في طلبه. الأمر الجيد أن جاك نائم؛ لقد صنعت له أُمِّي شراب الزهورات.

عادت للحلوس إلى ما كانت تسبحه فيما غادرنا نحن الغرفة، وقد رافقتنا السيدة دوبريه في نزول الدرج. وكنت قد أصبحت أنظر إلى هذه المرأة باهتمام متزايد منذ أن علمت بتاريخها السابق. وقفت هناك مسيلة العينين وعلى شفتيها نفس تلك الابتسامة السحرية التي أذكرها والتي لا تكاد تبين. وفجأة شعرت بالخوف منها، كما يشعر المرء بالخوف من أفعى جميلة سامة.

قال لها بوارو إذ فتحت الباب لنا لنخرج: أمل ألا نكون قد أزعجناك يا سيدتي.

- أبدأ يا سيد بوارو.

قال بوارو وكأن فكرة مفاجئة خطرت له: بالمناسبة، لم يحضر السيد ستونور إلى ميرلينجيل اليوم، أليس كذلك؟

لم أستطع أبداً فهم الهدف من هذا السؤال الذي أحسست أنه غير ذي معنى بالنسبة لبوارو. ولكن السيدة دوبريه أجابته بكل هدوء: ليس عندي علم بذلك.

- ألم يقابل السيدة رينو؟

- كيف لي أن أعرف ذلك يا سيدتي؟

- حقاً. ظننت أنك ربما رأيته يقدو أو يروح، هذا كل ما في الأمر. طاب مساؤك يا سيدتي.

بدأت أسأله: "لماذا...؟"، ولكنه قاطعني قائلاً: دعني من "لماذاذك" يا هيستغز. سيكون معنا متسع من الوقت لذلك لاحقاً.

عدنا للانضمام إلى سندريلا، واستأنفنا طريقنا بسرعة إلى فيلا جينييفيف. ولقد التفت بوارو مرة إلى النافذة المضادة وعليها خيال مارتا وهي منكبة على نسجها، وتتمم قائلاً: إنه تحت الحراسة في كل الظروف.

وعندما وصلنا إلى فيلا جينييفيف أخذ بوارو له موقعاً خلف بعض الأغصان إلى يسار الممشى حيث كان يوسعا أن نرى البيت كله رغم احتفائنا تماماً عن الأنظار. كانت الفيلا نفسها غارقة في عتمة نامة، ولا شك أن الجميع كانوا يغطون في نوم عميق. ومرعان ما أصبحنا تحت نافذة السيدة رينو التي لاحظت أنها كانت مفتوحة، وقد بدا لي أن عيني بوارو كانتا مركّزتين على تلك الفتحة في النافذة. همست له: ماذا سنفعل؟

- نراقب.

- ولكن...

- لا أتوقع حدوث شيء قبل مرور ساعة على الأقل، وربما ساعتين، ولكن الد...

قطعت كلماته صرخة طويلة حادة: النجدة!

أضيت غرفة في الطابق الأول إلى يمين الباب الأمامي، وقد جاءت الصرخة من هناك. وحتى عندما كنا نراقب هناك تراءى في النافذة خيال لشخصين يتصارعان.

صاح يوارو: يا إلهي! لا بد أنها غيرت غرفتها.

اندفع إلى الأمام وأخذ يضرب بشدة على الباب الأمامي، ثم هرع إلى الشجرة في مسكبة الزهور وتسلفها بمهارة قطرة، وقد تبعته فيما قفز هو إلى داخل الغرفة من النافذة. نظرتُ تحتي فرأيت سنديلا تسلك أسفل الشجرة، فهتفتُ بها: حاذري.

أجابته الفتاة: حاذر على حدثك! هذا أسهل عليّ من لعب الأطفال!

كان يوارو قد اندفع عبر الغرفة الخالية وأخذ يضرب بيده على الباب مزحجراً: إنه مقفل من الخارج، وسيستغرق كسره وقتاً.

كانت الصرخات التي تطلب النجدة تخفت كثيراً، ورأيت اليأس في عيني يوارو. حاولنا أن ندفع الباب بكثفين، وجاء صوت سنديلا هادئاً خالياً من العواطف وهي عند النافذة: مستأخرون في ذلك... أحسب أنني الوحيدة التي يمكنها فعل شيء.

وقبل أن أستطيع رفع يدي لمنعها قفزتُ من النافذة في الهواء. اندفعتُ ونظرتُ من النافذة لأرى منظراً أروعني؛ فقد رأيتها تتعلق يديها بالسقف، وتتحرك بدفع جسمها باتجاه النافذة المضاءة.

صحتُ قائلاً: يا إلهي! سوف تقتل.

قال يوارو: لقد نسيتُ؛ إنها لاعبة حركات بهلوانية بحكم مهنتها يا هيستغز. لقد كان إصرارها على القدوم معنا الليلة من تدبير العناية الإلهية. أرجو فقط أن تصل في الوقت المناسب. آه!

انطلقت صيحة رعب تام في عتمة الليل مع احتفاء سنديلا داخل النافذة، ثم جاء صوت سنديلا ذو النبرات الواضحة قائلاً: كلا، لقد أمسكتُ بك... وقبضتاي أقوى من القولاذ.

وفي نفس اللحظة فتح باب سجننا من قبل فرانسوا. نحاها يوارو جانباً دون احتفاء واندفع في العمر إلى حيث كانت الخادمتان الأخريان قد اجتمعتا قرب الباب البعيد. قالت إحداهما: إنه مقل من الداخل يا سيدي.

سمعنا صوت سقطت ثقيلة في الداخل، وبعد دقيقة أو اثنتين دار المفتاح في القفل وانفتح الباب ببطء، ودعتنا سنديلا بوجه شاحب للدخول. سألتها يوارو: أهى سليمة؟

- نعم، حدث في وقتي تماماً. كانت منهكة.

كانت السيدة رينو نصف جالسة ونصف ممددة على السرير تشهق لسحب أنفاسها. تمتعت بأنم: كدتُ أذهب خنقاً.

أخذت الفتاة شيئاً عن الأرض وأعطته ليوارو. كان ذلك عبارة عن سُلّم ملفوف من حبال الحرير الرقيقة رغم قوتها الشديدة. قال يوارو: هذا للهروب من النافذة ونحن نقرع على الباب الأمامي. ولكن، أين... صاحبه؟

تنحت الفتاة جانباً وأشارت. وهناك على الأرض كان جسد

أومات الفتاة بالإحباب قائلة: أظن ذلك. لا بد أن الرأس قد ارتطم بحافة الموقد الزجاجية.

صحتُ قائلاً: ولكن من؟

أجاب بوارو: من قتل رينو يا هينر، ومن كان على وشك قتل زوجته.

جثوتُ وقد تملكني الحيرة الشديدة، ورفعتُ الغطاء، ونظرتُ إلى الوجه الجميل لمارتا دوبريه!

...

الفصل الثامن والعشرون

نهاية الرحلة

ما أذكره عن بقية أحداث تلك الليلة مضطرب تماماً؛ فقد بدا بوارو أصمّ تجاه أسئلتي المتكررة. كان منهمكاً في تأنيب فرانسوا على عدم إبلاغه بتغيير السيدة رينو لغرفة نومها.

أمسكته من كتفيه مصمماً على جذب انتباهه وقلتُ له بصوت عالٍ: ولكن لا بد أنك كنت تعرف. لقد اصطحبوك لرؤيتها بعد ظهر هذا اليوم. تنازل بوارو وصرف انتباهه إلينى للحظة قائلاً: لقد نقلت بالمقعد ذي العجلات إلى الغرفة الوسطى، وهي غرفتها الصغيرة الخاصة.

صاحت فرانسوا: ولكن السيدة غيرت غرفتها مباشرة تقريباً بعد وقوع الحرائم يا سيدي؛ فقد كانت ذكرياتها بها أليمة جداً.

هدر بوارو وهو يضرب الطاولة بقبضته وقد وصل به الغضب مداه: إذن لماذا لم أبلغ؟ إنني أسألك: لماذا-لم-أبلغ؟ إنك عحوز

مغفلة تماماً! وليست ليوني ودينيس بأفضل حالاً منك؛ فأنتن الثلاث مغفلات! لقد كاد غياؤكن يودي بحياة سيدتكن، لولا هذه الطفلة الشجاعة...

توقف ثم عبر الغرفة بسرعة إلى حيث كانت الفتاة منكبة ترعى السيدة رينو واحتضنها بحماسة فرنسية... معا أثار شيئاً من الانزعاج لدي.

وقد أيقظني من حالة الغيرة الذهنية أمر حاد من بوارو لكي أحضر على الفور طبيباً للسيدة رينو، وبعد ذلك عليّ استدعاء الشرطة. ثم أضاف ليكمل سخطي: ولن يكون من المحدي بعد ذلك أن تعود إلى هنا؛ فسوف يكون لديّ من المشاغل ما لا أستطيع معه الانتصاف إليك، وسوف أجعل من الأنسة هنا ممرضة.

انسحبت بما استطعتُ تدبيره من كرامة، وعندما أنهيت مهمتي عدتُ إلى الفندق. لم أكن أفهم شيئاً مما حدث؛ بدت أحداث الليلة خيالية ومستحيلة. لم يرغب أحد بالإجابة عن أسئلتني، ولم يبدُ أن أحداً يريد سماعها. رميتُ نفسي على السرير غاضباً، ونمتُ نوم حائر هذه التعب.

استيقظتُ لأرى الشمس تغمر الغرفة من خلال النافذة المفتوحة، وبوارو يجلس قرب السرير أنيقاً مبتسماً.

- أخيراً استيقظت! ولكنك نؤوم مشهور يا هيستغز! أتعلم أن الساعة قاربت الحادية عشرة؟

زمرحتُ ووضعت يدي على رأسي وقلت: لا بد أنني كنتُ

أحلم. أتدري، لقد حلمتُ بأننا وجدنا جثة مارتا دوبريه في غرفة السيدة رينو، وأنتك أعلنت أنها هي التي قتلت السيد رينو؟

- لم تكن تحلم؛ فهذا صحيح تماماً.

- ولكن بيلا دوفين هي التي قتلت السيد رينو؟

- أوه، كلا يا هيستغز، لم تقتله! صحيح أنها قالت إنها قتلتها، ولكن ذلك كان لإنقاذ الرجل الذي أحبته من المقصلة.

- ماذا؟

- تذكر قصة جاك رينو. فقد وصل الاثنان إلى مسرح الجريمة في نفس اللحظة، وكلاهما ظن أن صاحبه هو الذي ارتكبها. حدثت به الفتاة برعب ثم هربت مُطلقةً صيحة، ولكن عندما سمعت أن الجريمة قد نُسبت إليه لم تستطع تحمل ذلك، فتقدمت لتتهم نفسها وتنتقذه من موت محقق.

استند بوارو إلى ظهر كرسيه ووضع رؤوس أصابعه مقابل بعضها في حركة معهودة منه وقال: إن القضية لم تقنعني تماماً. لقد كان لديّ طوال الوقت انطباع قوي بأننا نتعامل مع جريمة تم التخطيط لها وارتكابها بأعصاب باردة من قبل شخص اكتفى (بـكس) ذكاء) باستخدام خطط السيد رينو نفسه، بغية تضليل الشرطة. إن المحرم العظيم يكون دوماً في منتهى البساطة، ولعلك تذكر أنني قلت لك ذلك ذات مرة.

أومأت له موافقاً، فمضى يقول: والآن، دعماً لهذه النظرية، لا

بد أن القاتل كان على علم تماماً بخطط السيد رينو، وهذا يقودنا إلى السيدة رينو. ولكن الحقائق أخفقت في دعم أية نظرية تُجرّمها، فهل يوجد شخص آخر يمكن أن يكون على علم بتلك الخطط؟ نعم. لقد أخذنا من قم مارتا دوبريه نفسها أنها سمعت السيد رينو يتشاجر مع المشرّد الشقي. فإن كان يوسعها أن تسمع ذلك فليس من سبب يمنعها من سماع أي شيء آخر، خاصة إذا كان السيد والسيدة رينو من الطيش بحيث يناقشان خططهما وهما يجلسان على ذلك المقعد الخشبي. تذكر السهولة التي سمعت بها حديث مارتا مع جاك من تلك البقعة.

- ولكن ما هو الدافع المحتمل لمارتا حتى تقتل السيد رينو؟

- ما هو الدافع؟ المال! لقد كان رينو يملك الكثير من الملايين، وعند موته ستؤول نصف ثروته الهائلة إلى جاك (أو هكذا كانت تظن هي وجاك). دعنا نعدّ بناء المشهد من منظور مارتا دوبريه.

لقد سمعت مارتا دوبريه ما دار بين السيد رينو وزوجته. كان حتى ذلك الحين مصدر دخل رائعاً للألم وابتها، ولكنه الآن يخطط للفرار من عيتهما. ربما كانت فكرتها في البداية هي منع ذلك الهروب، ولكن حلت محل تلك الفكرة فكرة أخرى أكثر جرأة، فكرة ما كان لها أن تخيف ابنة جين بيرولدي! إن السيد رينو يقف الآن بصلاية في طريق زواجها بجاك، وإذا ما تحدى الأخير والده فيسغدو مفلساً... الأمر الذي لا يناسب الأنسة دوبريه أبداً. والحقيقة أنني أشك كثيراً إن كانت قد اهتمت قطّ بجاك رينو. إنها

تستطيع تصنّع العواطف وإظهارها، ولكنها -في الحقيقة- من نفس نوعية أمها الباردة التي تحسب كل شيء بقدر معلوم. كما أنني أشك كثيراً أيضاً فيما إذا كانت واثقة تماماً من سيطرتها على عواطف الفتى. صحيح أنها أذهلته عن نفسه وسيطرت عليه، ولكن لو قدّر له أن يتفصل عنها -وهو الأمر الذي كان بإمكان والده أن يتدبره بسهولة- ربما فقدته. ولكن يوفاة الأب وبوراثته جاك لنصف ملايينه يمكن للزواج أن يتم فوراً، وبضربة واحدة تكون قد حققت الثروة، وليس الآلاف الصعبة التي تم انتزاعها منه حتى الآن.

وقد فهم عقلها الذكي بساطة الأمر: فهو سهل جداً. فرينو يخطط ككل الظروف لموته وما عليها إلا أن تتدخل في اللحظة المناسبة وتحيل المسرحية إلى واقع جاثم ثقيل. ومن هنا جاءت النقطة الأخرى التي قادني دون خطأ إلى مارتا دوبريه... وهي الحنجرة! فقد صنع جاك رينو ثلاث نسخ منه، فأعطى واحداً لأمه، وواحداً لبيلا دوفين... ألم يكن من المحتمل كثيراً أن يكون قد أعطى الثالث لمارتا دوبريه؟

وهكذا إذن -وبغية اختصار الأمر- فقد وُجدت أربع نقاط ضد مارتا دوبريه:

١. ربما كانت مارتا دوبريه قد سمعت خطط رينو.
٢. إن لمارتا دوبريه مصلحة مباشرة في التسبب بموت رينو.
٣. وقد كانت مارتا دوبريه ابنة السيدة بيرولدي الشهيرة التي كانت برأيي -أخلاقياً وفعلياً- قاتلة زوجها، رغم أن يد جورج كونو ربما كانت هي التي نفذت الضربة الفعلية.

٤. كانت مارتا دوبريه الشخص الوحيد -بالإضافة إلى
حاك رينو- الذي يُحتمل أن يكون لديه الخنجر الثالث.

توقف بوارو قليلاً وتنحنع ثم تابع: وبالطبع أدركتُ -عندما
علمت بوجود الفتاة الأخرى، بيلا دوفين- أن من الممكن تماماً أن
تكون بيلا هي التي قتلت رينو، ولكن ذلك الحل لم يرق لي، فكما
قلتُ لك يا هيستغز: إن خبيراً مثلي يحب ملاقاته جدير بمواجهته.
ومع ذلك فإن على المرء أن يتقبل الحرائم كما يجدها، وليس كما
يتمناها. لم يبدُ أن من المحتمل كثيراً أن تتحول بيلا دوفين حاملاً
بيدها سكيناً لفتح الأوراق قُدمت هدية لها، ولكن ربما كانت لديها
طوال الوقت بالطبع فكرة ما حول الانتقام من حاك رينو. وعندما
تقدمت واعترفت بارتكاب الجريمة بدا أن كل شيء قد انتهى. ومع
ذلك... لم أكن مقتنعاً يا صديقي، لم أكن مقتنعاً.

عدتُ إلى استعراض القضية من جديد بتفاصيلها، وخرجتُ
بنفس النتيجة السابقة. فإن لم تكن القاتلة هي بيلا دوفين فإن
الشخص الوحيد الآخر الذي يمكن أن يكون ارتكبها هو مارتا
دوبريه، ولكن لم يكن لديّ أي دليل يدينها.

ثم أريتني أنت تلك الرسالة التي أتتكَ من الأنسة دولتشي،
ورأيتُ فرصة أحلُّ من خلالها هذه المسألة مرة وإلى الأبد. لقد
سُرِق الخنجر الأسلي من قبل دولتشي دوفين ورُمي في البحر
باعتباره -كما قلّت- يعود لأختها. ولكن ماذا لو صدف أنه لم
يكن خنجر أختها، وكان الخنجر الذي أعطاه حاك لمارتا
دوبريه...؟ عندها سيكون خنجر بيلا باقياً على حاله لديها! لم أقل

لك كلمة من ذلك يا هيستغز (فلم يكن الوقت وقت مقامرات
رومانسية)، ولكنني بحثتُ عن الأنسة دولتشي وطلبتُ منها أن
تبحث بين أغراض أختها. وتصور نشوتي عندما جاءني (بناءً على
تعليماتي) تحت اسم الأنسة روبنسن وهي تحمل معها الهدية القيّمة!

في هذه الأثناء كنتُ قد اتخذتُ خطوات هدفها إخبار الأنسة
مارتا على الكشف عن نفسها؛ فبناءً على تعليماتي طردت السيدة
رينو ابنها، وأعلنت عن نيتها كتابة وصية في اليوم التالي تحرم فيها
ابنها من التمتع بقرش من أموال أبيه. كانت تلك خطوة بالسة،
ولكنها ضرورية، وكانت السيدة رينو مستعدة تماماً للمحازفة... مع
أنها -للأسف- لم تفكر هي أيضاً بذكر تغييرها لغرتها، وأغلقتها
افتترضت جديلاً أنني أعرف بذلك. وقد حدث كل شيء كما
توقعت، فقد قامت مارتا دوبريه بمحاولة جريئة أخيرة للسيطرة على
ملايين رينو... وفشلت!

قلت لبوارو: إن ما يحيرني تماماً هو كيف استطاعت دخول
البيت دون أن نراها. تبدو تلك معجزة حقيقية؛ فقد تركناها خلفنا
في فيلا مارغريت وذهبنا مباشرة إلى فيلا جينيفيف... ومع ذلك
كانت قد سبقتنا إليها!

- آه، ولكننا لم نتركها خلفنا؛ فقد غادرت فيلا مارغريت من
الباب الخلفي عندما كنا نتحدث مع أمها في الصالة. وفي هذه
النقطة حاولت أن تمرر خدعتها على هيركبول بوارو!

- ولكن خيالها كان على النافذة، لقد رأيناها ونحن في
الطريق.

- كلا، فعندما نظرنا كانت السيدة دوبريه قد وجدت من الوقت ما يجعلها تركض إلى الطابق العلوي وتأخذ مكان مارتا.

- السيدة دوبريه؟

- نعم. إحداهما كبيرة السن والأخرى شابة، إحداهما سمراء والأخرى شقراء، ولكن بالنسبة إلى ظلي ينعكس على الشافذة فإن الصورة الحائثية لوجهيهما واحدة تقريباً. وحتى أنا لم أشك في الأمر... وبها ليلاهتي! فلنتأ أن لدينا الكثير من الوقت، وأنها لن تحاول دخول القفلا إلا بعد مرور وقت طويل. إن تلك الأنسة الجميلة مارتا ذات ذكاء بالغ.

- وكان هدفها قتل السيدة دوبريه؟

- نعم، وعندها ستحول الثروة كلها إلى ابنتها. ولكن كان ذلك سيُفسر على أنه انتحار بما صديقي! فعلى الأرض قرب حشة مارتا وجدت كمادة وزجاجة كلوروفورم صغيرة وإبرة تحتوي على جرعة قاتلة من المورفين. أفهمت؟ تبدأ بالكلوروفورم... وعندما تفقد الضحية وعيها تأتي وحزة الإبرة. وعند الصباح تكون رائحة الكلوروفورم قد تلاشت تماماً، وتكون الإبرة قد وقعت حيث سقطت من يد السيدة رينو. ماذا سيقول وقتها القاضي الطيب هوتيه؟ "يا للمرأة المسكينة! ألم أقل لكم إنني لن أستغرب إذا ما احتل عقلها؟ إنها إجمالاً قضية مأساوية جداً، قضية رينو!"

ولكن الأمور يا هيستغز لم تمضي كما خططت الأنسة مارتا. فبداية كانت السيدة رينو مستيقظة تنتظرها، وقد وقع صراع، ولكن السيدة رينو كانت ما تزال ضعيفة جداً. وبقيت فرصة أحيرة لمارتا

دوبريه. لقد انتهت فكرة الانتحار، ولكن إذا ما استطاعت قتل السيدة رينو يديها القويتين، وهربت عن طريق درج الجبال الحربية ونحن ما نزال نضرب على باب الغرفة البعيدة من الداعل ثم عادت إلى فيلا جينييف قبل أن نعود إلى هناك، فسيكون من الصعب أن نثبت عليها شيئاً. ولكنها خسرت ضربتها الأخيرة، وليس على يد هيركيول بوارو، بل على يد البهلوانة الصغيرة ذات القبضتين الفولاذيتين.

فكرت في القضية كلها ثم قلت: متى بدأت تشك في مارتا دوبريه لأول مرة يا بوارو؟ عندما أخبرتنا بسماعها المشاهدة في الحديقة؟

ابتسم بوارو وقال: أتذكر يا صديقي عندما أتت بنا السيارة إلى ميرلينغيل أول مرة، والفتاة الجميلة التي رأيناها تقف عند البوابة؟ لقد سألتني وقتها إن كنت قد لاحظت حورية شابة، وأجبتك أنني لم أر إلا فتاة ذات عيين قلفتين. بهذا الشكل فكرت في مارتا دوبريه منذ البداية. الفتاة ذات العينين القلفتين! لماذا كانت قلقة؟ ليس علي حاك رينو، لأنها لم تكن تعرف وقتها أنه كان في ميرلينغيل في الليلة السابقة.

- كيف حال حاك بالمناسبة؟

- أحسن بكثير. إنه ما يزال في فيلا مارغريت، ولكن السيدة دوبريه اختفت، والشرطة يبحثون عنها.

- أتظن أنها كانت مشتركة في الجريمة مع ابنتها؟

- لن نعرف ذلك أبداً! فهي امرأة نعرف كيف تحافظ على

أسرارها، وأنا أشك كثيراً في إمكانية عبور الشرطة قط عليها.

- وهل تم إبلاغ جاك رينو بالأمر؟

- ليس بعد.

- ستكون تلك صدمة شديدة له.

- هذا طبيعي. ومع ذلك... أندري يا هيستغز؟ لا أحسب أن قلبه قد تعلق بها جداً أبداً. لقد نظرنا إلى بيلا دوفين حتى الآن باعتبارها الغاوية المؤقتة، ونظرنا إلى مارتا دوبريه على أنها الفتاة التي أحبها حقاً. ولكنني أظن أننا ستكون أقرب إلى الحقيقة لو أننا قلبنا المعادلة؛ فقد كانت مارتا دوبريه حميلة جداً، وقد جعلت شغلها الشاغل الإيقاع بجاك، ونحنت في ذلك. ولكن تذكر تردده الغريب في إنهاء علاقته بالفتاة الأخرى، وانظر كيف كان مستعداً للذهاب إلى المقصلة ليحببها ذلك المصير. إن لدي فكرة صغيرة بأنه -عندما يعرف الحقيقة- سيرتعب ويثور، وسوف يتلاشى حبه الزائف.

- وماذا عن جيرو؟

- لقد أصابته نوبة عصبية، وقد ألزموه بالعودة إلى باريس!

ابتسمنا نحن الاثنين.

وقد ثبت أن لبوارو بصيرة نافذة. فعندما أعلن الطبيب أخيراً أن جاك رينو قد أصبح قوياً بما يكفي لسماع الحقيقة كان بوارو هو الذي أخبره بها. وقد كانت الصدمة رهبة بالفعل، ومع ذلك فقد

أظهر جاك من رباطة الحاش ما لم أكن أتصور صدوره منه. وقد ساعده حب أمه على تجاوز تلك الأيام الصعبة، وغدت الأم وابنها الآن رفيقين لا ينفصلان.

ولكن كان على الطريق كشف آخر، فقد أطلع بوارو السيدة رينو على حقيقة معرفته بسررها، ونصحها بـ"ألا تترك ابنها جاهلاً بماضي أبيه قائلاً: لا قائلة في إخفاء الحقيقة يا سيدتي! كوني شجاعة وأخبريه بكل شيء.

وبقلب مثقل وافقت السيدة رينو، وعلم ابنها أن الأب الذي أحبه كان في الحقيقة هارباً من وجه العدالة. وقد قام بوارو بالإجابة عن سؤال تردد الابن في طرحه: اطمئن يا سيد جاك؛ فالعالم لا يعرف شيئاً، ويقدر ما أرى فليس عليّ التزام يقضي بأن أفضي للشرطة بما أعرفه؛ فطوال هذه القضية لم أكن أعمل لصالح الشرطة بل لصالح أبيك. وقد أدركته العدالة أخيراً، ولكن لا حاجة لأن يعلم أحد بأن بول رينو وجورج كونو كانا شخصاً واحداً.

بقيت في القضية عدة نقاط محيرة للشرطة، ولكن بوارو شرح الأمور بأسلوب مقنع جداً بحيث أسكت كل تساؤل يخص تلك النقاط.

وبعد أن عدنا إلى لندن بوقت قصير لاحظت وجود تمثال ضخم لكلب صيد يزين رف الموقد عند بوارو. وجواباً على نظرة تساؤل مني أوما بوارو برأسه وقال: نعم، لقد حصلت من جيرو على الخمسمئة فرنك. أليس هذا التمثال رائعاً؟ إنني أسميه جيرو!

بعد بضعة أيام جاء جاك رينو لرؤيتنا وعلى وجهه سيماء التصميم

وقال: سيد بوارو، لقد جئت لتوديعكما. سوف أبحر إلى أمريكا الجنوبية قريباً جداً فقد كانت لوالدي مصالح كبيرة في تلك القارة، وأنا أنوي بدء حياة جديدة هناك.

- أمتدح وحيداً يا سيد جاك؟

- ستأتي أمي معي... وسوف أبقى ستونور سكرتيراً لي، فهو يحب المناطق البعيدة في هذا العالم.

- أكن يذهب معك أحد آخر؟

احمر وجه جاك وقال: من تعني...؟

- أعني فتاة أحببتك كثيراً... وكانت مستعدة لبذل حياتها من أجلك.

تتم الفتى: كيف لي أن أطلب منها ذلك؟ بعد كل ما حدث، هل أستطيع الذهاب إليها و... أوه، أي قصة عرجاء أقول لها؟

- إن لدى النساء موهبة رائعة في تصنيع عكاكيز لمثل هذه القصص.

- نعم، ولكن... لقد كنت مغفلاً إلى أبعد الحدود.

قال بوارو مُفلسفاً: وهكذا كنا جميعاً من وقتٍ لآخر.

ولكن وجه جاك تصلب وقال: وشيء آخر، فأنا ابن أبي. هل من شأن فتاة أن تتزوجني وهي تعرف من أنا.

- أنت تقول إنك ابن أبيك، وسوف يبتشك هيسنغر بأنني

أؤمن بالوراثة...

- حسناً إذن...

- انتظر، إنني أعرف امرأة، امرأة ذات شجاعة وتحمل، وهي قادرة على الحب العظيم، وعلى التضحية الفائقة بالذات...

رفع الفتى بصره وقد رقت عيناه وقال: أمي!

- نعم. أنت ابن أمك بقدر ما أنت ابن أبيك. اذهب إذن إلى الأتسة بيلا. قل لها كل شيء. لا تشك في صدرك شيئاً... وانظر ماذا ستقول!

بدا جاك متردداً، فقال بوارو: اذهب إليها كرجل لم يعد فتى بعد... كرجل أحنى ظهره قدر الماضي وقدر الحاضر، ولكنه يتطلع إلى حياة جديدة رائعة. اطلب منها أن تشاركك تلك الحياة. ربما لا تدرك أنت ذلك، ولكن الحب الذي يجمعكما قد تم اختياره في أفسى الظروف ولم يظهر فيه نقص. لقد كان كل منكما -أنتما الاثنين- مستعداً للتضحية بنفسه من أجل صاحبه.

• • •

وماذاً عن الكاتين آرثر هيسنغر، الراوي المتواضع لهذه الصفحات؟

يوجد حديث عن انضمامه إلى عائلة رينو في مزرعة فيما وراء البحار، ولكن فيما يتعلق بنهاية هذه القصة فإنني أفضل العودة إلى أحد الصباحات في حديقة فيلا جينييف.

قلتُ: لا أستطيع أن أسميك بيلا؛ طالما أن هذا ليس اسمك.
واسم دولتشى يبدو غير مألوف البتة؛ ولذلك فلا بد أن أسميك
سندريلا. ولعلك تتذكرين أن سندريلا قد تزوجت الأمير. وأنا لستُ
أميراً، ولكن...

قاطعتني قائلة: أنا واثقة أن سندريلا قد حذرت. إنها لم تستطع
أن تعده بأن ننقلب إلى أميرة؛ فهي لم تكن -في نهاية الأمر- سوى
خادمة صغيرة...

قلت لها: جاء دور الأمير في المقاطعة. هل تعلمين ماذا قال؟

- كلا؟

- لقد قال الأمير: "تبيلاً"، ثم قُبِلها!

وما لبثت أن أتبعته القول بالفعل.

* * *